457

ADEL EL GOGARY

عادل الجوجري

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة



A.M

سياف الشرق الأوسط

برنارد لويس

ومهندس سايكس بيكو 2

BERNARD LEWIS



BERNARD LEWIS برنارد لويس

برنارد لويس هو أخطر مفكر صهيوني من أصل بريطاني وضع نظرية جديدة تعادل اتفاقية سايكس بيكو الأولى "1916" التي قسمت بلاد الشام والعراق. وفي نظريته الجديدة يسعى لويس إلى تفتيت وليس تقسيم الوطن العربي إلى 52 دويلة، بحيث تختفي الأمة العربية ومعها خريطة الوطن العربي لمصلحة نظام إقليمي جديد "الشرق الأوسط الكبير" تصبح فيه "إسرائيل" الدولة الكبرى المهيمنة والقائدة.

والمؤرخون الإسلاميون يعتبرون برنارد لويس الخنجر الغربي الانتقامي الثاني من المسلمين، إذ أن الخنجر الأول كان عند رأس صلاح الدين الأيوبي في مطلع القرن العشرين حيث وقف أحد جنرالات الغرب ليقول له: "ها قد عدنا يا صلاح الدين". وكانت تلك المقولة هي البداية الحقيقية لتأسيس الكيان الصهيوني وفق وعد بلفور، لكن تمكين (إسرائيل) من الوجود على طول المدى يستلزم تفكيك الكيانات السياسية الكبيرة في الوطن العربي وخاصة دول مثلث القوة العربي (مصر- سوريا- العراق) إلى كيانات أصغر تنهمك في صراعات الحدود والثروة.

لقد كتب المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" - عند قيام إسرائيل - مقترحًا إعادة تفتيت العالم الإسلامي على أسس دينية ومذهبية وعرقية، ليصبح عالم "فسيفساء ورقية" ضعيفة، أو دول كرتونية فيتحقق الأمن لإسرائيل.. وبعد سنوات قليلة من نشر هذا المخطط في مجلة وزارة الدفاع "البنتاجون" - بدأ التنفيذ بالمارونية السياسية في لبنان، الجناح المناوئ لسلاح المقاومة الإسلامية كنموذج لتحريك الأقليات، لأن مجرد تحريك الأقليات يؤدي إلى صدامها. ولعل أخطر ما في هذا المشروع هو تغيير كيمياء الصراع العربي الصهيوني إلى صراع عربي عربي على أسس مذهبية أو طائفية وإدخال إيران بدلا من إسرائيل في دائرة الصراع.

لقد واجه مشروع برنارد لويس مقاومة شعبية بعد احتلال العراق، ووضع دستور بريمر الذي يحمل جرثومة التقسيم إلى ثلاثة أقاليم، فقد رفض الشعب إقامة إقليمين في صلاح الدين وديالى، وانتقل السيناريو إلى تقسيم السودان إلى دولتين مرشحتين للمزيد من التفتيت، وتطور الأمر فوصل إلى ليبيا حيث هدد إقليم برقة بالاستقلال، وهو ما يفتح المجال لتفتيت ليبيا إلى ثلاثة أقاليم.

إن خطط تفتيت الوطن العربي تريد أن تصل إلى القلب وهو مصر لذلك تدخلت الإدارة الأميركية في ثورات الربيع العربي لكي تسيطر عليها أو على الأقل تضمن تحقيق المصالح الأميركية وتضمن أمن "إسرائيل" وهو الهدف الرئيس من فلسفة برنارد!

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة
97...1-376-731-1

مخطط الفتنة والحروب الأهلية بين طوائف الأمة

برنارد لويس

سياف الشرق الأوسط ومهندس سايكس بيكو 2

عادل الجوجري

تقديم

كثيرة هي الأفكار الشريرة التي تطرح في العقل الصهيوني أو العقل الغربي المنحاز للصهيونية، ضد العرب والمسلمين،وثمة من يعتقد أن هناك صراعا تاريخيا له أبعاده الدينية بين العرب والغرب بدأ مع الحملات الصليبية قبل أكثر من ألف عام لكن هذا الصراع لم ينتهِ بعدُ، بل يتخذ أشكالا مختلفة تعكس جوهر الصراع، وطبيعته، ومكوناته ومستقبله.

ومن ضمن الأفكار/ المشاريع الغربية الصهيونية يتصدر مشروع برنارد لويس المفكر اليهودي البريطاني الأصل، الذي تحول إلى أسطورة بسبب نجاحه في التطبيق العملي لفكرة تقسيم الوطن العربي بعد أن تحول إلى إجراءات وخطط، وبرامج عمل جادة.

وتدور فكرة هذا الكتاب وتحلّق حول سؤال واحد جوهري هو: ماذا تحقق من مخطط برنارد لويس لتقسيم العالم الإسلامي؟

هل نجح في تحويل الدولة الوطنية إلى دويلات؟ وأين وقع ذلك؟

وما هي الدول المرشحة للتقسيم؟ وهل سنرى شرقَ أوسطٍ جديداً وكبيراً على أنقاض الوطن العربي الذي من أجله ضحى كثيرون، وأبرزهم وأحبهم إلى قلبي جمال عبد الناصر.

الواقع أن مشروع برنارد لويس هو الأكثر جدية وعملية في آن، كما أن مرتكزاته الفكرية خطيرة وخبيثة، وتلعب على الأوتار المذهبية والطائفية بناء على فهم عميق من مفكر لا يشق له غبار في فهم النفسية الإسلامية، ومن خلال قراءة واعية للتاريخ الإسلامي.

نحن إزاء مشروع رهيب، التقطته القوى الكبرى في الغرب لاسيما أميركا بكل أجهزتها الأمنية والاستخباراتية والعسكرية،فضلا عن الكيان الصهيوني الذي لا يمل

ولا يكل في محاولاته لاختراق الدولة الوطنية العربية ،وبالتركيز على **مثلث القوة العربي** مصر والعراق وسوريا فضلا عن دول الأطراف السودان واليمن والمغرب.

ومن المفيد توضيح حقيقة هامة هي أن مشروع برنارد لويس لتقسيم المنطقة يتقاطع مع مشروعات عديدة، ومماثلة، ربما استلهمت النموذج أو السياق العام من لويس، وربما هناك تقارب فكري بين المنظِّرين الكبار، وما تنتجه مراكز دراسات ذات طبيعة عسكرية واستخباراتية، لكن المهم هنا هو أن فكرة تقسيم الوطن العربي تحتل مكانة مركزية في البيت الأبيض والبنتاجون، ومراكز صنع القرار الأميركي، ومنها وزارة الخارجية والاستخبارات المركزية،وقد تبنى الجمهوريون أو المحافظون الجدد أفكار برنارد لويس وحولوها إلى برامج عمل وإجراءات تستهدف تفكيك الوطن العربي وتغيير اسمه إلى (الشرق الأوسط الكبير).

ومشروع برنارد لويس لتقسيم الدول العربية والإسلامية، والذي اعتمدته الولايات المتحدة لسياستها المستقبلية له مؤيدوه والمتحمسون له والذين سعوا إلى تحويله من مجرد تأمل أو عصف فكري إلى واقع عملي ملموس على النحو التالي:

١- في عام ١٩٨٠م وفيما كانت الحرب العراقية الإيرانية مستعرة، صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي «زيغينو بريجنسكي» بقوله: «إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن (١٩٨٠م) هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود «سايكس- بيكو»».

٢- عقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» بدأ المؤرخ الصهيوني المتأمرك «برنارد لويس» بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعًا كلًّا على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ، وتفتيت كل منها إلى

مجموعة من الكانتونات والدويلات العِرْقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصَّل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت بوحي من مضمون تصريح «بريجنسكي» مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس «جيمي كارتر» الخاص بتسعير حرب خليجية ثانية تستطيع الولايات المتحدة من خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو بحيث يكون هذا التصحيح متسقا مع الصالح الصهيو أمريكي.

٣- في عام ١٩٨٣م وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع الدكتور «برنارد لويس»، وبذلك تمَّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة، والأكثر من ذلك هو تحديد ميزانيات مالية تم توزيعها في مخصصات الوزارات المعنية في المشروع.

لقد كانت تلك فاتحة لاجتهادات متنوعة تستهدف اللعب على الأوتار الطائفية في المنطقة العربية.

وفي مقالة نُشرت في مجلة القوات المسلحة الأمريكية -لضابط سابق اسمه (رالف بيترز)- العسكرية الشهرية «أرمد فورسز جورنال» (armed forces journal) الشهرية والذي عنونه بـ «حدود الدم» وتقسيم الوطن العربي في عام ٢٠٠٧م تبنى معظم ما جاء في مشروع برنارد لويس ليس على طريقة توارد الخواطر والأفكار وإنما على طريقة تكامل المشاريع .

٤- اعترافات ويسلي كلارك قائد القوات الأمريكية بوجود تلك المخططات ومشروعية تقسيم الدول العربية من أجل إعادة رسم الخرائط بشكل عادل في الشرق الأوسط الجديد.

٥- أصدرت مؤسسة راند تقريراً في نهاية شهر مارس من عام ٢٠٠٧ م بعنوان « بناء شبكات مسلمة معتدلة»، وهو تقرير متمم لسلسلة التقارير التي بدأ هذا المركز

الفكري في إصدارها لتحديد الأطر الفكرية للمواجهة مع العالم الإسلامي، وتضمن فكرة اختراق منظمات المجتمع المدني العربي من خلال التمويل والتنظيم المشترك للندوات والنشاطات التي تصب في إطار تغذية الصراعات العرقية والطائفية في المنطقة انطلاقا من تحريض أقباط مصر وصولا إلى أمازيغ الجزائر.

٦- وأخيرا وليس آخرا تصريحات هنري كيسنجر ثعلب السياسة الصهيونية التي قرر فيها بوجود مشروع أميركي لاحتلال سبع دول عربية من أجل السيطرة على النفط والمرافئ البحرية التي تمر منها سفن النفط.

تفاصيل المشروع الصهيوأمريكي لتفتيت العالم الإسلامي لـ «برنارد لويس».

١- مصر

خريطة تقسيم مصر والسودان ٤ دويلات

١ - سيناء وشرق الدلتا:

* «تحت النفوذ اليهودي» (ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات).

٢- الدولة النصرانية:

* عاصمتها الإسكندرية.
* ممتدة من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط واتسعت غربًا لتضم الفيوم وتمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون ليربط هذه المنطقة بالإسكندرية.
* وقد اتسعت لتضم أيضًا جزءًا من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح.

٣- دولة النوبة:

* المتكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية.
* عاصمتها أسوان.

* تربط الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى لتلتحم مع دولة البربر التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر.

٤- مصر الإسلامية:

* عاصمتها القاهرة.

* الجزء المتبقي من مصر.

* يراد لها أن تكون أيضًا تحت النفوذ الإسرائيلي (حيث تدخل في نطاق إسرائيل الكبرى التي يطمع اليهود في إنشائها).

٢- السودان

٤ دويلات

١- دويلة النوبة: المتكاملة مع دويلة النوبة في الأراضي المصرية التي عاصمتها أسوان.

٢- دويلة الشمال السوداني الإسلامي

٣- دويلة الجنوب السوداني المسيحي: وهي التي تم إعلان انفصالها في الاستفتاء الذي تم عمله ليكون أول فصل رسمي طبقًا للمخطط في أوائل عام ٢٠١١م

٤- دارفور: والمؤامرات مستمرة لفصلها عن السودان بعد الجنوب مباشرة حيث إنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول.

دول الشمال الإفريقي

٣- خريطة تقسيم شمال إفريقيا

تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب بهدف إقامة:

١- دولة البربر: على امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان.

٢- دويلة البوليساريو.

٣- الباقي دويلات المغرب والجزائر وتونس وليبيا.

٤- شبه الجزيرة العربية (والخليج)

٤- خريطة تقسيم شبه الجزيرة العربية والخليج

- إلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من الخارطة ومحو وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط.

١- دويلة الإحساء الشيعية: (وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين).

٢- دويلة نجد السنية.

٣- دويلة الحجاز السنية.

٤- العراق

٥- خريطة تقسيم سوريا والعراق

تفكيك العراق على أسس عرقية ودينية ومذهبية على النحو الذي حدث في سوريا في عهد العثمانيين. ٣ دويلات

١- دويلة شيعية في الجنوب حول البصرة.

٢- دويلة سُنية في وسط العراق حول بغداد.

٣- دويلة كردية في الشمال والشمال الشرقي حول الموصل (كردستان) تقوم على أجزاء من الأراضي العراقية والإيرانية والسورية والتركية والسوفيتية (سابقًا).

العراق بداية مشروع التفكيك

ملاحظة:(صوّت مجلس الشيوخ الأمريكي كشرط انسحاب القوات الأمريكية من العراق في ٢٩/٩/٢٠٠٧ على تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات المذكور أعلاه،

وطالب مسعود برزاني بعمل استفتاء لتقرير مصير إقليم كردستان العراق وإعلان دولة كردية مستقلة، واعتبار عاصمته محافظة (كركوك) الغنية بالنفط محافظة كردية، ونال مباركة عراقية وأمريكية في أكتوبر ٢٠١٠ والمعروف أن دستور «بريمر» وحلفائه من العراقيين قد أقر الفيدرالية التي تشمل الدويلات الثلاث على أسس طائفية: شيعية في (الجنوب)/ سنية في (الوسط)/ كردية في (الشمال)، عقب احتلال العراق في مارس- أبريل ٢٠٠٣).

٦- سوريا

تقوم الخطة على تقسيم سوريا إلى أقاليم متمايزة عرقيًّا أو دينيًّا أو مذهبيًّا:

٤ دويلات

١ - دولة علوية شيعية (على امتداد الشاطئ).

٢- دولة سنية في منطقة حلب.

٣- دولة سنية حول دمشق.

٤- دولة الدروز في الجولان ولبنان (الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية).

٧- لبنان

خريطة تقسيم لبنان

تقسيم لبنان رغم صغر مساحتها إلى ثمانية كانتونات عِرقية ومذهبية ودينية بما يعني تحويلها إلى شظايا متصارعة ومتصادمة:

١ -دويلة سنية في الشمال (عاصمتها طرابلس).

٢- دويلة مارونية شمالاً (عاصمتها جونيه).

٣- دويلة سهل البقاع العَلوية (عاصمتها بعلبك) خاضعة للنفوذ السوري شرق لبنان.

٤- بيروت الدولية (المدوَّلة)

٥- كانتون فلسطيني حول صيدا وحتى نهر الليطاني تسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)

٦- كانتون كتائبي في الجنوب والتي تشمل مسيحيين ونصف مليون من الشيعة.

٧- دويلة درزية (في أجزاء من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية المحتلة).

٨- كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي.

٩- إيران وباكستان وأفغانستان

٨- خريطة تقسيم إيران وباكستان وأفغانستان

تقسيمها إلى عشرة كيانات عرقية ضعيفة:

١- كردستان.

٢- أذربيجان.

٣- تركستان.

٤- عربستان.

٥- إيرانستان (ما بقي من إيران بعد التقسيم).

٦- بوخونستان.

٧- بلونستان.

٨- أفغانستان (ما بقي منها بعد التقسيم).

٩- باكستان (ما بقي منها بعد التقسيم).

١٠- كشمير.

٩- تركيا

* انتزاع جزء منها وضمه للدولة الكردية المزمع إقامتها في العراق.

١٠- الأردن

خريطة إسرائيل الكبرى كما يحلمون

* تصفية الأردن ونقل السلطة للفلسطينيين.

١١- فلسطين

* ابتلاعها بالكامل وهدم مقوماتها وترحيل ما تبقى من شعبها في إطار مشروع التوطين الذي رصدت له واشنطن ميزانية كبيرة جاهزة للتطبيق في أي وقت على أن تبدأ العملية من لبنان..

١٢- اليمن

إزالة الكيان الدستوري الحالي للدولة اليمنية بشطريها الجنوبي والشمالي، ورسم حدود جديدة قد تتفق مع حدود دويلات السلاطين قبل ثورة الاستقلال في الجنوب مع تقسيم الشمال إلى ثلاث مناطق منها منطقة للحوثيين.

وقد يرى البعض أن هذا المشروع مثل غيره مجرد تخيلات فكرية يقوم بها باحث أو دارس في مركز أقرب إلى البرج العاجي ليس له علاقة بطبيعة الأوضاع في الشرق الأوسط، غير أن المعطيات التي جرت بدءا بتقسيم السودان وتسارع وتيرة تقسيم اليمن فضلا عن دخول مشروع تقسيم العراق مرحلة واقعية، وتفجر الأزمة السورية، وتداعياتها في لبنان قد نبه كثيرون – ونحن منهم- إلى جدية، وواقعية، وعملية مشروع برنارد لويس لتقسيم الوطن العربي، وتمكين «إسرائيل» من الوجود والقيادة في المنطقة التي سيكون اسمها الجديد هو الشرق الأوسط الكبير.

من هنا عدنا إلى الكتب التي أصدرها والمقالات التي كتبها والحوارات التي أجراها كما بحثنا في الدراسات ذات الصلة سواء التي أنتجها أميركيون أو غربيون أو صهاينة لها علاقة بهذا المشروع الرهيب وطرحنا السؤال مجددا:

ما الذي تحقق من أفكار برنارد لويس؟

وكانت النتيجة مذهلة بل مرعبة :لقد تحقق الكثير ولا يزال المشروع يمضى في طريقه لهدم الدولة الوطنية العربية.

ومن هنا جاء هذا الكتاب لينبه كل من لديه غيرة أو حرص أو اهتمام بمصر والوطن العربي سواء في أوساط النخب الحاكمة أو المواطنين فعندما يتعرض الوطن ذاته إلى الخطر تتراجع التسميات والتوصيفات ويصطف الجميع دفاعا عن الوطن.

وهذا الكتاب هو رسالة تنبيه ربما تكون أخيرة، فانتبهوا أيها السادة لما يخطط وينفذ في وطنكم العربي الكبير،المرشح لتغيير اسمه ورسمه وخرائطه.. إن لم نقاوم.

وأخيرا نقولها بكل صراحة «قاوموا تصحوا»، ونشكر كل من ساعدنا لتقديم هذه الرسالة بدءًا من الصديق العزيز الناشر العربي الأستاذ وليد ناصيف وهو صاحب فكرة الكتاب، وصولا إلى المخرجة الشابة آية سيف، التي نسقته داخليا، ومرورا بزميل عزيز ساعدني كثيرا في توفير المواد العلمية هو الأستاذ محمد سويفي عبدالله، لهم جميعا الشكر، وللوطن السلام.

الفصل الأول

١

من هو برنارد لويس؟

* من أية أرضية فكرية جاء؟ وكيف وُلدت فكرة تقسيم الوطن العربي (سايكس بيكو٢)؟

* أخطر مستشرق هضم التاريخ الإسلامي خاصة الفِرَق والنِّحَل والإمبراطورية العثمانية.

* نقل الصراع العربي ضد «إسرائيل» إلى صراع عربي -عربي، أو عربي إيراني هدف غربي صهيوني بامتياز.

* تطوع للحرب في حرب ٦٧ وتابع معارك حزب الله وحماس على جبهتي لبنان وفلسطين.

شهد القرنُ التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بروز من أطلقت عليهم تسمية (المستشرقين)، وهم نخبة من الباحثين والدارسين تخصصت وتعمقت في فهم الإسلام والعرب من زوايا مختلفة، وخلال النصف الثاني من القرن العشرين ارتفعت وتيرة الاهتمام بالوطن العربي، وبرز مئات المتخصصين في الشؤون الإسلامية من الأكاديميين في أمريكا وأوربا تعمقوا في دراسة الإسلام وتياراته ومذاهبه وألفوا مئات الكتب التي تغطي كل تفاصيل الإسلام وتاريخه، خصوصا الفِرَق والنِّحَل فيه عبر التاريخ وحاليا، والاختلافات بينها ومراكز الحساسية والتأثير فيها، فتكونت معرفة تفصيلية بالإسلام. وبطبيعة الحال سنكون سذجا جدا إذا لم نفترض أن الكثيرين ممن ادعوا تفهم الإسلام أو الإيمان به من الغربيين أو انتقلوا إلى الإسلام لم يكونوا جواسيس رُسمت لهم أدوار محددة، وهي اختراق المجتمع الإسلامي وتشويهه من الداخل، وكان أهم ما تعلمه الغرب والصهيونية هو التمييز بين الديني والتاريخي، لا سيما وأن الإسلام فيه تاريخ ثري، واجتهادات فكرية متنوعة، فضلا عن اجتهاد يسمح بتقديم أكثر من تفسير لأي نص ديني وكثرة التفسيرات تقوم على الاختلاف والتناقض، ومن ثم استخدام تلك الاختلافات والتناقضات لنشر الانقسامات والأزمات والصراعات بين المسلمين بل داخل الفرقة الإسلامية الواحدة والمذهب الواحد.

في ظل هذه القاعدة التي تحكم حركة المستشرقين في الغرب ظهر برنارد لويس، باعتباره الأكثر اهتماما بالتاريخ الإسلامي، والأكثر عمقا في فهم تنوع المراحل التي مر بها المسلمون، والأكثر حرصا على تطبيق مقولة «أوروبا البيضاء»أي بدون مسلمين بعد طردهم إلى جنوب المتوسط ومنع التعامل معهم إلا على أرضية التوجس والقلق. وينطبق الأمر نفسه على أميركا التي هاجر إليها حاملا أفكاره،أو بالأحرى مشروعه السياسي الاستراتيجي تجاه الوطن العربي.

وينظر المؤرخون إلى برنارد لويس على أنه مفكر مختلف عن باقي المستشرقين، ليس

فقط لولادته في أسرة يهودية إشكنازية بل لأنه في كثير من الأحيان تكون نظرته ثاقبة في قراءة التاريخ ما مضى منه وما هو آت من خلال تحليله وتتبعه لمسيرة التاريخ الإسلامي صعودا وهبوطا.

لقد تميز برنارد لويس بقدرة هائلة على تحليل بنية المجتمع الإسلامي ثقافيا وفكريا من خلال الاطلاع على أرشيف الإمبراطورية العثمانية.ودرس أسباب قوة وضعف هذه الإمبراطورية والقوانين المحركة للمجتمع الإسلامي في ظل النموذج العثماني، وعلاقة ذلك بالنموذج الديمقراطي الغربي في السياسة والاقتصاد.

وتوصل لويس إلى بعض ما يراه حقائق جوهرية ومنها أن المسلمين في حالة عداء مع الغرب وتحديدا أميركا حتى وإن اتسمت العلاقات بأقصى درجات التفاهم الودي.

كما اعتبر أن المسلمين في حالة تخلف دائم والسبب في جوهر الإسلام والمسلمين ومن ثم يصعب تغييرهم، وهم بذلك يشكلون خطرا على الحضارة الغربية والمدنية لاسيما وأن لويس من أنصار مدرسة تقول إن أمريكا حاملة للحرية والديمقراطية والرقي، وأنها تمثل التمدن والمدى المطلق للتطور ونهاية التاريخ.

وهنا مسألتان أثرتا على تعاطي برنارد لويس مع التاريخ الإسلامي الماضي والمستقبل هما:

أولا: ديانته اليهودية وتعصبه لها ما جعله يرى التاريخ الإسلامي بعيون يهودية منحازة إلى المشروع الصهيوني في المنطقة وضرورة «التخديم» على هذا المشروع بطروحات فكرية.

ثانيا: صلته الوثيقة بالمؤسسة الاستخباراتية الإنكليزية مما سهل له الاطلاع على أرقام وإحصاءات غير متوفّرة لكثيرين قراءة التحوّلات الديموغرافية التي تجتاح أوروبا كهجرات المسلمين من الشرق إلى الغرب الأوروبي.الأمر الذي يحمل معه مؤشرات أسلمة أوروبا، وهو ما يعتبره أكبر خطر تتعرض له الحضارة الغربية الحديثة.

مواجهة الزحف الإسلامي الأخضر

ولمواجهة خطر الزحف الأخضر بعد غياب أو تراجع الخطر الشيوعي الأحمر عمل لويس وحشد من زملاء مهنته في التخطيط لمستقبل أمريكا أمثال صاموئيل هانتنغتون المؤسس الأول لنظرية (صراع الحضارات) وفرانسيس فوكوياما صاحب (نهاية التاريخ) والثلاثة وغيرهم من رعيلهم كانوا يرون الكون بمنظور بوابة الإمبراطورية الأميركية كخلفية عالمية فتصدرت مؤلفاتهم سنم البيع في سوق المستقبل، وحظي لويس بمنصب عميد الدراسات الاستشراقية وبرتبة مرشد عام المحافظين الجدد، كما حظي بشرف أستاذيته للدكتور سهيل زكار.

خنجر الانتقام الثاني من المسلمين

إن المؤرخين الإسلاميين يعتبرون برنارد الخنجر الغربي الانتقامي الثاني من المسلمين، إذ أن الخنجر الأول كان عند رأس صلاح الدين الأيوبي في مطلع القرن العشرين حيث وقف أحد جنرالات الغرب ليقول له: «هاقد عدنا يا صلاح الدين»، وكانت تلك المقولة هي البداية الحقيقية لتأسيس الكيان الصهيوني وفق وعد بلفور،لكن تمكين (إسرائيل) من الوجود على طول المدى يستلزم تفكيك الكيانات السياسية الكبيرة في الوطن العربي وخاصة دول مثلث القوة العربي_مصر-سوريا-العراق).

لقد كتب المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» عند قيام إسرائيل مقترحًا إعادة تفتيت العالم الإسلامي على أسس دينية ومذهبية وعرقية، ليصبح «فسيفساء ورقية» ضعيفة، فيتحقق الأمن لإسرائيل.. وبعد سنوات قليلة من نشر هذا المخطط في مجلة «البنتاجون» بدأ التنفيذ بالمارونية السياسية في لبنان، كنموذج لتحريك الأقليات، لأن مجرد تحريكها يدمر استقرار المجتمعات العربية!!..

ومنذ ذلك التاريخ انتشرت «التحريكات.. والتحركات».. وبدأت «التطبيقات.. والثمرات المرة» ولعل أخطر ما في هذا المشروع هو تغيير كيمياء الصراع العربي الصهيوني إلى صراع عربي عربي على أسس مذهبية أو طائفية وإدخال إيران بدلا من إسرائيل في دائرة الصراع.

برنارد لويس Bernard Lews

هو مستشرق يهودي ولد في لندن في مايو١٩١٦، بالتزامن مع سايكس بيكو- (١) وقبل عام من وعد بلفور، وسوف يعتبر تاريخ ميلاده أحد العوامل المؤثرة في تكوينه، إذ أنه أدرك أن سر قوة المسلمين في وحدتهم، وأن الحل الوحيد لإضعافهم هو تقسيمهم على أسس جغرافية أو معطيات أخرى وهذا ما سوف يظهر فيما بعد.

برنارد لويس (من مواليد ٣١ مايو ١٩١٦، لندن) أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب وتشتهر خصوصا أعماله حول تاريخ الإمبراطورية العثمانية.

لويس هو أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين الذي طالما سعت إليه السياسة.

السيرة

وُلد من أسرة يهودية من الطبقة الوسطى في لندن. اجتذبته اللغات والتاريخ منذ سن مبكرة، اكتشف عندما كان شابا اهتمامه باللغة العبرية ثم انتقل إلى دراسة الآرامية والعربية، ثم بعد ذلك اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية.

تخرج عام ١٩٣٦ في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS)، في جامعة لندن، في التاريخ مع تخصص في الشرق الأدنى والأوسط. حصل على الدكتوراه بعد ثلاث سنوات، من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية متخصصاً في تاريخ الإسلام.

اتجه لويس أيضا لدراسة القانون، قاطعاً جزءاً من الطريق نحو أن يصبح محاميا، ثم عاد إلى دراسة تاريخ الشرق الأوسط ١٩٣٧. التحق بالدراسات العليا في جامعة باريس، حيث درس مع لويس ماسينيون وحصل على «دبلوم الدراسات السامية» في ١٩٣٧. عاد إلى SOAS في عام ١٩٣٨ كمساعد محاضر في التاريخ الإسلامي.

أثناء الحرب العالمية الثانية، خدم لويس في الجيش البريطاني في الهيئة الملكية المدرعة وهيئة الاستخبارات في ١٩٤٠، ثم أعير كضابط اتصال في وزارة الخارجية. وبعد الحرب

عاد إلى لندن، وفي عام ١٩٤٩، عين أستاذا لكرسي جديد في الشرق الأدنى والأوسط في سن ٣٣ من العمر.

انتقل برنارد لويس إلى الولايات المتحدة حيث أصبح يعمل كأستاذ محاضر بجامعة برنستون، وجامعة كورنل في السبعينيات، وحصل على الجنسية الأمريكية سنة ١٩٨٢ كما حاز على العديد من الجوائز من قبل مؤسسات تعليمية أمريكية لكتبه ومقالاته في مجال الإنسانيات.

حصل على شهادة الدكتوراه بمادة التاريخ عن الطائفة الإسماعيلية وفرقة الحشاشين وعمل في المخابرات البريطانية حتى ١٩٤٥ وتم تكليفه بمهمة دراسة المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، وتوفرت له الفرصة لدراسة الفرق بين السنة والشيعة والفرق الإسلامية والمذاهب والنِّحَل، وتابع التدريس في الجامعة حتى ١٩٧٤ وألَّف عدة كتب متخصصة، ويعد أشهر مؤرخي الشرق الأوسط، تخرج على يديه عدد كبير من أساتذة التاريخ العرب في جامعة لندن (SOAS) التي أخذ منها الدكتوراه ١٩٣٨ وعين فيها مدرساً مساعداً، لكن الحرب العالمية الثانية اندلعت بعد عام من ذلك.فانتقل إلى مخابرات وزارة الخارجية البريطانية شعبة الشرق الأوسط حتى نهاية الحرب، ثم طار إلى الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٤ ليعمل أستاذا في جامعة برنستون حتى تقاعده ١٩٨٦، وعمل لويس خلال توليه منصب الأستاذية في جامعة لندن أستاذاً زائراً للعديد من الجامعات الأوروبية – الأمريكية أهمها:

١ – جامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس) عام ١٩٥٥ – ١٩٥٦م.

٢– جامعة كولومبيا – نيويورك عام ١٩٦٠م.

٣– جامعة إنديانا عام ١٩٦٣م.

٤ – جامعة برنستون عام ١٩٦٤م.

٥ – عضو زائر في معهد برنستون للدراسات المتقدمة سنة ١٩٦٩م.

٦ – عضو دائم في المعهد السابق من عام ١٩٧٤ – ١٩٨٦م.

٧- جامعة ياشيفا عام ١٩٧٤م.

٨- أستاذ زائر - كلية فرنسا عام ١٩٨٠م.

أما الجمعيات والمؤسسات العلمية التي منحت لويس عضويتها فمنها:

١- عضو مراسل لمعهد مصر بالقاهرة ١٩٦٩م.

٢- عضو شرف بجمعية التاريخ التركية ١٩٧٣م.

٣- عضو سابق في جمعية الفلسفة الأمريكية عام ١٩٧٣م.

٤- عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ١٩٨٣م.

وقد نال لويس العديد من الجوائز والدرجات الفخرية منها:

١- الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٧٤م.

٢- الدكتوراه الفخرية من جامعة تل أبيب ١٩٧٩م.

٣- شهادة تقدير لخدماته للثقافة التركية مقدمة من الحكومة التركية عام ١٩٧٣م.

اتَّسمت آراء برنارد لويس بالسلبية إلى حد التطرف تجاه العرب والمسلمين، حيث عزى تأخرهم عن أوروبا لأسباب ثقافية ودينية. كما رأى بأن العالم الإسلامي في حالة صراع مستمرة مع المسيحية وإن فترات السلم ليست إلا استعداد لفترات حرب قادمة.

كما يعتبر أحد أبرز منكري مذابح الأرمن حيث تغير موقفه جِذريّاً من الاعتراف بحدوث «مجازر أودت بحياة أكثر من مليون ونصف على يد العثمانيين»، إلى رفض تسمية ما حدث بالمجزرة واعتبارها «أعمالاً مؤسفة أودت بحياة أتراك وأرمن على حد سواء».

أدى موقفه هذا إلى محاكمته في فرنسا حيث قررت المحكمة كونه مذنبا بتهمة إنكار مذبحة الأرمن وتغريمه مبلغاً رمزيّاً قدره فرنكاً فرنسيّاً واحداً.

المرشد العام للمحافظين الجدد

ولا تذكر المراجع شيئا عن يهوديته التي لا تكاد تعرف إلا من خلال عمق ارتباطه بالحركة الصهيونية، والذي ظهر واضحاً بعد حرب ١٩٦٧ حيث كتب عدة بحوث ومقالات عن علاقة اليهود بالإسلام والمسلمين في مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة،وأسباب الصراع اليهودي الإسلامي وآليات حسمه سلميا أو عسكريا. ولعل أبرز ما دلل على انتمائه للصهيونية هجومه العنيف ضد قرار الأمم المتحدة عام ١٩٧٦م باعتبار الحركة الصهيونية حركة عنصرية، وقد أصدر بعد ذلك كتاب (الساميون - العداء للسامية) عام ١٩٨٦م ليبحث بذور وجذور العداء العربي الإسلامي للسامية فيزعم أن الأقليات اليهودية عوملت معاملة سيئة، وإن لم تصل إلى درجة معاداة السامية التي عرفتها المجتمعات الغربية، ومن الواضح اهتمام إسرائيل به من خلال منحه درجة الدكتوراه الفخرية.

واحتفل به مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بندوة دامت يومين عند بلوغه الثمانين، وقد أوصى بأن تعطى مكتبته الخاصة لمركز موشيه ديان بعد وفاته، ويقضي لويس شهرين سنوياً في تل أبيب.

ونلاحظ مما سبق تأثر لويس بمدرستي الاستشراق البريطانية - الأمريكية تأثره بالعديد من مفكريهما ومنهم أستاذه هاملتون جب الذي أشرف على الدكتوراه وراجع العديد من كتب لويس، وجب هذا معروف بكراهيته للإسلام ومن كتبه (وجهة الإسلام) و (الاتجاهات الحديثة في الإسلام).

ويمثل برنارد لويس -المرشد العام للمحافظين الجدد- وفق تعبير أوليفر مايلز المستعرب البريطاني في الملحق الأسبوعي لصحيفة (الجارديان) البريطانية: (١٧/ ٧/ ٢٠٠٤)، وتكالب عليه المسؤولون والسياسيون فضلاً عن الصحف والمجلات، ودعاه كارل روف، المستشار السياسي لبوش، ليتحدث في البيت الأبيض، وبرز من بين معجبيه كل من ديك تشيني - الموجه (الحقيقي) للسياسة الأمريكية - وريتشارد بيرل زعيم الصقور

الصهيونيين في إدارة بوش وأشدهم غطرسة، كما حقق كتابا لويس: (أين يكمن الخطأ)، و(أزمة الإسلام) (٢٠٠٢) أعلى المبيعات في أمريكا، واستغل هو حال الرعب والصدمة السائدة في أمريكا في ذلك الوقت، وأخذ يقدم نصائحه وآراءه التي شكلت الأرضية الفكرية لسياسة بوش، ولنظرة (المحافظين الجدد) إلى العرب والمسلمين.

الأصولية الإسلامية والغرب

والشاهد أن لويس اهتم في بداياته العلمية بالتاريخ الإسلامي ككلٍّ. كنوع من القراءة الأفقية. لكنه عاد وتبنى المنهج الرأسي من حيث التوسع في معرفة تاريخية الفرق الإسلامية وخاصة الإسماعيلية-موضوع بحثه في الدكتوراه- ومن ثم عاد ودرس التاريخ العثماني والتركي الحديث، وبعد عام ١٩٦٧ تكثفت دراساته عن اليهودية كديانة والصهيونية كنظرية سياسية، وبدأ إنتاجه عن اليهود والمعاداة للسامية - خلال ذلك كان يكتب عن علاقة الإسلام بالغرب والتواصل الحضاري، إلا أن اهتماماته الأخيرة بدأت في التركيز على الأصولية الإسلامية والحركات السياسية الإسلامية، ولعل نجمه الساطع في ذلك يبرز من خلال كتبه الأخيرة، فصدر له كتاب ((أين يكمن الخطأ)) بعد شهر من أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ولم يكن أصلاً مخصصاً لدراسة الأزمة وإنما وجهه لذلك من خلال الخاتمة، ونفدت نسخه خلال فترة قصيرة لشغف القارئ الغربي للمعرفة أكثر عن الإسلام وسبب ما أسماه الكتاب الغربيون بـ «الإرهاب الإسلامي» .. إلا أن مكانته كمفكر يهودي برزت بعد ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ وكان ديك تشيني وريتشارد بيرل - وهما من ركائز الإدارة الأمريكية - معجبين ومساندين له. واستغل لويس حدث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ للنهاية. لاسيما التحريض ضد العرب والمسلمين مستغلا عدم اهتمام الأميركيين بالتاريخ، فكان يظهر في برامج تليفزيونية يحكي فيها قصصا مسلية عن المسلمين، لكنه يدس السم في العسل، فألف كتابيه «ماذا جرى ؟» و«أزمة الإسلام» ٢٠٠٢ وبعدهما «من بابل إلى المترجمين» و«حقيقة المسلمين» وتوالت مؤلفاته عن الإسلام في العصر الحديث مستلهما قوانين التاريخ وأحداثه.

وعاد عام ٢٠٠٣ لإصدار كتاب جديد هو الأكثر عمقا (أزمة الإسلام) وقد نفدت نسخه فور صدورها، فأعيد طباعته مراراً وكتابه هذا يختلف نسبياً عن كتبه التاريخية الأخرى، فهو أقرب للبرنامج السياسي وفيه تأكيد السياسة الأمريكية الحالية ومحاولة لإقناع الأمريكيين بأن الحرب على الإرهاب هي حرب مقدسة،وأنها تتم ضد عدو يضمر شرا للحضارة الغربية بكل مكوناتها.

بين عبد الناصر وبن لادن

وتوالت مقالات لويس السياسية التي يضمها كتابه الأخير (من بابل إلى المترجمين: تحليل للشرق الأوسط ٢٠٠٤)، وهي موجهة أساسًا لإدارة بوش، ثم للرأي العام بعد ذلك: في مقال منها يفسر لويس شعبية بن لادن، فيرجعها إلى حفظه للقرآن الكريم، أن لغته الفصحى جيدة على عكس عبد الناصر وزعماء عرب آخرين الذين اتسم خطابهم السياسي بالارتجال، وقال «إن العرب عبر التاريخ يقدرون الخطباء! «كما يرجع شعبية بن لادن إلى أنه ليس فاسدًا، فهو لم يكن فقيرًا، وأصبح فاحش الثراء كالكثيرين من الحكام وأقربائهم والمحيطين بهم، وإنما هو - بمحض إرادته - ترك حياة الثراء والرفاهية مفضلاً عليها حياة خشنة محفوفة بالمخاطر.

وفي مقال آخر، يشرح أسباب كراهية العرب والمسلمين لأمريكا، فيعزوها لحسد العرب والمسلمين، وأحيانًا الأوربيين لقوة أمريكا ولجاهها، وهذا الشعور بالحسد والحقد يضاعفه لدى المسلمين الشعور (بعمق مأساتهم، فلقرون طويلة كان الإسلام هو أعظم الحضارات على وجه الأرض - كان هو الأغنى، والأقوى، والأكثر إبداعًا في أي حقل مهم من حقول النشاط الإنساني).

ويضيف: (كانت الجيوش الإسلامية والمعلمون والتجار يتقدمون صوب كل جبهة في آسيا وإفريقيا، وفي أوربا، حاملين معهم - كما رأوا - الحضارة والدين للبرابرة الكفار المقيمين خارج الحدود الإسلامية).

ويرى (لقد تغير كل شيء، وبدلاً من غزوهم للمسيحيين والهيمنة عليهم، غزتهم

القوى المسيحية وهيمنت عليهم. وشعور الإحباط والغضب الذي نجم عن ذلك، تجاه ما رأوا أنه قلب للناموس الطبيعي والإلهي، تنامى عبر قرون عديدة، حتى بلغ الذّروة في أيامنا هذه).

وهذه نوعية من تحليلاته أو قراءاته للتاريخ الإسلامي أو ما يسميه عقدة المسلمين، وغير ذلك من الآراء التي بنى عليها أفكاره الجديدة-القديمة والتي ساعد في نشرها على نطاق واسع شهرته غير المحدودة،ومكانته العلمية والأكاديمية وأصبحت أشبه بالمسلمات في الغرب.

لقد طرح برنارد لويس شعار صراع الحضارات قبل هنتجتون .١٩٩٣ وهو الذي أقنع (بوش) بأن سبب كراهية العرب لأمريكا ليس موقفها المساند ظلما لإسرائيل، فهذه الكراهية موجودة حتى قبل تأسيس دولة «إسرائيل»وإنما هو شعور المسلمين بالحقد على الحضارة الغربية (ممثلة الآن بالولايات المتحدة) وهو المروِّج لفكرة أسلحة الدمار الشامل في العراق.وكذلك لفكرة علاقة صدام حسين بتنظيم القاعدة، ومن الصحف والمجلات التي تناولت هذا المفكر اليهودي -على سبيل المثال لا الحصر- جريدة «الغارديان» البريطانية بقلم المستعرب أوليفر مايليز ١٧/ ٧/ ٢٠٠٤ ومجلة «النيويورك ريفيواوف بوكس» عدد ٤/ ١١/ ٢٠٠٤ ومجلة «العربي» الكويتية العدد ٥٢٨ نوفمبر ٢٠٠٢ بقلم الدكتور سليمان إبراهيم العسكري وجريدة «السفير» اللبنانية العدد ٩٤٤٤ -١٢/ ٣/ ٢٠٠٣ بقلم عمر كوش ومجلة «الفيصل» السعودية العدد ٣٤٥ عام ٢٠٠٥ بقلم مازن صلاح المطبقاني ومجلة «العربي» الكويتية العدد ٥٥٨ مايو ٢٠٠٥ بقلم حمدي السكوت وجريدة «نيويورك تايمز» عدة أعداد بقلم إدوارد سعيد.. ومن الكتب «الاستشراق» ١٩٧٨ و«الثقافة والإمبريالية» ١٩٩٣ أيضاً لإدوارد سعيد، لكن الملفت للنظر أن كل الذين تناولوا برنارد لويس بالدراسة والتحليل والتحذير لم يخرجوا عن نطاق الحالة السياسية الراهنة لأواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين، ولم ينتبهوا بعمق إلى محتوى دراساته التاريخية السابقة، والتي رصد فيها ما اعتبره القوانين المحركة للتاريخ الإسلامي صعودا وهبوطا، علما أن خطورة كتاباته

-أي برنارد لويس- في التاريخ العربي والإسلامي لا تقل عن خطورته في استماتته عن الدفاع عن إسرائيل .

ومن المفيد لمن يريد المزيد من معرفة أفكار هذا المستشرق الخطير أن يعود إلى ترجمة د. سهيل زكار كتاب (الدعوة الإسماعيلية الجديدة - الحشيشية) ١٩٧١ ثم أعاد طباعته بثوب جديد وتحت عنوان جديد (الحشيشية - الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية) ٢٠٠٤ علما أن العنوان الأصلي للكتاب للطبعتين، وهو: The Assassins: A Radical Sect in Islam

إن أهم ما جاء في هذا الكتاب هو إلحاحه على فكرة (مكافحة الإرهاب) الذي هو الشغل الشاغل للإدارة الأمريكية الموجهة من قبل مرشدها برنارد لويس وأمثاله، إن مصطلح «الاغتيال الطقوسي» أي الطقوس التي اتسم بها طائفة الحشاشين أثناء تنفيذ عملياتهم المسلحة وهي تعكس الشجاعة التي اتسم بها أعضاء هذا التنظيم، لكن لويس يربطها بحركة حماس والفدائيين الفلسطينيين.

نتنياهو سياسي صغير.. ترجمة/ توفيق أبو شومر

وفي لقاء حصريٍّ مع برنارد لويس في صحيفة هآرتس أجرى اللقاء تسفي هندلر، كتب: «قابلت الفيلسوف برنارد هنري لويس، ولم يستقبلني خادم الفندق، بل استقبلني هو شخصيا، وكان يلبس لباسه العادي بقميص أبيض مفتوح عند الرقبة.

صعدنا إلى البار في فندق رفائيل بباريس، وجلس على الصوفة الحمراء وطلب مني الجلوس على كرسي إلى جواره، وتعطل اللقاء عشر دقائق بسبب مكالمة من طهران.

قال عن دعمه لإسرائيل» في يونيو ١٩٦٧ ذهب للسفارة الإسرائيلية في باريس، وطلب التطوع في جيش الدفاع، كان هذا في اليوم الخامس من الحرب، وبعد يوم توقفت الحرب»

منذ أربع سنوات عندما اشتعلت الحرب اللبنانية وقف برنارد على الحدود تحت مرمى الصواريخ وانضم إلى السكان.

وفي عملية الرصاص المصبوب على غزة ٢٠٠٨، كان أول الذاهبين إلى غزة مع جيش الدفاع، وقد كتب عن ذلك. وتعرض لانتقادات بسبب دعمه لإسرائيل، في وقت الحرب والسلم، وهو يشعر بالارتياح لهذا النقد، حتى يسمع الإسرائيليون نقده، حتى وإن لم يرق لهم يقول: «أنا صديق لإسرائيل لسماعها أقوالي سواء أعجبتها أقوالي أم لا».

لقد وقع الفيلسوف لويس على وثيقة وقعها معه خمسة آلاف مفكر وشخصية ثقافية، وكان في إطار تنظيم يهودي يساري (جي كول) على غرار (جي ستريت) وطالب الموقعون على البيان أمريكا بأن تلزم إسرائيل بحل (الدولتين) وهذا أثار حول برنارد لويس موجة من الغضب في إسرائيل وأوربا قال: «من النادر أن أوقع على عرائض جماعية»

جاء في الوثيقة بأن البناء في القدس الشرقية انتهاك للأخلاق، قال معلقا: «لا أفضل استخدام تعبير(الأخلاق) لقد كنت سعيدا بالتوقيع على الوثيقة، فإذا كنت تؤمن بالصهيونية، فإسرائيل تدخل ضمن اهتمام كل يهودي، فمن المستحيل إقناع اليهود في كل العالم بأن آراءهم لا تكون صحيحة إلا إذا وافقت آراء الحكومة الإسرائيلية، ووفق ذلك يجب منع كل من هو ليس من أنصار الليكود من الكلام، ولا أعتقد بأن أصدقاء إسرائيل وعلى رأسهم أمريكا سوف لا ينتظرون آخر سنة من ولاية أوباما ليطبقوا السلام».

أوباما وفلسطين

يعتقد المفكر برنارد بأن أوباما صديق وفي لإسرائيل:» قابلته في صيف ٢٠٠٤ قبل أن يُرشح للرئاسة، وتحدثنا عن إسرائيل، وكان يعرف إسرائيل معرفة حقيقية، وهي بالنسبة له لا تشبه أية دولة أخرى، فهو يحب إسرائيل ويعتبرها دولة لا نظير لها».

بالنسبة له فإن حب إسرائيل يجب أن يكون وفق مقولة (كيانها في خطر) بسبب الاحتلال والمستوطنات في شرق القدس، فهو يقول: «على كل طرف أن يتنازل عن جزء من اليوتوبيا في القدس، فالفلسطينيون ممن تركوا يافا وحيفا ولا يزالون يحملون مفاتيح

بيوتهم، يجب أن يعرفوا بأن المفاتيح لا تصلح إلا للذكرى، كما أن على إسرائيل أن تتخلى عن حلم إسرائيل الكبرى، فأريحا ونابلس والخليل ليست جزءا منها، وموضوع القدس مؤلم لي أيضا، فهو يوجعني شخصيا، ولكنه يجب أن يُناقش».

(س) لقد وصفتَ نتنياهو بأنه كارثة، فهل وصفك ما زال ساري المفعول حتى الآن؟

(ج) نتنياهو تغير، لقد نضج، لذا لم أعد أنعته بالكارثة، ففي الغرب لم نسمع خطابه في جامعة بار إيلان عندما أعلن عن (دولتين لشعبين) لقد نطق التعبير بصعوبة، فهو يشبه مناحم بيغن عندما أخلى مستوطنات سيناء، وشارون عندما أخلى مستوطنات غزة، وربما سيفعل أكثر قبل انتهاء ولايته، ولكنني لا أرى ذلك»

(س) لماذا؟

«إذا تغير نتنياهو، فلن يملك الشجاعة لقيادة وتطويع الأحزاب الصغيرة التي يتألف منها تحالفه، فهناك قلة من الزعماء ممن يفضلون صنع التاريخ على الاحتفاظ بالائتلاف الحكومي، إن شارون كان أحد صناع التاريخ، أما نتنياهو فإنني لا أرى بأنه كفء للقيام بتلك المهمة».

لقد التقى برنارد نتنياهو مرتين. مرة في باريس عندما قدم يمثل حزب الليكود، والثانية عقب انتخابه يقول عنه: «إنه ذكي ومنطقي وواقعي، يؤمن بإنهاء الاحتلال، كما فهمتُ منه في باريس، غير أنني لم أفهم منه ذلك عندما كنتُ في القدس، فقد تحول إلى سياسي صغير».

شارك برنارد لويس في عشرات المؤتمرات والندوات في تل أبيب ومنها مؤتمر ينظمه مركز(سوزانا دلال) ويُعقد سنويا. وشارك في مؤتمر نظمته السفارة الفرنسية مع هآرتس بعنوان (التحديات الديموقراطية)، وألقي خطابا أكد فيه على ضرورة الديمقراطية الإسرائيلية كإطار لهزيمة العرب إنها نموذج ديموقراطي عظيم، وهي من أقوى ديمقراطيات العالم، فمطالبة الجامعات الإسرائيلية من جامعات العالم أن تقاطعها بسبب

الاحتلال هو نموذج على الديموقراطية. وهو يرى أن إحدى مشكلات النخبة الإسرائيلية تكمن في: «هناك مشكلة عويصة في طبقة السياسيين الإسرائيليين، فهنالك عدد كبير من المفكرين والكتاب، وهم من أبرز كتاب العالم، وهناك شعراء ومهندسون، وهم كأفراد بارزون متألقون، ولكنهم حينما يجتمعون معا في السياسة، يصبحون صغارا».

وعن رأيه في شمعون بيريس يقول:»هو صديقي وأنا معجب به، وهو رجل المرحلة، وخسارة ألا يكون له دور سياسي، ففي التاريخ اليهودي يجب إقحام المسؤول ليصبح ملكا، وهذه عظمة إسرائيل، غير أن ما يحيط بالسياسة من شكوك يجعل السياسيين لا يحظون بالاحترام، والنماذج على ذلك هي داود وسليمان، لقد لُوثا عندما تحملا أعباء السياسة». وكذلك حكام إسرائيل الجدد فقد تعرضوا لمكائد عديدة أدت ببعضهم -منهم بيجين وشارون- إلى الموت السريري كمدا.

آراؤه عن المسلمين

يقول بأن المسلمين لم يكونوا على مرّ كل عهودهم مصدّرين للقهر والاستبداد. في العصور الأوروبية الوسطى، كانت الكنيسة، أعلى سلطة آنذاك، تنفي وتحرق وتعذب وتفتش في الضمائر. كان المسيحيون واليهود المضطهدون يهربون إلى الشرق المسلم طلباً للحرية والأمان. اليوم يحصل العكس. الهاربون من البطش والظلم هم الشرقيون. الوضع الآن انقلب، المسيحيون صاغوا مفهوم الفصل بين الديني والزمني، فيما المسلمون لا يعرفون أصلا هذا المفهوم، وهذه مشكلتهم مع الغرب، مهاجرين كانوا أم مقيمين.. ونقطة «قوة» المسلمين عند لويس هي «وعيهم الشديد بهويتهم».. يعرفون من هم وماذا يريدون. وهذه صفة إيجابية يبدو أن العديد من الغربيين قد أضاعوها، وهي نقطة ضعفهم».

نقطة «ضعف» أخرى لدَى الغرب. ما يسميه لويس «التزامهم البنّاء»؛ والذي يلخّص بتلك الجملة التي يقولها الغربي لنفسه عندما يقف أمام مسلمين: «لنتكلّم معهم. فلنكن معهم ولنرى ما يمكننا أن نفعله». ما أدى إلى ضعف الغرب، إلى بيعه الأسلحة

لصدام حسين ولنظام إيران الإسلامي، والى اعتذار البابا عن الحروب الصليبية... إلى قدرة المسلمين على الابتزاز الدائم. فيورد مثلاً عن أتراك ألمانيا الذين «يودون أن يأخذوا مكان اليهود كضحايا»... ثم يعرج على اليسار الأوروبي، المعادي لأميركا وللسامية، المتحالف مع «المسلمين» اعتقاداً منه أنهم إنما صاروا بديلاً عن الجبروت السوفيتي المنهار بوجه تفرّد أميركا وعدوانيتها.

أخيرا في المحصلة النهائية أو المجردة، يعقد مقارنة بين قوة الطرفين، أوروبا والإسلام، ويرى أنه لدى المسلمين القناعة وحرارة المعتقد المفقودان في الغرب كله، والمسلمون لديهم الوفاء والانضباط، ولديهم الديموغرافيا، أي التنامي السريع في عدد السكان.

أما الغربيون، فلديهم المعرفة والحرية وتراكم أجيال من العلماء والباحثين. وهذه كلها صفات غائبة عن المسلمين «المتأخرين» بشدة.

هل هي المسافة؟ هل هي «الهوية»؟ هل هي المهنة؟ هل هي الحاجة إلى منظومة ترتب الأفكار وتعطيها معانيَ؟ ربما كل هذه معاً جعلت علم برنارد لويس التاريخي بهذه التبسيطية: بين «إسلام» و «أوروبا». وكأنهما كتلتان متراصتان واحدتان. خصوصاً العالم الإسلامي السائر بحسب رؤية لويس، كالساعة المضبوطة بفقه علماء المسلمين... وليست تلك الفوضى الضارية الضاربة في أسس اجتماعهم نفسه.

الإرهاب بمواجهة الغرب

لقد جاءت الظروف بما تشتهي أفكار برنارد لويس الذي استغل ظاهرة «الإسلاموفوبيا» للتركيز على الإرهاب العربي متجاهلا التاريخ الأسود للإرهاب الأوروبي لاسيما إرهاب الدولة الذي جر العالم إلى حربين عالميتين، وكأن النصيب العربي وحده من الإرهاب أعلى من النصيب الأوروبي أو الأميركي. كيف يستطيع لويس أن يجد تفسيرا لإرهاب يطال مدنيين عراقيين يوميّاً بالعشرات، ولمدة ٧ سنوات متتالية «٢٠٠٣-٢٠١١؟ لقد حقق الجيش الأميركي في العراق وأفغانستان الرقم القياسي في عدد ضحايا الإرهاب؟ أم أن ضحايا الإرهاب من العرب إرهابيون بدورهم؟

الشاهد أن برنارد لويس لعب دورا تحريضيا يخرجه من وقار البحث العلمي إلى التحريض السياسي المباشر ضد العرب والمسلمين ويصدق عليه وصف القائم بالتعبئة التاريخية من أجل نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط يقوم على هدم فكرة الوطن العربي ومشاريعه السياسية والتنموية من جهة وإقامة شرق أوسط جديد تلعب فيه تركيا وإسرائيل وقطر أدوارا وظيفية مختلفة تتركز على أنقاض الدولة الوطنية وتفكيكها وإعادة رسم خريطة المنطقة وفق سايكس بيكو جديد، والغرض النهائي هو تمكين إسرائيل من لعب دور القيادة التكنولوجية في نظام إقليمي جديد.

العلاقة مع كونداليزا والشرق الأوسط الجديد

بشرت (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة بولادة «شرق أوسط جديد»، سينمو ليحقق «حلا سحريا» لعلاج أزمات المنطقة المزمنة!! ووضحت عبارتها بالآتي: «حان الوقت لوجود شرق أوسط جديد.. حان وقت القول لمن لا يريدون شرق أوسط جديدا إن الغلبة لنا»!!

إن هذا الكلام لم يأت من فراغ إنما يستند إلى وثائق معززة بخرائط مرسومة بعناية وقد تم تداولها في حزيران/ يوليو ٢٠٠٦م في تل أبيب على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك كوندليزا رايس في الوقت الذي قالت وسائل الإعلام الغربية أنها استخدمت عبارة لتحل محل العبارة الأقدم «الشرق الأوسط الكبير»، إن المراحل التحضيرية لهذا المشروع استمرت لسنوات عديدة»

في ٢٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٧م نشرت صحيفة الديار اللبنانية تقريراً من باريس عن محاضرة للسفير الأمريكي الأسبق في لبنان «ريتشارد باركر Richard Parker» قال فيها «إن الرئيس جورج بوش سيعمل خلال الفترة المتبقية من ولايته الرئاسية على وضع أسس ثابتة لمشاريع خرائط طرق لمنطقة الشرق الأوسط تنطلق من تطلعات القسم الأكبر من ممثلي الأقليات الدينية والمذهبية والعِرْقية التي تتمحور كلها حول ضرورة منح الحكم الذاتي لهذه الأقليات عبر إقامة أنظمة حكم ديمقراطية فيدرالية بديلة للأوطان والحكومات القائمة».

الفصل الثاني

٢

برنارد لويس والعشاء السري بين أوباما وتويتر

* «السينتكوم» المشرف العام على الأنشطة العسكرية في ٢٧ دولة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والخليج العربي المسمي (القيادة المركزية الأمريكية)

* أميركا والمسيحية الصهيونية ونظرية البطة

* إسرائيل استغلت انهيار الكتلة الاشتراكية في أوروبا للتغلغل فيها بدعم أميركي.

في رأي برنارد لويس أن الشعوب درجات وهي نظرية عنصرية لكن لا يهم هنا طالما أنها ستؤدي إلى نتائج عملية يصفها لويس بأنها أخلاقية حتى وإن كانت المقدمات عنصرية وغير أخلاقية، ويستند لويس على عبارات مريبة ومنها **أن التراث الاسلامي** شيء، والتراث اليهودي المسيحي شيء آخر، ولا يمكن **أن يلتقيا، بل انهما في** صراع دائم يصل إلى حد الاقتتال وما أحداث ١١ أيلول سنة ٢٠٠١ **إلا تعبير عن جوهر** الصراع بين المخزون الثقافي والتراثي بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة أخرى.

ويعترض المفكرون الإسلاميون على هذا الرأي بالقول إن «كل علماء الأديان قالوا بأن الإسلام ينتمي إلى الديانة التوحيدية، مثله في ذلك مثل اليهودية والمسيحية، ولا يوجد أي خلاف بينهما على هذا الصعيد، وأي قارئ للتوراة والإنجيل والقرآن يعرف ذلك، ومع ذلك فإن المستشرق الصهيوني مصرٌّ على موقفه المتصلب. وفي رأيه إن الإسلام شيء والعلمانية شيء آخر، ولا يمكن أن يلتقيا لأن الإسلام دين غير قابل للتطور على عكس المسيحية واليهودية! وهكذا نلاحظ أنه يحشر الإسلام في خصوصية ضيقة تستعصى على كل تقدم أو إصلاح، وهو يرى أن الإسلام دين المتخلفين، والمسيحية اليهودية دين الحضاريين!» وبرنارد لويس، هو المسؤول عن شيوع مصطلح الشرق الأوسط، وتعميمه لكي يحل محل مصطلح الوطن العربي، فهو يعتبر مصطلح «الوطن العربي» مصطلحا شوفينيا وعنصريا في المبتدأ والخبر في حين أن مصطلح الشرق الأوسط الكبير منفتح على إسرائيل وتركيا وإيران ويصل إلى دول أخرى تتسع له رئة الشرق الأوسط غير المحدود الطاقات والإمكانات،وهو يعتبر أن وجود الدول العربية بصيغتها الحالية يعوق عملية التطور في اتجاه الخريطة الجديدة وأن تقسيم الدولة العربية ليس مؤامرة عليها وإنما إعادة دمجها في فضاء جغرافي أوسع.

والمصطلح الأول فضفاض، حيادي، لا لون له ولا طعم.. إنه مجرد مصطلح جغرافي لا أكثر ولا أقل، وقد بلوره لكي يدمج إسرائيل في المنطقة، ثم وسعه لكي يشمل أمماً أخرى غير عربية كالفرس والأتراك، بل وحتى الأفغان، وهكذا ذاب العرب في

خصوصية أخرى أكبر منهم ولا علاقة لها بلغتهم أو تراثهم الأدبي.

وقد أخذ بوش عنه هذا المصطلح لكي يطرح مشروعه عن إصلاح الشرق الأوسط الكبير أو تشكيله. وهو بهذا المعنى يشمل منطقة شاسعة واسعة تمتد من حدود المغرب الأقصى وحتى حدود أفغانستان والباكستان، وبالتالي فلا يوجد عالم عربي، وإنما يوجد إطار جغرافي واسع تختلط فيه الأعراق والأقوام واللغات. بل وأكثر من ذلك، لا توجد دول قومية كسوريا مثلاً أو العراق، أو لبنان، أو حتى مصر، وإنما توجد طوائف وأعراق. فهناك الشيعة، وهناك السنة، وهناك الأكراد، أو العرب، أو البربر في إفريقيا الشمالية. ويلوم المنظِّرون الإسرائيليون والأميركيون الإمبراطوريات الاستعمارية السابقة كفرنسا وإنجلترا وإسبانيا لأنها شكلت دولاً.

وفي مجمل مؤلفاته يروج برنارد لويس لنظرية خطيرة هي أن الولايات المتحدة الأميركية هي دولة الخير في مواجهة دول شريرة، وأنها لا تطمع في ثروات العراق، ولا موقع مصر وسوريا،ولا تتحرش مجانيا بإيران، ولا تمثل الاستعمار الجديد، بل هي محاطة بمحيطين الأطلنطي والهندي وقد وضعها الله بعيدا عن الأشرار.

وقد تبنى تلاميذ لويس هذه النظرية وأسرفوا في شرحها وترويجها.ونرصد ذلك في كتاب روبرت موري. وهذا الكتاب بعنوان «الصرح» لمؤلفه نيل فيرگسون. بداية يشير فيرگسون، بنوع من السخرية، إلى حادثة بسيطة مفادها أنه بينما كان يحاول إيضاح وجهة نظره ذات يوم، لجأ ديك دارمان، مدير خزينة جورج بوش الأب إلى استعارة اكتسبت من يومها شهرة عالمية. قال دارمان إذا كنت في ريبة من أمر ما فما عليك إلا أن تخضعه لاختبار البطة. «فإذا وجدته يبدو كما تبدو البطة، ويسير كما تسير البطة، ويتكلم كما تتكلم البطة، فعندها يكون من المحتمل أن يكون بطة».

وفي عهد بوش الابن كان يعتقد أن الولايات المتحدة يمكن أن تجتاز اختبار البطة أمام كل من يريد أن يعرفها كإمبراطورية، رغم كل ادعاءاته أو ادعاءات أركان إدارته التي تزعم العكس. فجورج دبليو بوش يزعم أن «أميركا لم تكن مطلقا إمبراطورية.»

ويقول وزير دفاعه السابق دونالد رمسفيلد «إننا لم نكن أبدا دولة استعمارية، إننا لا نخرج بجنودنا إلى أنحاء العالم في محاولة للاستحواذ على ما لشعوب أخرى من موارد وأراض ونفط. إن هذا بالضبط هو ما تحجم الولايات المتحدة عن فعله، وهو ما لم نفعله ولن نفعله» أما وزير الخارجية الأميركي السابق كولن باول فيؤكد قائلا «إن الولايات المتحدة لا تسعى إلى إقامة إمبراطورية على الأرض. فنحن لم نكن أبدا إمبرياليين، لكننا نسعى إلى إقامة عالم تصبح فيه الحرية، والرخاء، والسلام ملكا لكل الشعوب، وليس مجرد امتياز خاص للأقلية.»

لكن مؤلف كتاب «الصرح» لا يخامره شك في كون الولايات المتحدة إمبراطورية بحق وحقيقة. لكن فيرگسون لا يحاول تأكيد إمبراطورية الولايات المتحدة من موقع ناقد لهذه الصفة، بل مؤيد ومناصر لها، وأكثر من ذلك معاتب للولايات المتحدة لأنها تقف في منتصف الطريق من دون استكمال مشروعها الإمبراطوري بجعلها إمبراطورية ليبرالية. لكنه لم يفوت الفرصة للمجاهرة بقدرات إمبراطورية العنف الجديدة هذه. يشير فيرگسون إلى القدرات الاقتصادية والعسكرية الهائلة للولايات المتحدة. فقد كان للولايات المتحدة، قبل قيامها بإرسال القوات لغزو العراق، ٧٣٢ منشأة عسكرية في أكثر من ١٣٠ دولة. وتعادل ميزانية وزارة الدفاع الأميركية مجموع ميزانيات الدفاع في الدول الـ١٢ أو الـ١٥ التي تليها، ويشكل الإنفاق العسكري في الولايات المتحدة ٤٠ - ٤٥٪ من مجموع الإنفاق العسكري لكل دول العالم الـ١٨٩. ولدى الولايات المتحدة من الدبابات ما يفوق ما لدى أية دولة أخرى، إضافة إلى كونها الدولة الوحيدة في العالم التي تمتلك «الحاملات الفائقة» التي يبلغ عددها تسع حاملات وطائرات «الشبح» غير المرئية التي تمتلك ثلاثا منها.

عبر الكتاب يتعرف القارئ على محاولات فيرگسون العديدة لمقارنة إمبراطورية الشر الأمريكية بسابقتها الإمبراطورية البريطانية، وطنه الحقيقي، فالرجل أصلاً من اسكتلندا. ويعرض نقاط الاختلاف بينهما فيما يتعلق بدور الاثنتين كقوة عالمية مهيمنة. يقول لنا فيرگسون إن «مجموع الناتج الإجمالي المحلي الأميركي عام ٢٠٠٢، محسوبا

بالسعر الدولي للدولار ومعدلا تبعاً للقوة الشرائية المتناظرة، قد قارب ضعفي الناتج الإجمالي المحلي للصين، وتجاوز نسبة الخمس (٢١،٤٪) من مجموع الناتج العالمي، وزاد على الناتج الياباني والألماني والبريطاني مجتمعين. وهذا يتجاوز بما يزيد على الضعفين النسب العليا التي حققتها حصة بريطانيا العظمى من الإنتاج العالمي عندما كانت إمبراطورية تهيمن على الأسواق العالمية.

حرب الأفكار الأميركية

تقول دراسة عربية إن الإدارة الأمريكية مع مطلع الألفية الثالثة راحت تبحث عن خطط جديدة لاختراق الدول، وتدعيم الحركات والأحزاب المعارضة، وهو ما عرف باسم حرب الأفكار، ونشطت المعاهد الأمريكية في البحث عن صيغة جديدة، الهدف منها تلافي أخطاء وكالة المخابرات ومشاكل تورط الإدارة الأمريكية في الحروب المكلفة، وانتهت الدراسات إلى أن الأسبقية يجب أن تعطى للاختراق عبر ما يسمى منظمات المجتمع المدني، بحيث تقوم هذه المنظمات المدعومة والموجهة أمريكيا بصورة سرية بالعمل بشكل شرعي لتأتي بنتائج كانت تكلف بها المخابرات. وهكذا أصبحت تلك المنظمات تلعب فوق المنضدة نفس الدور الذي كانت تلعبه المخابرات من تحت المنضدة.. المشكلة أن كثيرين تأخذهم البراءة الوطنية ولا يدركون ما يحدث حولهم، وأن بعض ما يمر أمامهم ليس بهذه البراءة لكنه صناعة أجهزة ومؤسسات تمويل لها أهداف أخرى.

استعمار الكوكاكولا وماكدونالدز

وبقدر تعلق الأمر بكل من الإنتاج والاستهلاك، فإن الولايات المتحدة تعتبر إمبراطورية أغنى بكثير مما كانت عليه الإمبراطورية البريطانية في أي يوم من أيامها». أما سيادة الثقافة الأميركية فأمر لا يكاد يوجد من يشكك فيه. وكفى بـ«استعمار الكوكا كولا» شاهدا عليه. أما إذا أردت الاستشهاد بمطاعم «ماكدونالدز» فإن فيرگسون يخبرك بأن عددها قد فاق الثلاثين ألف مطعم تعمل في ٤٧ دولة وموقعاً على امتداد

العالم، وأن أقل من نصف هذا العدد فقط موجود داخل الولايات المتحدة.

لقد كان السقوط المريع للكتلة الشرقية قد هيأ الفرصة التي كان الصهاينة بانتظارها لخلق الإمبراطورية الجديدة، باسم أمريكي وبتوجه صهيوني إسرائيلي. فقد سارعت الإدارة الأمريكية إلى بناء القواعد العسكرية في الجمهوريات الإسلامية التي كانت منضوية تحت سلطة الاتحاد السوفيتي، وكذلك بلدان أوربا الشرقية وجورجيا للانضمام إليها في مغامراتها العسكرية في كل أرجاء المعمورة، هذا وكان المفكر اليساري نعوم تشومسكي في طليعة من نبه إلى هذه الخطة التي بدأت فصولها تتكشف بوضوح بعد فخ الكويت الذي وضعته دوائر القرارات العليا، والذي وقع فيه صدام حسين بكل تسرع وغباء! وأصبح الخليج بعدها قلعة عسكرية منيعة لحماية مخططات الصهيونية وأحلامها في تحقيق إمبراطوريتها الموعودة. فكتاب «طموحات إمبريالية» يقدم مجموعة من المقابلات مع المفكر الأميركي أجراها ديفيد برساميان حول تبريرات الغزو الخارجي، ومنهج الضربات الأميركية الاستباقية، والدول المارقة، والتهديد المتنامي الذي يشكله الاندفاع الأميركي نحو الهيمنة على السلام الدولي، ونظام الدعاية الصهيوني الأميركي الذي يختلق الماضي الخرافي، وينشر الوقائع غير الملائمة من التاريخ.

ويمضي تشومسكي إلى القول إن سياسية المجموعة الحاكمة في الولايات المتحدة للسنوات القادمة تبدو قائمة على مؤسسة سلسلة من البرامج الشديدة الرجعية، من عجز هائل شبيه بما فعلوه في الثمانينيات (الحقبة الريجانية) وتقويض البرامج الاجتماعية، وتقليص الديمقراطية، وسيكون الإرث الذي سيخلفونه صعبا في الداخل.

وعلى الصعيد الدولي يأمل الأصوليون اليمينيون الجدد بتوجيه من القيادة الصهيونية مأسسة مذاهب الهيمنة الإمبريالية من خلال القوة والحروب الوقائية المنتقاة. فالولايات المتحدة متفوقة عسكريا، وتأمل المجموعة المهيمنة عليها اليوم أن تتحرك في اتجاهات خطرة، مثل عسكرة الفضاء استنادا إلى القوة الطاغية بصرف النظر عما يحل بالاقتصاد، وإطلاق يد إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط. وتخطط السياسات الأميركية بناء على إستراتيجيات دعائية تتجاهل رأي الناس وموقفهم، وتفترض أنهم جهلة وأغبياء لا

يدركون مصالحهم أو تتوسل بهذه المقولة لتغطية برامج فردية واستبدادية للحكم والقرار والإدارة.. وهناك بالطبع نضالات أمريكية سياسية واجتماعية لمواجهة هذه الطموحات الإمبريالية، وتبدو مكاسبها ضئيلة، ولكنها طبيعة هذه الحركات والدعوات. ويدعونا تشومسكي إلى النضال المصحوب بالصبر، ويذكرنا بدعوات إلغاء الرق وكم احتاجت من وقت، حتى أمكن بالفعل إنجاز أعمال وبرامج للسلام والعدالة.

إن الهدف الأساسي للجمهوريين الجدد هو توسعة مزايا الأغنياء من حلفائهم وفرصهم في الولايات المتحدة والعالم، والتخلي عن برامج الضمان الاجتماعي والرعاية الصحية والاجتماعية، ولا سبيل لتحقيق تأييد الناس إلا بإخافتهم وإرهابهم. وبغير ذلك فإنهم سينظمون أنفسهم وأصواتهم الانتخابية باتجاه العدالة الاجتماعية. ولكن الإرهاب فرض عليهم أن يتخلوا عن مصالحهم وأولوياتهم من أجل حماية أنفسهم. وتحت غطاء هذه الحماية يمرر الجمهوريون أجندتهم في التغلب على العدو الرهيب، وهو عدو تم انتقاؤه بدقة ليمكن سحقه بسهولة. ويحتاج المواطنون والناس جميعا في العالم كله لمواجهة هذا الطوفان الدعائي إلى استخدام ذكائهم العادي، وتفحص الطوفان الإعلامي بالحس السليم العادي والذكاء المتشكك.

معارضون فوق السن

لماذا يواجه نشطاء العدالة الاجتماعية في الولايات المتحدة دائما بسؤال مثل «ما الذي علينا أن نفعله؟» وهو سؤال لا يطرح في العالم الثالث بل الناس هناك يخبرونك بما يفعلونه، ومن الملفت للاهتمام في الولايات المتحدة أن معارضي سياساتها هم من الأساتذة وكبار السن بعد أن كان المعارضون لحربها في فيتنام في الستينيات من الشباب وطلاب الجامعات، فهل يعني ذلك أن معارضة الحرب قد ولت إلا من بقايا معارضيها أنفسهم في الستينيات؟ الواقع أن حملة الستينيات بدأت بعد سنوات من الجهود القاسية وغير الملحوظة لتتحول إلى حركة شبابية ومجتمعية كبيرة.

هذا ما يتوقع تشومسكي حدوثه في الولايات المتحدة، ولكن ثمة حملة إعلامية

وسياسية إغراقية لعدم الإقرار بالتاريخ الفعلي، ولأجل ألا تدرك أن الجهد المتفاني والملتزِم يمكن أن يحدث تغييرات كبيرة، وتلك فكرة خطيرة يجري محوها من التاريخ.

العودة إلَى برنارد لويس كمرجع فكري

السياسيون في البلدان المتقدمة لا يتخذون قراراتهم إلا بعد استشارة كبار الخبراء والاختصاصيين في الموضوع. ومن هو المختص الأكبر بالإسلام ومنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي ككل بالنسبة للسياسيين الأمريكيين؟

إنه برنارد لويس، المستشرق العجوز الذي ولد في لندن عام ١٩١٦، كل الدلائل تشير إلى أنه يمثل المرجعية الكبرى بالنسبة للمحافظين الجدد.

ويقتبس الكاتب هاشم صالح من الصحافي الفرنسي ريشار لابيغيير وكتابه الهام الصادر في العاصمة الفرنسية، والذي قال فيه بأن الصهيوني الذي يعمل أستاذا في جامعة پرنستون مارس تأثيراً كبيراً على كل الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ عهد رونالد ريجان وحتى أوباما فيما يخص قضايا الشرق الأوسط. وينصحنا أن نراجع كتاب «التراجع الكبير. بغداد بيروت»، أي تراجع شيراك عن السياسة العربية لفرنسا والتحاقه بالمخطط الأميركي الإسرائيلي. وكما قلنا برنارد لويس هو المسؤول عن مصطلح «صِدام الحضارات» الذي سرقه منه صموئيل هنتنجتون وخلعه على كتابه الشهير حتى ظن الناس أنه هو الذي اخترعه! ولكننا نعلم أن برنارد لويس تحدث عن صدام الحضارات بين الإسلام والغرب خصوصاً منذ عام ١٩٦٤. هذا في حين أن كتاب هنتنجتون لم يظهر إلا في أواسط التسعينيات، أي بعد ثلاثين سنة من بلورة لويس له. لكن ما هي الأطروحات الأساسية لهذا المستشرق الصهيوني المحنك؟

استعمار الفيس بوك وتويتر

في الفكر السياسي الأميركي الجديد تلعب وسائل الاتصال وخاصة الحديثة منها الفيس بوك وتويتر وجوجل دورا مهما في تصدير الأفكار المطلوب ترويجها، بما في ذلك

إنشاء مواقع إليكترونية لبث الفتنة وترويج أفكار ومواقف تصب في عملية الأزمات الطائفية ودفع الشعب العربي لكي يتقاتل بعضه البعض،ضمن الأدوات الإستراتيجية لتحقيق هدف تقسيم الوطن العربي وشمال إفريقيا والسيطرة عسكريا عليه،جاءت فكرة تأسيس «السينتكوم» المشرف العام على الأنشطة العسكرية في ٢٧ دولة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والخليج العربي المسمي (القيادة المركزية الأمريكية) وهي قوة انتشار سريع أُنشئت عام ١٩٧٩م لمواجهة الخطر السوفيتي وتقوية إيران خط الدفاع أمام أي غزو سوفيتي ومساعدة القوات الأمريكية للسيطرة على أفغانستان التي تحت حكم طالبان.

وبدءا من عام ١٩٨٨م تم تركيز القيادة في مياه الخليج العربي لمواجهة وتدمير العراق والسيطرة علي الخليج العربي وإنشاء مركز قيادة في قطر في قاعدتين تبعدان عن الدوحة ١٥٠ كم وهي (قاعدة السيلية) و(قاعدة العديد) وهي تعادل مركز القيادة العسكرية الأم في ولاية فلوريدا الأمريكية.

ونشير هنا إلى إعلان الجنرال فلاديمير افتشينكي Vladimir Avchenki رئيس فرع الإنتربول في روسيا في لقائه مع صحيفة «كومسومو لسكايا برافدا Komsomolskaya-Pravda» إلى موضوع «العشاء السري»، حيث ذكر أن أوباما دعا بعد تنحي الرئيس المصري، مديري فيسبوك وغوغل وتويتر وياهو وغيرها من شركات تقنية المعلومات الأميركية، إلى عشاء في البيت الأبيض. ويربط الجنرال بين هذا الأمر وبين تسريبات موقع «ويكيليكس».. كما أعلن البيت الأبيض في ٢٥ مايو ٢٠١١م أن الرئيس الأميركي باراك أوباما عين المدير العام لموقع تويتر وأحد كبار مسؤولي مايكروسوفت مستشارين لأمن وسائل الاتصال.

وبالإضافة إلى ديك كوستولو المدير العام لتويتر، وسكوت شارني المسؤول عن سياسة الأمن الداخلي لدى مايكروسوفت، طلب الرئيس الأميركي أيضاً من مسؤول شركة ماكفي للأمن المعلوماتي ديفيد ديوالت، وليزا هوك من شركة نوستار الانضمام إلى مجلس الأمن القومي للاتصالات. وقال أوباما كما جاء في بيان للبيت الأبيض «يسعدني

ان أعين رجالاً ونساءً يتمتعون بهذا القدر من الأهمية في مناصب حساسة وأشكركم».

وأشار أوباما إلى ضرورة نشر الثقافة الأميركية في الوطن العربي عن طريق المعطيات الحديثة معبرا عن امتنانه للدور الذي لعبه «غوغول» في الربيع العربي»..

وبالفعل بدأ تويتر وغوغول والفيس بوك في نشر موضوعات تتعارض مع رسالة هذه المواقع ومنها التفرقة والتمييز الطائفي في الوطن العربي وإبراز دور اليهود في صناعة الحضارة الغربية والتأكيد على أنه ليس هناك مكان للعرب في عالم الغد إن لم يدخلوا تحت عباءة الحضارة الغربية ومكونها اليهودي.

وليس هناك من استوعب التراث اليهودي مثل برنارد لويس، فقد لجأ إلى كل ما خطه اليهود من أوراق وصور ومستندات، أو ما كتب عنهم بما في ذلك الشائعات، وقارن بين الرؤَى الأصلية اليهودية، وتحليلات غير اليهود، كما اطلع على الأساطير التي أحاطت باليهود واعتبر كل ذلك الإنتاج هو مواد خام يستطيع من خلالها فهم العالم وتفسير حركته، توقف كثيرا عند العبارات التالية واعتبرها المفتاح أو القانون الحاكم والناظم لحركة اليهود في العالم:

١- «سنبدأ بتنظيم احتكارات عظيمة هي صهاريج الثروة الضخمة لتستغرق خلالها الثروات الواسعة للأميين -غير اليهود- إلى حد أنها ستهبط جميعا، وتهبط معها الثقة بحكوماتها يوم تقع الأزمة السياسية».

٢- «بمعاونة الذهب، وكله في أيدينا، سنقوم بعمل الأزمات الاقتصادية العالمية ونصيب الصناعات بالتوقف وننشئ احتكارات ضخمة لخدمة المصالح اليهودية».

تلك العبارات التي ذكرت ليست لكاتب شهير أو فيلسوف عالمي وإنما هي فقرة من المخطط اليهودي الصهيوني أو مسودة خطة العمل «بروتوكولات حكماء صهيون» التي ظهرت علي يد الكاتب الروسي البروفسور «سرجي أ. نيلاس في روسيا عام ١٩٠٥م والتي تلقى المتحف البريطاني نسخة منها في «أغسطس» عام١٩٠٦م. وهو يهدف من

نشرها أن يكشف مؤامرة كان يؤمن بأنها غاشمة ومدبرة للقضاء على المدنية المسيحية طبقا لفكر نيلاس.. ويمكن وصفها بأنها المخطط التفصيلي للسيطرة على العالم بواسطة المنظمات السرية الصهيونية..

وبعد سنوات من الإهمال غير المقصود إلى الأشهر في العالم كمستند رئيسي ومادي للسيطرة على العالم وامتلاك مقاليد حكم العالم في قبضتهم.

ففي روسيا البلشفية كانت عقوبة حيازة الذهب هي الموت بعينه، كذلك في جنوب إفريقيا بلد الماس وأكبر المناجم في العالم إنتاجا التي يملكها ويسيطر عليها اليهود.

وتلك المخططات وأفكار اليهود التي توصي بها كتبهم «التوراة والتلمود»، أنكرها اليهود وليست لهم أي علاقة بها وقالوا عنها (إنها مزورة وزائفة، وهي أدب يضعف الروح المعنوية).

وقد ثبت قضائيا في محاكمة برن بسويسرا أنها ليست زائفة أو مزورة، وأنها مخطط دقيق ومحكم جري ويجري تنفيذه بحرفية كبيرة.

اليهود والنفط والسفن

أما كبرى شركات البترول العالمية التي يحتكرها اليهود فهناك شركة اسمها «ستاندارد أويل أوف نيو جرسي» المملوكة لروكلفر اليهودي، وهي أصل سائر الشركات التي تحمل اسم ستاندارد ومنها: شركة شل العالمية للبترول»، شركة «دتش العالمية للبترول». وهم أصحاب الامتيازات التي تمنح في المستقبل في صناعة البترول، وهي إمبراطورية صناعية كبرى، والممول الرئيس لحملات الانتخابات في أوربا والقوة المؤثرة في القرار السياسي الأمريكي خاصة الخارجية وتمويل حزبي الحكم فيها «الجمهوري والديمقراطي».

ويعتقد برنارد لويس أن اليهود ينبغي أن يتربعوا على عرش كافة الصناعات الكبرى التي يمكن أن يصاب العالم العربي بشلل إذا حاولوا استخدام سلاح النفط ضد اليهود، قائلا في إحدى مقالاته: «ينبغي أن تكون أرواحهم في أيدينا» وقد انعكس هذا الفهم مع احتكار اليهود لصناعة السفن وكبرى شركات الملاحة في العالم..

وشركات الكمبيوتر الكبرى مثل «IBM –DELL –HP»

شركات الإنترنت والتحكم في شبكتها العنكبوتية مثل «جوجل التي وضعت العلم الإسرائيلي شعارا لها في بعض الشهور رغم اعتراض العرب - ياهو - تويتر - فيس بوك - هوت نيل - مايكرو سوفت - سكاربي» ويمتد الأمر إلى سلسلة المطاعم الشهيرة التي تمول من أرباحها المشروع الصهيوني ومنها: سلسلة المطاعم الشهيرة والغازية في العالم مثل «ببسي- كوكاكولا- كنتاكي- ماكدونالد- هارديز- بيتزا هات- تكساس- دنكن دونتس- ومبي- مجموعة سنسبري للمواد الغذائية - إريال- تايد- نستله- هانز كاتشب- شكلس.

اللوبي اليهودي ومرتكزات برنارد لويس

ومن ضمن مرتكزات برنارد لويس لتعبئة اليهود في مؤسسات أو حشد الطاقات لتجاوز أي قدرة مالية أو تسليحية عربية على القرار في الكونجرس، اعتمد لويس على أدوات جديدة في السيطرة على القرار.

وكثيرا ما تعد السفارة الإسرائيلية في واشنطن والقنصليات الموجودة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة حملات لجمع المعلومات تقوم على تمكين الخطباء والطلاب الإسرائيليين من حضور المؤتمرات والمشاركة في مناسبات اجتماعية.

وتقوم السفارة وقنصلياتها باستمرار باستضافة الأساتذة والناشطين الاجتماعيين، إضافة إلى رعاية رحلات إلى إسرائيل مخصصة للصحافيين وقادة الكنيسة، كما توفر أبحاثا متعلقة بالجذور والحقوق التاريخية لشعب الله المختار(!) لمجموعة واسعة من اليهود الأمريكيين والأكاديميين والمنظمات السياسية والاجتماعية.

ونتيجة لذلك فإن تأثير الجهود الضاغطة لليهود يتجاوز الوجود الديموغرافي للجالية في الولايات المتحدة.

ففي عام ٢٠٠٠ قدر عدد اليهود بحوالي ٢،٥ ملايين شخص، وهم يشكلون ٢،٥٪ من سكان الولايات المتحدة الأميركية. ولكن تمثيلهم في الكونجرس بمجلسيه وفي

البيت الأبيض والأعلام والمؤسسات التعليمية والمالية ودوائر القرار الهامة، على مستوى الحكومة الفدرالية المركزية وحكومات الولايات المحلية، يتجاوز تلك النسبة أضعاف ذلك بالكثير الكثير. كما أن المنظمات الإسرائيلية لا مجال لحصرها، فهناك منظمات اليهود الأميركية الرئيسة، مثل اتحاد الحاخامات الأميركيين، والمنظمات الصهيونية النسائية والأكاديمية والطلابية والدينية والصحفية....إلخ.

ويُعتبر أكثر من نصف أعضاء الكونجرس البالغ عددهم ٥٣٥ مؤيدا لإسرائيل، في حين أن المؤيدين للعرب يتراوح عددهم بين ثلاثة إلى ستة أعضاء. وتلعب المؤسسات الصهيونية دوراً فاعلاً في الانتخابات الوطنية والمحلية بشكل مستمر. فقد أنفقت لجان العمل السياسي الصهيونية بين العامين ١٩٩٠-٢٠٠٤ مبالغ قدرت بحوالي ٤١٣،٣ مليون دولار لمرشحين وحملات انتخابية لمساعدة مؤيدي إسرائيل على النجاح. ولقد خلق هذا الحضور مناخاً كانت نتيجته أن المسائل المتعلقة بالشرق الأوسط، والحقائق المرتبطة بها تقدم محرفة ومشوهة، لأنها غير معروفة من قبل الغالبية العظمى من الأميركيين، ناهيك عن ممثليهم السياسيين. ونضرب مثالا هنا لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (آي پاك)، وهي منظمة الضغط الأكثر فعالية التي تعني بالشرق الأوسط. تقوم هذه المنظمة بإرسال وقائع وأساطير وتقارير حول الشرق الأوسط، ومجموعة وافرة من منشورات لكتَّاب موالين لإسرائيل إلى مسؤولي البيت الأبيض والسياسيين.

تشير جانيس ج. تيري في كتابها «السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط، دور جماعات الضغط ذات الاهتمامات الخاصة»، إلى أنه في ظل رئاسة كارتر أرسلت اللجنة برسالة إلى كارتر حتى يبدي اهتمامه بها، بما أنه قد لا يكون على علم بالوقائع الحقيقية لحرب ١٩٤٨. ويبذل ممارسو الضغوط من أفراد هذه الجماعة جهودا كبيرة للاحتفاظ بعلاقة وثيقة مع مجموعة كبيرة من المسؤولين الحكوميين، بدءا بالرئيس وحتى أصغرهم مرتبة، وذلك من خلال إلقاء الخطب وتوجيه رسائل الدعم والتقدير، وتدشين مبانٍ، ودعوتهم إلى مؤتمرات وندوات، ومناسبات وحفلات اجتماعية. وفي ذلك

كانت الأفضلية للإسرائيليين وجماعات الضغط الموالية لها للوصول إلى صانعي القرار. أضف الى ذلك تأثيرها على وسائل الإعلام ومؤسسات المال والبحوث السياسية ومؤسسات التعليم العالي المتميزة. وفي هذا السياق تلعب وسائل الإعلام خاصة دورا محوريا واضحا، وغالبا ما كان للانطباعات الشعبية السلبية السائدة التي تتناول المسلمين والعالم العربي تأثيرات سلبية على السياسة الخارجية الأمريكية حيال الشرق الأوسط، فتلعب المواقف والانطباعات الصادرة عن مجموعة واسعة من الرسميين والسياسيين دورا هاما في التأثير في ما يدعمون من سياسات أو يعارضون.

الهيمنة الثقافية «جائزة نوبل»

وأدرك لويس في وقت مبكر من حياته أحد قوانين عالم السياسة والإستراتيجية، وهي الهيمنة الثقافية بحيث يبدو اليهود «شعب الله المختار» من الناحية الفكرية والثقافية، وليس هناك أكثر من لويس تميزا في ظاهرة «الحكي»، فاليهود لاسيما في أوروبا وأميركا يتميزون بالقدرة الفائقة على الحكي، واستغلال حفلات الشواء في الحدائق العامة لكي يقف أحدهم، ويقص على الحاضرين بعض القصص الدينية أو التاريخية المشوقة، ويدسون السم في العسل، وينسبون إلى العرب والمسلمين ما ليس فيهم وهم يستغلون ضعف معرفة الغرباء بالتاريخ الإنساني، ويحكون التاريخ من وجهة نظرهم، ويشكلون جماعات وأصدقاء يؤثرون في العملية الانتخابية عندما يأتي موعد الاستحقاق الانتخابي.

واعتمد اليهود بشكل عام على الجمع بين المال والعقل.من خلال السيطرة والتحكم في المال الذي يسحر العقول المتميزة وعالية الذكاء.ويتم تجنيدها ويطوعها لتنفيذ جميع التعليمات والأوامر الصادرة، ولكن لابد من فرز هذه العقول من بين المبدعين في الخارطة العالمية، ومع صعوبة العثور على تلك العقول الفذة بسهولة لمحاولة السيطرة عليهم، من هنا جاءت فكرة إنشاء «جائزة نوبل في الفروع العلمية المختلفة» عام ١٩٠١م وهي البوتقة أو السلة التي يتجمع بها صفوة العقول البشرية في العالم أجمع .

ومنذ بدايتها وحتى نهاية عام ٢٠١٠م فاز بها (٨٤٠) ثماني مائة وأربعون عالما، وشخصية متفردة من مختلف بلاد العالم، لكن ما يثير الدهشة والتأمل والحيرة عندما تتبع تلك الشخصيات اتضح أن هناك (١٥٤) مائة وأربعة وخمسين عالما وشخصية يهودية ممن فازوا بجائزة نوبل في عدة فروع من العلوم المختلفة وهم كالآتي :

- خمسة (٥) في السلام
- أحد عشر (١١) في الأدب
- تسعة عشر (١٩) في الاقتصاد
- ستة وعشرون (٢٦) في الكيمياء
- خمسة وأربعون (٤٥) في الطبيعة
- ثمانية وأربعون (٤٨) في الطب

أي من بين اثني عشر مليون إنسان يهودي يعيشون في العالم وهو تقريبا تعداد اليهود في العالم ويمثلون (٢، ٪) من عدد سكان الكرة الأرضية الذي يعد بستة مليارات نسمة يفوز هؤلاء (١٥٤) عالما وشخصية يهودية فازوا بهذه الجائزة العالمية.

أما تعداد العرب المسلمين الذي يزيد على (٣٠٠) ثلاثة مائة مليون عربي، وبما لهم من ثروة طائلة من البترول والموقع الجغرافي الفريد في منتصف العالم والموارد الطبيعية الأخرى وحضارة عريقة ممتدة إلي جذور التاريخ، فاز فقط خمسة (٥) أشخاص لا غير بها من أصل (٨٤٠) عالما من مختلف العالم.. وهم كما نوضح:

١- الرئيس محمد أنور السادات في جائزة السلام العالمي

٢- ياسر عرفات في جائزة السلام العالمي

٣- نجيب محفوظ في جائزة الأدب

٤-محمد البرادعي مناصفة مع هيئة الطاقة الذرية في السلام العالمي

٥-د . أحمد زويل في جائزة الكيمياء

بالإضافة هنا إلى شيرين عبادي من إيران فازت عن حقوق الإنسان، محمد عبدوس سلام من بنجلاديش فاز بالجائزة في علم الطبيعة، وهما مسلمان أي (٧) مسلمين مقابل (١٨٤) يهودياً.

ومع نبوغ اليهود في العلوم المختلفة وحصولهم على أعلى الجوائز العلمية في العالم البشري .

أين كان برنارد لويس؟

ولعل السؤالَ الذي يطرح نفسه هنا :أين كان برنارد لويس عندما وقعت أحداث البرجين؟

الإجابة هي أنه طار إلى تل أبيب والتقى هناك مع قيادات في وزارة الخارجية وجهاز الاستخبارات الخارجية «الموساد» وجرى طرح كل الخيارات من أجل الاستفادة من أحداث البرجين على أكثر من صعيد منها:

١ - تأكيد الاتهام ضد العرب والمسلمين من خلال وسائل الإعلام التي يملكها اليهود وأهمها في ذلك الحين محطة «فوكس نيوز» لصاحبها الملياردير اليهودي روبرت مردوخ التي ظلت تبث سمومها ضد العرب والمسلمين من خلال حرفية عالية، جعلت النخبة الأميركية تتساءل:لماذا يكرهوننا.

٢- حث واشنطن على الدخول في حرب سريعة ضد حركة طالبان ضمن شعار جديد وعالمي هو «الحرب على الإرهاب» بشرط أن يكون هناك تحالف دولي يشارك في الحرب، وحبذا لو شاركت أطراف عربية أو إسلامية، وبخاصة تركيا في هذه الحرب.

وكان الغرض من ذلك هو تخفيف الضغط العالمي على»إسرائيل» التي كانت قد شهدت انتفاضة الأقصى في عام ٢٠٠٠بعد قيام وزير الحرب ورئيس الوزراء شارون بتدنيس المسجد الأقصى، فانتشرت العمليات الاستشهادية داخل تل أبيب، وسببت رعبا بلا حدود وتناقص عدد السياح، وهرب مستثمرون أجانب وتم استنزاف الجيش

الإسرائيلي في معارك داخلية رهيبة.

٣- استنفار المجتمع الدولي ضد العرب والمسلمين والتعامل معهم في المطارات باعتبارهم قنابل موقوتة، الأمر الذي يؤثر على تجارة النفط والاستثمارات العربية في الخارج فضلا عن تشديد الرقابة على السفارات العربية والإسلامية،ولعل العودة إلى رسالة مهمة تكشف إلى حد بعيد كيف تم توظيف أحداث البرجين ضد العرب، وهي الرسالة التي أوضح فيها الرئيس السابق للموساد الإسرائيلي أفرايم هاليفي لرئيس الوزراء شارون في ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١م وتسربت هذه الرسالة إلى الصحافة ونشرت بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠٠١م أوضح بها خطط الموساد في تحريك الأحداث وصناعتها واستثمارها لصالحهم حيث قال مخاطبا شارون: كيف يمكن أن نجعل العالم ضد العرب والمسلمين؟ هذا هو السؤال الذي طرحته على يوم هنأتك بفوزك بالانتخابات.

عيد البوريم «الأزلام» المقدّس لدي اليهود

في ١٩ مارس ٢٠٠٣م يعلن جورج بوش رئس الولايات المتحدة عن غزو العراق، ويوافق هذا اليوم «عيد البوريم» «الأزلام» المقدس لدي اليهود وفقا للتقويم اليهودي، وهو يوم احتفالهم بذكري انتصارهم على الأغيار (غير اليهود) ببابل القديمة التي تقع داخل العراق، فهو عيد الثأر الدموي من الأغيار.

وفي مثل هذا العيد الدموي الموافق ٢٤ فبراير ١٩٩٤م يدخل «الدكتور باروخ جولدشتاين»، وكان يعمل بجيش الدفاع الإسرائيلي إلى الحرم الإبراهيمي وأثناء إقامة الصلاة يقتل (٢٩) مصليا ويصيب (١٢٥) مصليا أيضا بمدفع رشاش، ويندفع إليه باقي المصلين ويضربونه حتى الموت، فأقام له اليهود مقبرة فاخرة تليق بقديس وبطل قومي من أبطال اليهود، وأصبحت مقبرته من المزارات السياحية الشهيرة لشعب إسرائيل ويهود العالم.

ونقش على الحجر الذي يعلو المقبرة الآتي: «هنا يرقد القديس الدكتور باروخ كابل

جولدشتاين، مباركة هي ذكرى رجل الورع، والقداسة.ولينتقم الله لدماء من كرس روحه لليهود، وللديانة اليهودية وللأرض اليهودية، يداه بريئتان وقلبه نقي، لقد قتل كشهيد لله في الرابع عشر من آذار، بوريم عام ٥٧٥٤».

وفي تصريح خطير يقول الحاخام باكوف برن (إن مليون عربي لا يساوي ظفر يهودي)، هذه العبارة تمثل أحد مفاتيح شخصية برنارد لويس فهو صديق للحاخام باكوف، ويتبادل معه الرسائل فيما يخص المرجعية اليهودية عندما يريد لويس أن يحلل ما يجري من منظور التراث اليهودي.

الفصل الثالث

٣

مرتكزات الفوضى الخلّاقة في الوطن العربي

* لويس وفلسفة «موت العالم العربي» وميلاد شرق أوسط جديد
* رامسفيلد اعتبر أن هجوم العراقيين بعد الغزو الأنجلو أميركي على البنوك والمتاحف عملية مبدعة وخلاقة.
* الحركة الماسونية كانت وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية ولها دور في الربيع العربي
* صموئيل هنتجتون وصف الفوضى الخلاقة بـ «فجوة الاستقرار» العربية، وهي بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

أخطر أفكار برنارد لويس هي فكرة إنهاء «الوطن العربي» وتفكيك الدولة الوطنية، وتكريس منهج التفتيت كبديل لمشروع سايكس بيكو القديم إلى التفتيت، وهو سايكس بيكو الجديد،مع تطوير آخر هو أن يكون التفتيت شاملا للوطن العربي من المحيط إلى الخليج، وأن يضم إليه تركيا وإيران في إطار خريطة للنفط والغاز قد تتطور وتصل إلى قلب موسكو،مع اعتبار أن الصراع مع النفط»الطاقة القديمة» ستكون حامية الوطيس مع دول الطاقة الجديدة وهي الغاز وهذه الخريطة تعكس الصراع بين سيطرة أميركا والغرب القديمة على مناطق النفط وسيطرة روسيا الجديدة على خريطة الغاز.

كيف؟

في عام ١٩٩١ وبعد انتهاء ما عُرف بحرب عاصفة الصحراء ضد العراق تبنى برنارد لويس فلسفة جديدة هي «موت العالم العربي» ككيان سياسي.كانت تتوفر فيه وله بعض مقومات الوحدة أو التضامن وعلى أنقاض التجمع الذي ضم مصر والعراق والأردن واليمن، اقترح لويس استخدام مصطلح «الشرق الأوسط» بدلا من «العالم العربي»، وشرح ذلك في سلسلة مقالات مشيرا إلى تفكك البناء السياسي العربي الذي صارت وحداته مضادة لبعضها البعض، وتقوم مؤسسة «واشنطن لسياسات الشرق الأدنى» بدور لا يقل أهمية عن المؤسسة السابقة في صياغة نظرية الفوضى الخلاقة، ويمثل روبرت ساتلوف المدير التنفيذي المعروف في المؤسسة أحد أقطاب هذه النظرية، وهو من أشد المعجبين بأفكار برنارد لويس ولا يفتأ يردد آراءه المتعلقة بالعالم العربي، وكان قد اقترح إقصاء مصطلحيْ العالم العربي والإسلامي من القاموس الديبلوماسي الأميركي، وطالب بالتعامل مع العالم العربي من خلال مقاربة خاصة بكل بلد على حدة ومحاربة الأصولية الإسلامية بلا هوادة والتي تسعى برأيه إلى إلغاء الحدود الجغرافية والطبقية. وتمثل كتابات اليوت كوهين أحد المصادر المهمة لنظرية الفوضى الخلاقة وخصوصا كتابه «القيادة العليا، الجيش ورجال الدولة والزعامة في زمن الحرب» ويرى كوهين أن

الحملة على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة باعتبار أن الحرب الباردة هي الثالثة، ويؤكد بأن على الولايات المتحدة أن تنتصر في الحرب على الإسلام الأصولي.

معنى ذلك أن هناك ارتباطا أصيلا بين أفكار برنارد لويس عن خريطة شرق أوسطية جديدة بمنهج الفوضى الخلاقة الذي يساهم في الوصول إلى هذه الخريطة، ومن المساهمات الرئيسية في صياغة نظرية الفوضى الخلاقة ما قدمته المراكز البحثية الكبرى في الولايات المتحدة وعلى رأسها مؤسسة «أميركان إنتربرايز» للدراسات، والتي أصدرت ١٧ دراسة عن آليات الفوضى الخلاقة وعلاقاتها بالمكونات الاجتماعية والسياسية في الشرق الأوسط، وتعتبر كتابات راؤول مارك غيريشت وهو مُنَظِّر المحافظين الجدد والمختص في الشأن العراقي والشيعة أبرز من يمثل هذا المركز، ويؤكد غيريشت أن إدارة الرئيس بوش بلورت مشروع «الشرق الأوسط الكبير» بالاعتماد جزئيا على أبحاث مؤرخين نافذين أمثال برنارد لويس من جامعة برنستون وفؤاد عجمي من جامعة جونز هوبكنز، وإن هذه الفلسفة تحولت إلى خطط عسكرية من خلال جنرالات البنتاجون الكبار.

التقسيم على أسس طائفية

ويعتبر فؤاد عجمي وهو من أنصار الليكود والمحافظين الجدد الناطق الرئيسي للرؤية الطائفية للواقع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي، وتحظى رؤيته بقبول واسع الانتشار في صفوف الإدارة الأميركية ويمارس تحريضا متطرفا في مجمل القضايا المتعلقة بالعالم العربي والإسلامي.

وتمثل الأطروحة الرئيسية لنظرية الفوضى الخلاقة على اعتبار الاستقرار في العالم العربي عائقا أساسيا أمام تقدم مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، ولذلك لا بد من اعتماد سلسلة من التدابير والإجراءات تضمن تحقيق رؤيتها التي تطمح إلى السيطرة والهيمنة على العالم العربي الذي يمتاز بحسب النظرية بأنه عالم عقائدي وغني بالنفط الأمر الذي يشكل تهديدا مباشرا لمصالح الولايات المتحدة، وينادي أقطاب نظرية الفوضى الخلاقة باستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة كما حدث في أفغانستان

والعراق، وتبني سياسة التهديد بالقوة التي تساهم في تفجير الأمن الداخلي للعالم العربي وتشجيع وتأجيج المشاعر الطائفية وتوظيفها في خلق الفوضى كما هو الحال في التعامل مع الوضع اللبناني والسوري والعراقي.

مقومات نظرية الفوضى الخلاقة

ألقى باحثون آخرون الكثير من الضوء على جذور هذه النظرية وتطوراتها وتطبيقاتها؛ ففي مقالة بعنوان: «الفوضى الخلاقة بين الفكر والممارسة» جاء ما يلي:

١- وُجِد هذا المصطلح في أدبيات الماسونية القديمة، أشار إلى ذلك الباحث الأمريكي «دان براون» الذي نسب إلى الأب «ديف فليمنج» بكنيسة المجتمع المسيحي بمدينة بطرسبرج ببنسلفانيا قوله: «إن الإنجيل يؤكد لنا أن الكون خلق من فوضى، وأن الرب قد اختار الفوضى ليخلق منها الكون، وعلى الرغم من عدم معرفتنا لكيفية هذا الأمر، إلا أننا متيقنون أن الفوضَى كانت خطوة مهمة في عملية الخلق».. هذه الفكرة استقرت في الأدبيات المسيحية خلال العصور الوسطى كمبرر لإطلاق سيطرة رجال الكنيسة على المجتمع بدعوى حمايته من الفوضى والأشرار.

ومن المعروف أيضا أن الماسونية كانت وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية، وكانت تعمل على إسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها، كما كانت تبثُّ سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية».

٢- يؤكد «مارتن كروزرز» -وهو مؤسس مذهب جديد في علم العلاج النفسي- أن «الفوضى هي إحدى العوامل المهمة في التدريب والعلاج النفسي، فعند الوصول بالنفس إلى حافة الفوضى يفقد الإنسان جميع ضوابطه وقوانينه، وعندها من الممكن أن تحدث المعجزات..

فيصبح قادراً على خلق هوية جديدة، بقيم مبتكرة ومفاهيم حديثة، تساعده على تطوير البيئة المحيطة به».

٣- يعد «مايكل ليدين» العضو البارز في معهد «America enterprise» أول من صاغ مفهوم «الفوضى الخلاقة» أو «الفوضى البنَّاءة» أو «التدمير البنَّاء» في معناه السياسي الحالي، وهو ما عبر عنه في مشروع «التغيير الكامل في الشرق الأوسط»، الذي أعده عام ٢٠٠٣م.

ارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل دول المنطقة، وفقًا لإستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء.

٤- تعتمد نظرية «الفوضى الخلاقة» في الأساس على ما أسماه الأمريكي «صموئيل هنتجتون» بـ «فجوة الاستقرار»، وهي الفجوة التي يشعر بها المواطن بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فتنعكس بضيقها أو اتساعها على الاستقرار بشكل أو بآخر. فاتساعها يولد إحباطًا ونقمة في أوساط المجتمع، مما يعمل على زعزعة الاستقرار السياسي، لاسيما إذا ما انعدمت الحرية الاجتماعية والاقتصادية، وافتقدت مؤسسات النظام إلى القابلية والقدرة على التكييف الإيجابي، فتتحول مشاعر الناس في أية لحظة إلى مطالب ليست سهلة للوهلة الأولى، وأحياناً غير متوقعة، ما يفرض على مؤسسات النظام ضرورة التكيف من خلال الإصلاح السياسي، وتوسيع المشاركة السياسية، واستيعاب تلك المطالب.

أما إذا كانت تلك المؤسسات محكومة بالنظرة الأحادية؛ فإنه سيكون من الصعب الاستجابة لأي مطالب، إلا بالمزيد من الفوضى التي يرى «هنتجتون» أنها ستقود في نهاية الأمر إلى استبدال قواعد اللعبة واللاعبين.

٥- يرى البعض أن الفوضى الخلاقة ترتكز على أيديولوجيا أمريكية نابعة من مدرستين رئيسيتين:

الأولى: صاغها «فرانسيس فوكوياما» بعنوان «نهاية التاريخ»، ويقسم فيها العالم ما بين عالم تاريخي غارق في الاضطرابات والحروب، وهو العالم الذي لم يلتحق بالنموذج

الديمقراطي الأميركي. وعالم آخر ما بعد التاريخي وهو الديمقراطي الليبرالي وفق الطريقة الأمريكية. ويرى أن عوامل القومية والدين والبنية الاجتماعية أهم معوقات الديمقراطية.

وصاغ المدرسة **الثانية** «صمويل هنتنجتون» في مؤلَّفه «صراع الحضارات»، معتبراً أن مصدر النزاعات والانقسامات في العالم سيكون حضاريًّا وثقافيًّا، وذهب إلى أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.. ورغم تناقض المدرستين، إلا أنهما تتفقان على ضرورة بناء نظام عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة، إضافة إلى معاداة الحضارة الإسلامية باعتبارها نقيضًا ثقافيًّا وقِيَميًّا للحضارة الغربية.

٦- طوَّر «توماس بارنيت» -أحد أهم المحاضرين في وزارة الدفاع الأمريكية- نظرية «الفوضى الخلاقة»، فقسَّم العالم إلى: من هم في القلب أو المركز «أمريكا وحلفاؤها»، وصنَّف دول العالم الأخرى تحت مسمى دول «الفجوة» أو «الثقب» حيث شبهها بثقب الأوزون الذي لم يكن ظاهرًا قبل أحداث ١١ سبتمبر.

يذهب «بارنيت» إلى أن دول الثقب هذه هي الدول المصابة بالحكم الاستبدادي، والأمراض والفقر المنتشر، والقتل الجماعي والروتيني، والنزاعات المزمنة، وهذه الدول تصبح بمثابة مزارع لتفريخ الجيل القادم من الإرهابيين.

وبالتالي فإن على دول القلب العمل على انكماش الثقب من داخله، فالعلاقات الدبلوماسية مع دول الشرق الأوسط لم تعد مجدية؛ ذلك أن الأنظمة العربية بعد سقوط العراق لم تعد تهدد أمن أمريكا، وأن التهديدات الحقيقية تكمن وتتسع داخل الدول ذاتها، بفعل العلاقة غير السوية بين الحكام والمحكومين.

ويخلص «بارنيت» إلى أن تلك الفوضى البنَّاءة ستصل إلى الدرجة التي يصبح فيها من الضروري تدخل قوة خارجية للسيطرة على الوضع وإعادة بنائه من الداخل، على نحو يعجِّل من انكماش الثقوب وليس مجرد احتوائها من الخارج، منتهيًا بتخويل الولايات

المتحدة القيام بالتدخل بقوله: «ونحن الدولة الوحيدة التي يمكنها ذلك»!!

٧- يعتقد أصحاب وأنصار نظرية «الفوضى الخلاقة» بأن خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار سوف يؤدي حتمًا إلى بناء نظام سياسي جديد، يوفر الأمن والازدهار والحرية، وهو ما يشبه العلاج بالصدمة الكهربائية لعودة الحياة من جديد. غير أن ثمة أهدافًا متوارية تهدف الولايات المتحدة إلى تحقيقها بتلك الفوضى.

٨- يمثل «روبرت ساتلوف» المدير التنفيذي لمؤسسة «واشنطن لسياسات الشرق الأوسط» ذات الميول الصهيونية، أحد أقطاب نظرية الفوضى الخلاقة، وهو من أشد المعجبين بأفكار «برنارد لويس»؛ حيث اقترح «ساتلوف» إقصاء مصطلَحَيْ العالم العربي والإسلامي من القاموس الدبلوماسي الأمريكي، وطالب بالتعامل مع العالم العربي من خلال مقاربة خاصة بكل بلد على حِدَة ومحاربة الأصولية الإسلامية بلا هوادة.

ويذكر الباحث الأمريكي «مايكل ماكفيل» أنه لم يعد في وسع الولايات المتّحدة الحفاظ على الوضع الراهن فقط، فهي تسعى إلى التغيير السريع، وهذه المهمة يجب أن تكون عدوانية بطبيعتها، وأن العدو الذي يجب تدميره هو أيديولوجي بالدرجة الأولى وهو «الشمولية الإسلامية».

٩- سلم صناع السياسة الخارجية الأمريكية بأن التغيير في دول الثقب لم يعد في حد ذاته كافيًا، وبالتالي فإن مفهوم السيادة والشأن الداخلي لم يعد شأنًا داخليًا بالنسبة لأمريكا؛ طالما ارتبط بالأمن القومي الأمريكي، المرتبط أساسًا بتأمين أقدام أمريكا على حقول النفط العربية وحفظ مصالحها، وبذلك فإن الأوضاع الداخلية لبلدان الثقب تحتاج إلى تحول شامل، لن يحدث إلا عبر التدمير الخلاق، الذي سينتهي بإزالة الأنقاض ورفع الأشلاء، ثم تصميم نظام سياسي جديد ومختلف، لا يراوغ ولا يشترط ولا يهدد مصالح أمريكا الاقتصادية.

١٠- اعتبر «ساتلوف» أن الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط تقاس على مسطرة المصالح الأمريكية، وكان قد قدم ورقة توحي للإدارة الأمريكية، بتشجيع حالة الغليان وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط، طالما أن خلاف الحكام مع المعارضة في دول المنطقة، سيحدث نوعًا من الهدوء والطمأنينة على الساحة الأمريكية، ويؤمِّن أهدافها الحيوية في بلدان الشرق الأوسط.

١١- لم تنسَ الولايات المتحدة أن صواريخ صدام أقضت مضاجع تل أبيب ذات يوم، وما إن فرغت من حربها المعلنة على الإرهاب في أفغانستان، حتى توجهت نحو العراق دفاعًا عن حقوق الإنسان، والحد من أسلحة الدمار الشامل، وبعد سقوط بغداد في إبريل ٢٠٠٣ احتج العراقيون على صمت الإدارة الأمريكية عن عمليات النهب والسلب والحرق والتخريب في العراق، فعلق «رامسفيلد» وزير الدفاع الأمريكي على تلك العمليات قائلاً: «إنها إيجابية وخلاَّقة وواعدة بعراق جديد».

رؤية كونداليزا للشرق الأوسط

١٢- جاء على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندليزا رايس»: «أن الولايات المتحدة سعت على مدى ستين عامًا إلى تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط على حساب الديمقراطية، ولم تحقق أيًّا منهما.. وتتبنى الآن نهجًا مختلفًا.. إن هناك من يقول: إن الديمقراطية تقود إلى الفوضَى والصراع والإرهاب، والحقيقة أن العكس هو الصحيح، بمعنى أن الفوضى تمثل الأساس المنهجي لخلق الديمقراطية الأمريكية المنشودة».

وحول أحداث عدم الاستقرار في بعض البلدان العربية صرحت «رايس» أيضًا لصحيفة «الواشنطن بوست» بالقول: «إن الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية، هي من نوع الفوضى الخلاَّقة التي قد تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حاليًا، ولاشك أن الكيان الصهيوني في الأساس هو المستهدَف بذلك

الوضع الأفضل الذي قصدته رايس، بينما لن يجنِ العرب أكثر من ويلات الفوضى».

مراحل الفوضى الخلاقة

١٣- هناك أربع مراحل متتابعة لعملية الفوضى الخلاَّقة:

الأولى: خلخلة حالة الجمود والتصلب غير المرغوب في النظام المستهدف.

الثانية: الوصول إلى حالة من الحراك والفوضى المربكة والمقلقة لذلك النظام.

الثالثة: توجيه تلك الفوضى وإدارتها للوصول إلى الوضع المرغوب فيه.

الرابعة: استخدام المدخلات التي أججت الفوضى لإخمادها وتثبيت الوضع الجديد بشكله النهائي، إلى جانب الاطمئنان لترسانة القوة العسكرية، والأساطيل الأمريكية في المنطقة، وهي أهم عناصر المعادلة التي تستند إليها الفوضى.

التحريض الإعلامي في الفضائيات

١٤- لتحقيق تلك الرؤية وتحريك الفوضى الخلاَّقة بشكل عملي على الساحة الشرق أوسطية، جندت الولايات المتحدة الكثير من الإمكانات، والعديد من وسائل الجذب والضغط والإقناع الأيديولوجي، على مختلف الأصعدة (الإعلامي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي)، ومن ذلك: اتفاقيات التجارة الحرة، والحث على تعديل الدساتير الوطنية، وإنشاء واختراق القنوات الفضائية، والمحطات الإذاعية الناطقة بالعربية، وتقديم خدمات التواصل الإلكتروني المجاني بين أفراد المجتمعات، عبر الإيميلات والفيس بوك والمواقع التي تعج بها شبكة الإنترنت، والتواصل المكثف مع النشطاء والحقوقيين، والتركيز على بعض المسؤولين الحكوميين والأكاديميين الذين تلقوا تعليمهم في أمريكا، إضافة إلى دعم عدد من أطراف المعارضة في البلدان المستهدَفة بشكل فردي أو مؤسسي.. إلى غير ذلك مما يحقق الالتقاء الجماهيري والشعبي مع آراء وميول ووجهات وطموحات أمريكا في المنطقة.

١٥- دأبت الولايات المتحدة في ذات الإطار على بث مفاهيم تقارن بين الإسلام والإرهاب، تدعمها بشكل مريب تصريحات منسقة ومتزامنة من قبل قيادات تنظيم القاعدة على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي، ولم تغفل أمريكا التلويح بملف المرأة والإيحاء بتخلف الإسلام في التعامل مع نصف المجتمع، كما خلقت جبهات عدة من أجل حرية التعبير بالمفهوم الغربي كأزمة الرسوم المسيئة للرموز الإسلامية من جهة، ودعم الحريات الشخصية كحقوق الشواذ والمِثْليين من جهة أخرى، وتدخلت في كثير من الأماكن كداعم لحقوق الإنسان، ومساندة الأقباط ونصرة الأقليات، وحقوق المجتمع المدني، ولعبت أدوارًا خفية هنا وهناك لزرع النزعات والنزاعات الطائفية والمذهبية والعرقية والمناطقية وتشويه صورة المسلمين في عيون الآخرين، وزعزعة القيم الإسلامية داخل المجتمعات المحافظة.

أرادت الولايات المتحدة بذلك - ولا تزال- فرض مناخ فكري يخلق لها بيئة آمنة للتواجد المستقر في إطار المجتمعات العربية والإسلامية، دون مساعدة أو تدخل النخب الحاكمة لتلك المجتمعات، وربط العالم بشبكة اتصال واحدة، من شأنها خلق عقل جمعي مبرمج وفق النمط الغربي، الأمر الذي أدخل الذات الحضارية لمجتمعاتنا في حالة من عدم التوازن، وجعلها قابلة لاختراق الطرح المعولم، وفقًا للصيغة الأمريكية البحتة.

الفصل الرابع

٤

انتصار برنارد لويس في الجبهة الإسرائيلية

* رسم دور إسرائيل في إثارة الفتن الطائفية والمذهبية في العالم العربي والإسلامي.

* تل أبيب سعت إلى اللعب في المكوّن الاجتماعي اللبناني بإثارة وتسليح طائفة ضد أخرى.

* ٣٦ مركزَ تجسسٍ أمريكيا إسرائيليا في صورة منظمات مجتمع مدني تعمل في البلاد العربية.

* إسرائيل.. الخط الأمامي للحضارة الغربية، وبرنارد لويس أول من قدم مصطلح (صدام الحضارات) قبل هنتجتون.

* السيطرة على المصادر المائية من بئر سبع وحتى الجليل الأعلى، هدف قومي لإسرائيل.

عملت «إسرائيل» في وقت مبكِّر على تحويل خطط برنارد لويس إلى إجراءات واقعية، وهي تدرك أن الأقدار وضعت بين أيديها هذا الفيلسوف الذي يرسم الخرائط من أجل تحقيق هدف استراتيجي طموح هو قيادة المنطقة العربية بعد أن يتم تقسيمها إلى شظايا ودويلات وتلعب قطر دور «إسرائيل» في منطقة الخليج، وتلعب «إسرائيل» دور المهيمن على التكنولوجيا في المنطقة، ولا بأس من أن تقود تركيا العمل في اتجاه استعادة الاستعمار العثماني من جديد.

لنعود إلى تاريخ المخططات الإسرائيلية لتقسيم العالم العربي أن أولها كان مشروع «جابوتنسكي Jabotinsky» والذي قدمه القيادي في الحركة الصهيونية «زئيف فلاديمير جابوتنسكي Zeev Vladimir Jabotinsky» في العام ١٩٣٧م وهو بعنوان «الكومنولث العبري Commonwealth Hebrew» وهو يهدف إلى قيام «دولة إسرائيل الكبرى» التي تدور في فلكها دويلات مقسمة مذهبياً وعرقيّاً وطائفياً ترتبط بها استراتيجيّاً وأمنياً واقتصاديّاً، والمشروع الثاني هو مشروع «بن غوريون Ben-Gurion» في العام ١٩٥٤م وهو ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني الرامي إلى تقسيم لبنان إلى مجموعات مسيحية ودرزية وشيعية وسنية وفلسطينية إلى جانب بيروت التي تكون تحت وصاية دولية وهنا نشير إلى قول بن غوريون الذي قال :» لو كنت زعيما عربيا لن أوقع اتفاقا مع إسرائيل أبدا. إنه أمر طبيعي: لقد أخذنا بلدهم. صحيح أن الله وعدنا به ولكن في ماذا يمكن أن يهمهم ذلك؟ ربنا ليس ربهم.»

وهو القائل في أعقاب حرب ١٩٤٨م»الكبار سيموتون والصغار سينسون» لقد صرح بن غوريون عام ١٩٥٦م أمام الكنيست أن سيناء تشكل جزءا من مملكة داوود وسليمان، وهذا يبين مدى اهتمام إسرائيل بالعدوان المتكرر على سيناء عام ١٩٥٦م و ١٩٦٧م وما وصلت إليه من خلال معاهدات كامب ديفيد .

محاولة احتلال قناة السويس

والمخطط الثالث هو المشروع الذي وضعه «عوديد ينون Oded Yinon» وهو

دبلوماسي ومدير مكتب مناحيم بيغن آنذاك في العام ١٩٧٤م بعد حرب أكتوبر وكتب مشروعه في مجلة «ديراكشن» تحت عنوان «إستراتيجية إسرائيل في الثمانينيات» ويتحدث هذا المشروع عن إعادة احتلال سيناء وثلاث مدن من الضفة الغربية لقناة السويس هي السويس وبورسعيد والإسماعيلية ثم تقسيم مصر إلى عدة دويلات دولة إسلامية تمتد من شرق الدلتا إلى المنيا وعاصمتها القاهرة والدولة الثانية مسيحية قبطية من غرب الدلتا إلى مطروح ووادي النطرون وعاصمتها الإسكندرية والدولة الثالثة هي النوبة تمتد من أسيوط جنوباً إلى جزء من شمال السودان.

ولهذه الوثيقة قصة فقد ظهرت أول مرة في موقع Global Research الإلكتروني بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦م حيث نقرأ «إن الهيمنة قديمة قدم البشرية «وهي عبارة أطلقها مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق «زبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski» في أواخر السبعينيات من القرن العشرين، أما عبارة الشرق الأوسط الجديد فقد بدأ تداولها في حزيران/ يوليو ٢٠٠٦م في تل أبيب على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك كوندليزا رايس في الوقت الذي قالت وسائل الإعلام الغربية إنها استخدمت عبارة لتحل محل العبارة الأقدم «الشرق الأوسط الكبير»، إن المراحل التحضيرية لهذا المشروع استمرت لسنوات عديدة حيث تم خلالها خلق مناطق ارتجاج وعدم استقرار وفوضى وعنف يمتد من لبنان إلى فلسطين وسوريا والعراق والخليج العربي وإيران وصولاً إلى حدود أفغانستان الشرقية والشمالية مروراً بدول شمال إفريقيا، إن الهدف هو إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بما يتناسب مع حاجات الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل وأهدافها الجيو- إستراتيجية، والحقيقة هناك أهداف أخرى لهذا المشروع، وهي إيجاد مدخل إلى آسيا الوسطى عن طريق الشرق الأوسط فهو وأفغانستان وباكستان تشكل معاً الأسس للتوسع في النفوذ الأمريكي إلى داخل روسيا والجمهوريات السوفيتية السابقة في آسيا الوسطى بالإضافة للهدف المهم وهو «إسرائيل الكبرى».

والمحلل السياسي المتابع لتطور الكيان الصهيوني يكتشف أن هذا الكيان حقق

نجاحات واختراقات خطيرة بفضل الدعم غير المحدود من الغرب الأميركي الأوروبي الصهيوني بسبب المفكرين الصهاينة الذين كرسوا حياتهم لخدمة هذا الكيان وأبرزهم برنارد لويس.

وتحتل إسرائيل مكانة مركزية في فكر برنارد لويس فهو يعتبرها الخط الأمامي للحضارة الغربية، لذلك يعتبرها جزءا أصيلا من الغرب يستحق الدفاع عنه والتدخل في رسم سياساته لاسيما في مواجهاته مع العرب،وقد نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» مقالاً قالت فيه: (إن برنارد لويس المؤرخ البارز للشرق الأوسط وقد وفَّر الكثير من الذخيرة الأيدلوجية لإدارة بوش في قضايا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب حتى إنه يُعتبر بحق منظرا لسياسة التدخل والهيمنة الأمريكية في المنطقة.

وقالت نفس الصحيفة (إن لويس قدم تأييدا واضحًا للحملات الصليبية الفاشلة، وأوضح أن الحملات الصليبية على بشاعتها كانت رغم ذلك ردا مفهومًا على الهجوم الإسلامي خلال القرون السابقة وأنه من السخف الاعتذار عنها).

ورغم أن مصطلح «صدام الحضارات» يرتبط بالمفكر المحافظ «صموئيل هنتينجتون» فإن «لويس» هو من قدم التعبير أولا إلى الخطاب العام، ففي كتاب «هنتينجتون» الصادر في ١٩٩٦م يشير المؤلف إلى فقرة رئيسية في مقالة كتبها «لويس» عام ١٩٩٠م بعنوان (جذور الغضب الإسلامي) قال فيها: «هذا ليس أقل من صراع بين الحضارات، ربما تكون غير منطقية، لكنها بالتأكيد رد فعل تاريخي منافس قديم لتراثنا اليهودي والمسيحي، وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما».

لقد طور «لويس» روابطه الوثيقة بالمعسكر السياسي للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين حيث يشير «جريشت» من معهد العمل الأمريكي إلى أن لويس ظلَّ طوال سنوات «رجل الشؤون العامة»، كما كان مستشارًا لإدارتيْ بوش الأب والابن.

في ١ / ٥ / ٢٠٠٦م ألقى «ديك تشيني» نائب الرئيس «بوش الابن خطابًا يكرم فيه

«لويس في مجلس الشؤون العالمية في فيلادلفيا؛ حيث ذكر «تشيني» أن لويس قد جاء إلى واشنطن ليكون مستشارا لوزير الدفاع لشؤون الشرق الأوسط.

لويس الأستاذ المتقاعد بجامعة «برنستون» ألَّف عشرين كتابًا عن الشرق الأوسط، خصصها كلها تقريبا لخدمة إسرائيل، من بينها «العرب في التاريخ» و«الصدام بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط الحديث» و«أزمة الإسلام» و«حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس»، وتركز كلها على فكرة أن العرب يسيرون إلى الخلف وأنهم عبء على الإنسانية في حين أن اليهود هم أرقى شعوب الأرض.

لم يقف دور برنارد لويس عند استنفار القيادة في القارتين الأمريكية والأوروبية، وإنما تعدَّاه إلى القيام بدور العراب الصهيوني الذي صاغ للمحافظين الجدد في إدارة الرئيس بوش الابن إستراتيجيتهم في العداء الشديد للإسلام والمسلمين، وقد شارك لويس في وضع إستراتيجية الغزو الأمريكي للعراق؛ حيث ذكرت الصحيفة الأمريكية أن «لويس» كان مع الرئيس بوش الابن ونائبه تشيني، خلال اختفاء الاثنين على إثر حادثة ارتطام الطائرة بالمركز الاقتصادي العالمي، وخلال هذه الاجتماعات ابتدع لويس للغزو مبرراته وأهدافه التي ضمَّنها في مقولات «صراع الحضارات» و«الإرهاب الإسلامي».

رأيه في العرب والمسلمين

وفي مقابلة أجرتها وكالة الإعلام مع «لويس» في ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٥م قال الآتي بالنص: «إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضُّرهم، وإذا تُرِكوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمِّر الحضارات، وتقوِّض المجتمعات، ولذلك فإن الحلَّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور، فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنُّب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم

الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية- دون مجاملة ولا لين ولا هوادة ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها».

وانتقد «لويس» محاولات الحل السلمي، وانتقد الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان، واصفًا هذا الانسحاب بأنه عمل متسرِّع ولا مبرر له، فالكيان الصهيوني يمثل الخطوط الأمامية للحضارة الغربية، وهي تقف أمام الحقد الإسلامي الزائف نحو الغرب الأوروبي والأمريكي، ولذلك فإن على الأمم الغربية أن تقف في وجه هذا الخطر البربري دون تلكُّؤ أو قصور، ولا داعي لاعتبارات الرأي العام العالمي.

وعندما دعت أمريكا عام ٢٠٠٧م إلى مؤتمر «أنابوليس» للسلام للتفاوض بين سوريا وإسرائيل كتب لويس في صحيفة «وول ستريت» يقول: «يجب ألا ننظر إلى هذا المؤتمر ونتائجه إلا باعتباره مجرد تكتيك موقوت، غايته تعزيز التحالف ضد الخطر الإيراني، وتسهيل تفكيك الدول العربية والإسلامية، ودفع الأتراك والأكراد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضًا، كما فعلت أمريكا مع الهنود الحمر من قبل».

أظهر استطلاع للرأي أجراه مركز «الدراسات العربي الأوروبي» في باريس أن إسرائيل هي من تقف وراء إثارة الفتن الطائفية والمذهبية في العالمين العربي والإسلامي. وذكر المركز في بيان أنّ ٥٨ في المائة من الذين شملهم الاستطلاع قالوا إن هدف إسرائيل هو تفتيت الدول العربية والإسلامية المحيطة بها، وتحويلها إلى دويلات وحكومات صغيرة وأقليات متناحرة متناثرة لتبقى إسرائيل الدولة الكبيرة المهيمنة في المنطقة.

ووفق الاستطلاع فإنَّ ٢٨،٤ في المئة يرون أن القيادات السياسية العربية والإسلامية هي من تقف وراء إثارة الفتن الطائفية والمذهبية وذلك من خلال تسييس الدين مما جعل الانتماء لدولة المؤسسات والقانون ضعيفاً وغير كاف لقيام دولة متماسكة. وبرأيهم أن الأوضاع الاجتماعية (العقائدية والسياسية والثقافية) الموجودة والانتماءات المتعددة سواء أكانت دينية أم طائفية أم عشائرية هي أيضا من أهم أسباب الصراعات والفتن في العالمين العربي والإسلامي.

كما ذكر الاستطلاع أن ١٣،٦ في المائة يرون أن من يثير الفتن هم المتطرفون في كل مذهب والذين يبحثون عن أسباب إثارة الأطراف الأخرى، ويستغلون وسائل الاتصال المختلفة التي تعطيهم الفرصة لنشر ما يرغبون، كما أن ثقافة الاختلاف يتم زرعها بطريقة خاطئة في أذهان العامة مما يجعلهم ينجرفون خلف أولئك المتطرفين دون وعي للأضرار التي قد تنتج عن ذلك.

وخلص المركز إلى نتيجة مفادها: من الملاحظ أن الفتن الطائفية والمذهبية تنتقل بسرعة البرق في العالم العربي والإسلامي من دولة إلى أخرى مستفيدة من المناخات العامة التي توفر لها كل الظروف المناسبة.

ففي لبنان يدور حديث عن احتمال نشوب فتنة طائفية على خلفية المحكمة الدولية المكلفة بكشف قتلة الرئيس رفيق الحريري.حيث صدر عنها قرار ظني وجه فيه الاتهام إلى عناصر من حزب الله. وبما أن حزب الله محسوب على طائفة غير تلك التي ينتمي لها الرئيس المغدور به فقد تتحول المسألة من قضية قضائية إلى قضية مذهبية.

وفي مصر هناك من يشيع عوامل التفرقة بين المسلمين والأقباط حيث تتوتر الأجواء بين الفينة والأخرى على خلفية تباين في اجتهادات دينية أو على خلفية صراعات عائلية في بعض القرى أو على خلفية نزاعات ذات أبعاد اجتماعية.

وفي السودان، ورغم كل محاولات التهدئة إلا أن الانقسام تم بين الجنوب المسيحي والشمال المسلم وانتهى إلى انفصال الجنوب عن الشمال.

وفي العراق مسلسل التفجيرات والعمليات الانتحارية ذات الخلفية المذهبية تحصد يومياً أعدادا كبيرة من الأبرياء.

وفي باكستان صراعات دموية بين السنة والشيعة. يضاف إلى ذلك بعض الأحداث الفردية ذات الخلفية الطائفية أو المذهبية التي تظهر في دولة أو في أخرى والتي رغم محدودية فعلها إلا أنها تترك أثراً سلبياً على التعايش بين الطوائف والمذاهب في هذه الدول..

وبالمقابل هناك التنظيرات التي صدرت في الغرب وتحديداً كتابات صمويل هانتنغتون التي رأت أن مستقبل الحضارات هو مستقبل تصادم، وليس تحاوراً وخاصة بين المسيحيين والمسلمين، وإذا أردنا التفتيش عن هوية من يثير كل هذه التفرقة ويعمل على إشعالها فإننا نجد أن السياسة هي المسؤولة بالدرجة الأولى، والمقصود بالسياسة يعني مصالح دول غربية ترى أنه من المفيد إشعال فتنة طائفية أو مذهبية في دولة ما لتحقيق أغراض معينة، أو قد تكون مصالح أنظمة في نفس الدول العربية والإسلامية والتي تجد في التفرقة تعزيزاً لقوتها وتبريراً لوجودها، وقد تكون منظمات ذات أيديولوجيات متطرفة تحمل مشاريع طائفية أو مذهبية.. وفوق ذلك كله هناك ضعف الوعي المسيطر على أوساط شعبية كبيرة والتي ثقافتها المحدودة تجعلها لا تميز ما بين الانتماء إلى حقيقة الدين وما بين الانتماء إلى المذهب بشكل باتٍّ وكأن المذهب هو الدين أو أن الطائفة هي العقيدة بحد ذاتها.

ويجب هنا عدم التغافل عن دور إسرائيل في إحداث تفرقة أو في استغلال خلافات ما من أجل زيادة حدتها من منطلق أنه كلما زادت الانقسامات والخلافات في العالمين العربي والإسلامي كلما كان ذلك لمصلحة تفوق إسرائيل وتعزيز قدرتها على الهيمنة خاصة وأن لديها أطماعاً توسعية على حساب الدول المجاورة لها.

مراكز الأبحاث والتجسس الإسرائيلي في الوطن العربي

لقد لعبت مراكز الأبحاث والدراسات الإسرائيلية دورا خطيرا في اختراق العقل العربي ومحاولة التعرف على نقاط الضعف من أجل التغلغل وإثارة الفتنة بين مكونات المجتمع الواحد.

بدأ مخطط تفتيت الدول العربية وتقسيمها كقاعدة لضمان أمن كيان العدو منذ أول وزير خارجية له موشى شاريت ١٩٤٩، وهو مفكر قبل أن يكون سياسيا، حيث وضع تقريرا حدد فيه أن تحقيق مفهوم أمن الكيان يعتمد على العمل على تقسيم الدول العربية، واعتبر أن البداية يجب أن تكون بلبنان، ناصحا باللعب على الوضع الطائفي اللبناني، وتزامن ظهور هذا المخطط الجهنمي مع إنشاء كيان العدو على يد الكاتب الأمريكي اليهودي برنارد لويس ونشر في مجلة «البنتاجون» الأمريكية، وجاء فيه «إن العراق يجب أن يقسم لدولة كردية في الشمال وسنية في الوسط وشيعية في الجنوب، وهذا الحادث فعلا في العراق اليوم، وأن السودان يجب أن يقسم إلى دولتين عربية في الشمال وإفريقية في الجنوب، وقد تحقق الآن، ولبنان يقسم إلى خمس دويلات سنية وشيعية وعلوية ومسيحية ودرزية، ونذر ذلك موجودة حاليا، وتقسم مصر إلى دولة في الشمال وأخرى في الجنوب، ولعل تحريك العصبية النوبية أخيرا مؤشر على ذلك».

وجاء في مذكرات شامير رئيس وزراء العدو الأسبق أن بن جوريون مؤسس كيان العدو تحدث إليه عن بداية تنفيذ مخطط برنارد لويس والبداية تكون من لبنان، وأنهم استعانوا بضابط ماروني ليبث الفرقة بين السنة والشيعة والمسيحيين والمارونيين فيه! وذكر ابن جوريون أنه «لا بد من تقوية الميول الانفصالية والانعزالية للأقليات في العالم العربي والإسلامي وتحريكها لتدمير مجتمعاته المستقرة»، وفي هذا السياق، وكدليل على أن مخطط تفتيت الدول العربية حقيقة وليس وهماً أو نظرية تآمر مدعاة، هاهو أريل شارون يؤكد ذلك، وهو يتحدث في محاضرة عام ١٩٨١ بأن استقرار إسرائيل لا بد أن يكون على حساب انهيار المجتمعات العربية، مؤكدا أن إستراتيجية تفتيت العالم العربي تبدأ من اللعب على المكوّن الطائفي، وإثارة التناقضات بين هذه الطائفة أو تلك!

كامب ديفيد ووادي عربة

ويرى الكاتب الإسرائيلي يلفان شاعين بصحيفة «معاريف» أن أكبر مكسب حققته إسرائيل هو التوصل إلى اتفاقات سلام مع مصر «كامب ديفيد» والأردن«وادي عربة» وفلسطين «اتفاق أوسلو» فقد ساهمت بدرجة أو أخرى في نقل الصراع من عربي-صهيوني إلى صراع داخل المكون الاجتماعي في الدول التي وقعت هذه الاتفاقات، ويرى أن نجاح أي مخطط يعتمد على عنصرين، الأول امتلاك قدرة فعل، والثاني ضعف الطرفُ المستهدَف وسهولة اختراقه والتأثير فيه، المؤسف والمحزن أن الموقف العربي الذي تهلهل وتضعضع خلال العقدين الماضيين بعد الوقوع في مخادعة السلام الكاذبة، وانفراط عقد العمل العربي المشترك وأسسه، وفر شرط الضعف الذي جعل مثل هذه المخططات تنفذ بعد أن أصبح الانفراد بكل دولة عربية على حدة ممكنا، فقد عمل الموساد وعملاؤه ولا يزال على محو الهوية العربية وتفريغ الإسلام من محتواه الإنساني والحضاري وهو الهدف الصهيوني الأمريكي الذي سخّرت كلٌّ من واشنطن وتل أبيب كل الوسائل لتحقيقه.

وقد اخترقت مصر والدول العربية بمراكز الدراسات والبحوث العلمية بأكثر من ٣٦ مركزا تجسسياً، منها على سبيل المثال وليس الحصر

١ - مؤسسة راند الأمريكية.

٢- المركز الثقافي الأمريكي.

٣- مؤسسة روكفلر للأبحاث.

٤- مؤسسة كارنيجي.

٥- معهد بروكنجر.

٦- مؤسسة فريدريش نومان.

٧- مؤسسة هانز زايدل.

٨- معهد السلام.

٩- معهد ماسو شوستس وفروعه في القاهرة.

١٠- معهد (إم. آي. تي) الأكاديمية الدولية لبحوث السلام في الجامعة الأمريكية.

١١- هيئة المعونة الأمريكية.

المراكز المشار إليها بأسماء مؤسسات بحثية أمريكية وأوروبية وإسرائيلية، تتخذ من مجال البحث العلمي سبيلاً للاختراق.. وكانت تتعاون مع باحثين مصريين وعرب وتمول هذه المراكز من جهات سرية أغلبها يهودية، والمراكز الأكاديمية الإسرائيلية

كل هذه مؤسسات إسرائيلية تجسسية على مصر والعالم العربي، ولا تخلو بلد عربية منها، ولديها مراكز وشركات مالية بأسماء عربية وإسلامية، ويتبادل موظفو الموساد الأنخاب للنجاح الذي حققوه في تقسيم وشرذمة العالم العربي والإسلامي وجعلنا «أمة مُقسَّمة وطوائف مُحَزَّبة».

وعلى عكس معظم التقديرات التي ترى أن الربيع العربي سيكون في مصلحة تحرير فلسطين، فإن الرئيس السابق للاستخبارات الإسرائيلية عاموس يادلين يعتقد أن الربيع العربي «سيصب في صالح إسرائيل نهاية المطاف».

وقد سبق ذلك تقارير صحفية رفعت إلى الموساد قبل أن تبدأ الاضطرابات الأولى في تونس، حيث رأى الموساد من خلال هذه التقارير أن إشعال ما يسمى «الربيع العربي» سيحقق مصالح غير محدودة تعود بالفائدة على الكيان الصهيوني أكثر من أية فوائد قد يجنيها من خلال أي حرب يخوضها استنادا إلى وجود صراعات داخلية في كل بلد عربي من بلاد الربيع ستؤدي إلى إغراقها في الفوضى وهذا هو المناخ الذي تحقق فيه ومن خلاله إسرائيل أهدافها الكبرى.

الفصل الخامس

٥

إسرائيل وليبيا

* ماذا جرى في ليبيا وشمال إفريقيا؟

* عناصر الموساد وصلت إلى المجلس الانتقالي والحكومة الليبية في طرابلس، وأحدهم كان مديرَ محطةٍ فضائية سابقاً.

* الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل تستغل «الربيع العربي» بمساعدة قادة عرب لإعادة تشكيل العالم العربي وإفريقيا.

تحت إدارة أوباما وسَّعت الولايات المتحدة حربًا طويلة الأمد إلى إفريقيا. وأصبح باراك حسين أوباما الذي يُدعى (ابن إفريقيا) أعدى أعداء إفريقيا، فإلى جانب دعمه المتواصل للدكتاتوريات الإفريقية، انفصلت ساحل العاج، وحدث تقسيم السودان وساءت أحوال الصومال وهوجمت ليبيا من قبل الناتو. والآن القيادة المركزية الأمريكية في إفريقيا (أفريكوم) في أوج عنفوانها فالولايات المتحدة تريد المزيد من القواعد في إفريقيا، كما أعلنت فرنسا حقها في التدخل العسكري في أي مكان في إفريقيا لها فيه مواطنون فرنسيون ومصالح فرنسية معرضة للخطر. فيما الناتو يعزز مواقعه في البحر الأحمر وساحل الصومال.

وفي حين تنتشر الاضطرابات مرة أخرى في إفريقيا بالتدخلات الخارجية، تقبع إسرائيل صامتة في الخلفية. وتل أبيب متورطة بعمق في دورة الاضطراب الحالية التي ترتبط بخطة ينّون لإعادة تشكيل محيطها الاستراتيجي. ويعتمد هذا التشكيل الجديد على أسلوب راسخ من خلق الانقسامات الطائفية التي بدورها سوف تحيِّد الدول المستهدَفة أو تفككها.

والكثير من المشاكل التي أصابت مناطق في شرق أوروبا ووسط آسيا وجنوب غربها، وشرقها، وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، هي نتيجة لإشعال متعمد للحرائق الإقليمية من قبل قوى خارجية.

ومنذ القدم تُستغل الانقسامات الطائفية والتوترات الإثنية اللغوية والاختلافات الدينية والعنف الداخلي، من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في أماكن متعددة من العالم.

وما العراق والسودان ورواندا ويوغسلافيا، إلا أمثلة قليلة حديثة لهذه الإستراتيجية (فرق تسد) «Divide and Conquer» من أجل تركيب الشعوب.

الاضطرابات في وسط وشرق أوروبا ومشروع «الشرق الأوسط الجديد

يشبه الشرق الأوسط في بعض جوانبه البلقان ووسط وشرق أوروبا، خلال السنوات

التي مهدت للحرب العالمية الأولى، شبها كبيرا.

في أعقاب الحرب العالمية الأولى أُعيد رسم حدود الدول متعددة الأعراق في البلقان ووسط وشرق أوروبا وأعيد تشكيلها من قبل القوى الخارجية بالتحالف مع قوى معارضة داخلية. ومنذ الحرب العالمية الأولى وحتى مابعد الحرب الباردة مرت البلقان ووسط شرق أوروبا بفترة اضطرابات وعنف وصراع ساعد على مواصلة تقسيم المنطقة.

شرق أوسط جديد.. ماذا يعني ذلك؟

وعلى مدى سنوات طويلة كان هناك دعاة لشرق أوسط جديد، بحدود يُعاد رسمها لهذه المنطقة من العالم حيث تلتقي أوروبا وجنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، وينطلق معظم هؤلاء الدعاة من واشنطن ولندن وباريس وتل أبيب.

إنهم يخططون لمنطقة تشكل من دول متجانسة عرقيا ودينيا. وتشكيل هذه الدول سوف يؤدي إلى تدمير الدول الأكبر القائمة حاليا في المنطقة.. والفكرة هي تشكيل دويلات صغيرة يمكن إدارتها واستغلالها من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل وحلفائهم.

لقد بدأت خطط إعادة تشكيل الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الأولى بفترة طويلة. ولكن لم تظهر بوادرها إلا خلال تلك الحرب، مع (الثورة العربية الكبرى) ضد الإمبراطورية العثمانية.. ورغم أن البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين كانوا قوى استعمارية منعت العرب من التمتع بأية حرية في دول مثل الجزائر وليبيا ومصر والسودان، فإنهم استطاعوا أن يصوروا أنفسهم على أنهم أصدقاء العرب وحلفاء التحرر العربي.

خلال «الثورة العربية الكبرى» استخدم البريطانيون والفرنسيون، العرب، في الواقع، جنودا ضد العثمانيين من أجل تحقيق مشاريعهم الاستعمارية الجيوبوليتيكية. وأفضل مثال على ذلك هو اتفاقية سايكس بيكو السرية بين لندن وباريس، حيث استطاعت فرنسا وبريطانيا استخدام واستغلال العرب بإقناعهم بفكرة التحرر العربي مما يسمى القمع العثماني.

كانت الإمبراطورية العثمانية إمبراطورية متعددة الأعراق، وكانت تمنح في الواقع حكما ذاتيا محليا وثقافيا لكل شعوبها ولكنها كانت تعتبرها جزءا من كيان تركي. حتى (المذبحة الأرمنية) التي وقعت في الأناضول يمكن تفسيرها بنفس إطار الاستهداف المعاصر للمسيحيين في العراق كجزء من خطة طائفية قام بها لاعبون من الخارج لتقسيم الإمبراطورية العثمانية والأناضول ومواطني الإمبراطورية العثمانية.

بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، قمعت لندن وباريس، العرب، وفي نفس الوقت، كانتا تزرعان بذور الانقسام بين الشعوب العربية.

كان الحكام العرب المحليون الفاسدون شركاء في المشروع وكان أقصى آمال الواحد منهم أن يكون مجرد عميل لبريطانيا أو فرنسا.

بنفس المضمون، يتم استغلال «الربيع العربي» حاليا، حيث تعمل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وآخرون الآن بمساعدة قادة عرب لإعادة تشكيل العالم العربي وإفريقيا.

خطة ينون الصهيونية

خطة ينون هي استمرار للإستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط وهي خطة إستراتيجية إسرائيلية لضمان تفوُّق إسرائيلي. وتتلخص في أن على إسرائيل إعادة تشكيل محيطها الجيوبوليتيكي من خلال بلقنة الدول الشرق أوسطية والعربية إلى دول أصغر وأضعف.

وكان المخططون الإسرائيليون يرون في العراق التحدي الاستراتيجي الأكبر بين الدول العربية. ولهذا السبب اختير العراق كمحور لبلقنة الشرق الأوسط والعالم العربي. وحسب مفاهيم خطة ينون، دعا المخططون الإسرائيليون إلى تقسيم العراق إلى دولة كردية ودولتين عربيتين، واحدة للمسلمين الشيعة والأخرى للمسلمين السنة. وكانت أول الخطوات باتجاه ترسيخ ذلك هي الحرب بين العراق وإيران التي ناقشتها خطة ينون.

نشرت صحيفة Atlantic في ٢٠٠٨ وصحيفة القوات المسلحة للجيش الأمريكي في ٢٠٠٦، الخارطتين التاليتين اللتين وزعتا بشكل واسع وهما ترتبطان بخطة ينون.

خارطة مشروع غولبيرغ.. مشروع الشرق الأوسط الكبير

فإلى جانب عراق مقسم والذي تدعو إليه خطة نائب الرئيس الأميركي جوزيف بايدن، أيضا، فإن خطة ينون تدعو إلى تقسيم لبنان ومصر وسوريا. وعلى نفس الخطوط، يتم تقسيم إيران وسوريا ومصر والصومال وباكستان. وتدعو خطة ينون أيضا للتفكيك في شمال إفريقيا وتتنبأ بأن يبدأ ذلك من مصر ثم السودان وليبيا وبقية المنطقة.

محو المجتمعات المسيحية من الشرق الأوسط

ليس صدفة أن تتم مهاجمة المسيحيين المصريين في نفس وقت الاستفتاء حول جنوب السودان وقبل أزمة ليبيا. وليس صدفة أن يُجبر المسيحيون العراقيون وهم من أقدم المجتمعات المسيحية في العالم على الهجرة، تاركين أرض أجدادهم في العراق. ويترافق مع خروج المسيحيين العراقيين الذي حدث تحت أنظار وصمت القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية، تطهير بغداد طائفيا حيث أُجبر الشيعة والسنة بالعنف وفرق الموت لتشكيل جيوب طائفية. كل هذا يرتبط بخطة ينون وإعادة تشكيل المنطقة كجزء من هدف أوسع..

ففي إيران، حاول الإسرائيليون بدون جدوى تهجير المجتمع اليهودي الإيراني. وهو ثاني أكبر تجمع يهودي في الشرق الأوسط وأقدم مجتمع يهودي متماسك في العالم. حيث ينظر اليهود الإيرانيون إلى أنفسهم باعتبارهم إيرانيين مرتبطين بالوطن مثلهم مثل الإيرانيين المسلمين والمسيحيين، ويستخفون بمفهوم ضرورة الهجرة إلى إسرائيل لأنهم يهود.

في لبنان، حاولت إسرائيل إثارة التوترات الطائفية بين مختلف الطوائف المسيحية والمسلمة والدرزية.

لبنان هو منصة قفز إلى سوريا وتقسيم لبنان إلى عدة دول يمهد لبلقنة سوريا إلى دول عربية طائفية أصغر.

أهداف خطة ينون هي تقسيم لبنان وسوريا إلى عدة دول على أساس دينيٍّ وطائفي للسنة والشيعة والمسيحيين والدروز. أيضا ربما يكون هناك مسعى لتهجير المسيحيين من سوريا أيضا.

وقد عبَّر رئيس كنيسة أنطاكية المارونية السريانية الكاثوليكية، وهي أكبر الكنائس الكاثوليكية الشرقية، عن مخاوفه من عمليات تطهير المسيحيين العرب في الشرق. ويخشى البطريرك مار بشارة بطرس الراعي والكثير من القادة المسيحيين في لبنان وسوريا من هيمنة التطرف على سوريا.

ومثل العراق، هناك جماعات غامضة تهاجم المجتمع المسيحي في سوريا. وقد عبر أيضا قادة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بضمنهم البطريرك الأرثوذكسي الشرقي في القدس، عن مخاوفهم العميقة. وإلى جانب العرب المسيحيين، فإن القلق ينتاب المجتمعات الأشورية والأرمنية وهم مسيحيون طبعا.

البطريرك الراعي كان في باريس وقابل الرئيس نيكولا ساركوزي . ويقال إنه كانت هناك خلافات بين البطريرك الماروني وساركوزي حول سوريا، مما دفع ساركوزي للقول إن النظام السوري سوف ينهار. وكان موقف البطريرك الراعي أنه ينبغي ترك سوريا لتقوم بالإصلاحات. وقال أيضا لساركوزي إنه إذا أرادت فرنسا نزع سلاح حزب الله. فينبغي عليها في نفس الوقت التعامل مع خطر إسرائيل.. وبسبب موقفه في فرنسا فقد توجه زعماء روحيون مسيحيون ومسلمون في سوريا إلى لبنان لتقديم الشكر له.

وفي المقابل تعرض لانتقادات من تحالف ١٤ آذار الذي يقوده الحريري بسبب موقفه من حزب الله ورفضه دعم الإطاحة بالنظام السوري، وقد بدأ حزب التحرير الذي يعمل في لبنان وسوريا بانتقاده أيضا. كما ألغى مسؤولون أمريكيون كبار لقاءاتهم المقررة

مع البطريرك الماروني إشارة إلى انزعاجهم من مواقفه من حزب الله وسوريا.

خطة تهجير المسيحيين؟

هناك خطة لتهجير المسيحيين من الشرق الأوسط تقوم بها واشنطن وتل أبيب وبروكسل، ويقال إن الرئيس نيكولا ساركوزي أبلغ البطريرك اللبناني بطرس الراعي في باريس بإمكانية إعادة توطين مسيحيي الشرق، واستيعابهم في الاتحاد الأوربي. وهذا ليس عرضا كريما، بل هو صفعة على الوجه تسددها نفس القوى التي خلقت عمدا، الظروف لمحو التجمعات المسيحية العريقة في الشرق الأوسط. ويبدو أن الهدف هو إعادة توطين المسيحيين خارج المنطقة، وتوفير المناخ لصراعات إسلامية-إسلامية لا يقدم خلالها المسيحيون الشرقيون أي تضحيات بشرية أو مالية، وهذا يتطابق مع خطة الصهيوني ينون.

إعادة تقسيم إفريقيا حسب خطة ينون

في نفس إطار التقسيم الطائفي للشرق الأوسط، رسم الإسرائيليون خططا لإعادة تشكيل إفريقيا. وتسعى خطة ينون إلى تقسيم إفريقيا على ثلاثة أسس:

١ - الإثنيات اللغوية

٢- لون البشرة

٣- الدين

تسعى الخطة لرسم حدود في إفرقيا بين ما يسمى (إفرقيا السوداء) وشمال إفرقيا (غير الأسود). وهذا جزء من خطة لخلق هوة في إفرقيا بين ما يفترض أنهم (عرب) وما يسمون (السود)، في محاولة لمنع اندماج الهوية العربية والإفريقية.. وهذا الهدف هو وراء ترويج وتشجيع التعريف الغريب (جنوب السودان الإفريقية) و(شمال السودان العربية). وأيضا هذا هو السبب في استهداف الليبيين من ذوي البشرة السوداء في حملة تطهير (لوني) في ليبيا.

إن ما يجري هو فصل الهوية العربية لشمال إفرقيا عن الهوية الأفريقية. وفي نفس الوقت هناك محاولة لمحو السكان (العرب السود) حتى يكون هناك خط واضح بين (إفرقيا السوداء) و(شمال إفرقيا غير الأسود) مما يحولها إلى ميدان معركة بين بقية البربر والعرب (غير السود).

في نفس المضمون، تخلق فتن بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا، في أماكن مثل السودان ونيجيريا من أجل خلق المزيد من نقاط الانفصال والتقسيم. والهدف من هذه الانقسامات على أساس اللون والدين والعرق واللغة يقصد منه تفكيك الوحدة الإفريقية. كل هذا جزء من إستراتيجية افريقية أوسع لفصل شمال إفريقيا عن بقية القارة الإفريقية.

إسرائيل والقارة الإفريقية

لقد تغلغل الإسرائيليون في القارة الإفريقية منذ سنوات.

في الصحارى الغربية على حدود المغرب، ساعد الإسرائيليون على بناء جدار أمني عازل مثل جدار الضفة الغربية.

في السودان، سلّحت تل أبيب الحركات الانفصالية والمتمردين.

وفي جنوب إفريقيا دعمت إسرائيل نظام الفصل العنصري واحتلاله ناميبيا.

في ٢٠٠٩ أعلنت وزارة الخارجية الإسرائيلية سعي تل أبيب لتجديد تركيزها على إفريقيا.

لإسرائيل هدفان في إفريقيا

الأول: فرض خطة ينون بما يتناسب مع مصالحها الخاصة، والثاني: مساعدة واشنطن لتبسط سيطرتها على إفريقيا. وفي هذا الشأن دفع الإسرائيليون في اتجاه إقامة إفريكوم (القيادة المركزية الأمريكية في إفريقيا). ويمكن اعتبار معهد الدراسات الإستراتيجية والسياسية المتقدمة IASPS وهو مؤسسة فكرية إسرائيلية، مثالاً واحداً على ذلك.

أسندت واشنطن مهامها الإستخبارية في إفريقيا إلى تل أبيب التي تنهمك بذلك باعتبارها طرفا في حرب أوسع ليس فقط (داخل) إفريقيا وإنما (على) إفريقيا.. في هذه الحرب، تعمل تل أبيب جنبا إلى جنب واشنطن والاتحاد الأوربي ضد الصين وحلفائها بضمنهم إيران. وعلى الطرف الآخر، تعمل طهران إلى جانب بكين بنفس طريقة تل أبيب وواشنطن.

تساعد إيران الصينيين في إفريقيا من خلال العلاقات والروابط الإيرانية ومنها ارتباط طهران بمصالح الشركات اللبنانية والسورية في إفريقيا.

وهكذا ضمن تنافس أوسع بين واشنطن وبكين، هناك تنافس إسرائيلي- روسي داخل إفريقيا.

وقد أصبحت السودان ثالث اكبر منتج سلاح في إفريقيا نتيجة للدعم الإيراني في تصنيع السلاح. وفي هذه الأثناء، في حين توفر إيران المساعدة العسكرية للخرطوم والتي تتضمن العديد من اتفاقيات التعاون الأمني، تتخذ إسرائيل مواقف ضد السودانيين.

إسرائيل وليبيا

اعتبرت ليبيا (مُفسدة) حيث قللت من شأن مصالح القوى الاستعمارية السابقة في إفريقيا، وبهذا الشأن، قامت ليبيا بتنفيذ عدة خطط تنمية صناعية إفريقية شاملة من أجل تطويرها ودمجها في وحدة سياسية، وقد تعارضت هذه المبادرات مع مصالح القوى الخارجية المتنافسة مع بعضها في إفريقيا، وبشكل خاص واشنطن ودول الاتحاد الأوروبي الكبيرة. وفي هذا الشأن كان يجب إعاقة ليبيا وتحييدها كجهة داعمة لتقدم الدول الإفريقية ووحدتها.. وهنا كان دور إسرائيل واللوبي الإسرائيلي مهما في فتح الباب للتدخل العسكري للناتو في ليبيا. وطبقا لمصادر إسرائيلية، كانت مراقبة الأمم المتحدة UN Watch هي الجهة التي نسَّقت الأحداث في جنيف لإخراج ليبيا من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، والطلب من مجلس الأمن للتدخل.

ترتبط مراقبة الأمم المتحدة رسميا مع اللجنة اليهودية الأمريكية AJC والتي لها

أكبر الأثر في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية وهي جزء من اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة. أما الاتحاد العالمي لحقوق الإنسان FIDH الذي ساعد في إطلاق مزاعم غير مؤكدة من قتل القذافي لستة آلاف من شعبه، فهو يرتبط أيضا باللوبي الإسرائيلي في فرنسا.

وكانت تل أبيب في تواصل مستمر مع كل من المجلس الانتقالي والحكومة الليبية في طرابلس. وكان عناصر الموساد في طرابلس أيضا، أحدهم كان مدير محطة سابق. وفي نفس الوقت كان أعضاء فرنسيون من اللوبي الإسرائيلي يزورون بنغازي. وللمفارقة، كان المجلس الانتقالي يتهم العقيد القذافي بأنه يعمل مع إسرائيل، في الوقت الذي كان المجلس يتعهد أمام موفد ساركوزي الخاص برنار هنري ليفي بالاعتراف بإسرائيل، من أجل أن ينقل ليفي هذه الرسالة إلى القادة الإسرائيليين.

نمط مشابه لروابط إسرائيل بالمجلس الانتقالي، جرى في جنوب السودان في المراحل الأولى حيث كانت إسرائيل تقدم السلاح.

ورغم موقف المجلس الانتقالي من إسرائيل، فإن أعضاءَه مازالوا يحاولون شيطنة القذافي بالزعم أنه «يهودي» في السر، وهذا يجانب الصواب وفي نفس الوقت، يعكس حالة من العنصرية، لأن هذه الاتهامات كان المقصود بها اغتيال شخصية القذافي باعتبار أن «اليهودي» كلمة مشينة.

في الواقع أن إسرائيل والناتو في خندق واحد. إسرائيل هي عضو في الناتو «بالأمر الواقع». وحقيقة أن القذافي كان يتقرب من إسرائيل، في حين يعمل المجلس الانتقالي مع الناتو، يعني أن الناتو وإسرائيل يحركان الطرفين ضد بعضهما البعض.

تهيئة رقعة الشطرنج لصدام الحضارات

في هذه النقطة ينبغي أن نجمع كل القطع ونضع النقاط على كل الحروف، خارطة توضح توزيع الحضارات العالمية وتعكس نموذج صموئيل هتنغتون لصراع الحضارات، رقعة الشطرنج تُهيأ لصدام الحضارات وكل قطع الشطرنج توضع في أماكنها. العالم

العربي يحاصَر ويعزَل وتُرسم خطوط تقسيم حادة في دوله.

بموجب هذه الخطة، لن يكون هناك انتقال واندماج بين المجتمعات والدول. وهذا هو السبب في استهداف المسيحيين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كما يحدث مع الأقباط في مصر حاليا. وهذا هو السبب أن العرب السود والبربر السود والسكان الليبيون السود يتعرضون لمذبحة في شمال إفريقيا.

ما يجري تحضيره هو خلق منطقة (شرق أوسط مسلم) (ماعدا إسرائيل) ستكون في حالة صراع بسبب التقاتل السني الشيعي. وسيناريو مشابه يتم التحضير له لمنطقة (شمال إفريقيا غير سوداء) ستتميز بالحروب بين العرب والبربر، وفي نفس الوقت وحسب نموذج (صدام الحضارات) سيكون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في صراع مع ما يسمى (الغرب) و(إفريقيا السوداء).

هذا هو سبب تصريحات نيكولا ساركوزي في فرنسا وديفيد كاميرون في بريطانيا عند بداية الصراع في ليبيا بأن التعددية الثقافية ماتت في مجتمعاتهما الأوروبية الغربية.

إن التعددية الثقافية تهدد شرعية أجندة حرب الناتو. كما أنها تشكل عائقا لتنفيذ صدام الحضارات الذي يعتبر حجر الزاوية في السياسة الخارجية الأمريكية.

وحول هذا الشأن، يوضح زبغنيو بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق سبب كون التعددية الثقافية خطرا على واشنطن وحلفائها بقوله «كلما زاد تحول أمريكا إلى مجتمع متعدد الثقافات، ستجد صعوبة في تشكيل رأي عام موحد على قضايا السياسة الخارجية، مثلا الحرب مع العالم العربي أو الصين أو إيران أو روسيا والاتحاد السوفيتي السابق، ماعدا في ظروف وجود خطر خارجي مباشر وهائل. ومثل هذا الإجماع حدث خلال الحرب العالمية الثانية وحتى أثناء الحرب الباردة (والآن بسبب الحرب الكونية على الإرهاب).

والجملة التالية لبريجنسكي هي التي توضح سبب رفض الشعوب أو تأييدها للحروب «الإجماع كان متجذرا، على أية حال، ليس فقط في القيم الديموقراطية

المشتركة التي أحس الرأي العام أنها تتعرض للتهديد ولكن أيضا في التقارب الثقافي والعرقي للأوروبيين الذين شعروا أنهم ضحايا دكتاتوريات معادية.»

نموذج صموئيل هتنغتون لصراع الحضارات بحسب الإثنيات

وأكرر ثانية، من أجل منع هذا التقارب العرقي والثقافي بين الشرق الأوسط/ شمال إفريقيا وما يسمى (العالم الغربي) و (إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى)، يستهدف المسيحيون والناس السود في هذه المنطقة.

الصراعات العرقية والأيديولوجية: تبرير «الحروب العادلة» المعاصرة

في الماضي كانت القوى الاستعمارية لأوروبا الغربية تلقن شعوبها، بهدف الحصول على الدعم للغزو الاستعماري. كان هذا يأخذ شكل نشر المسيحية وترويج القيم المسيحية بدعم من التجار المسلحين والجيوش الاستعمارية. في نفس الوقت كانت تنشر الأيديولوجيات العنصرية، حيث كانت تصور شعوب الأراضي المحتلة على أنهم أقل شأنا من البشر. وكان الخطاب الدعائي يدور حول «مسؤولية الرجل الأبيض» للقيام بحملة تمدين (الشعوب غير المتحضرة في العالم) وكان هذا الإطار الأيديولوجي يستخدم لتصوير الاستعمار على أنه (قضية عادلة) وشرعية طالما أنها تهدف إلى تمدين الشعوب البدائية.

اليوم لم تتغير الخطط الإمبريالية للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، ما تغير هو الحجة والتبرير لشن حروب استعمارية جديدة وغزو البلاد.

• خلال الفترة الكولونيالية كان الخطاب والتبريرات لشن الحرب يقبلها الرأي العام في بلاد المستعمِرين مثل بريطانيا وفرنسا. اليوم تشن (الحروب العادلة) (والقضايا العادلة) تحت رايات حقوق المرأة وحقوق الإنسان والتدخلات الإنسانية والديمقراطية، ومن خلال تقارير منظمات حقوقية تنتشر في قطاعات المجتمع ولم يعد الاعتماد كبيرا على الاستخبارات بل إن أجهزة الاستخبارات الغربية لم تعد تمانع

في نشر إعلانات تطلب فيها عملاء ولكن من طراز خاص،أي مختصين في الطب والإعلام والقانون فلم يعد الغرض جمع معلومات وإرسالها بالشفرة أو الحبر السري وإنما المهم التسلل إلى أوساط النخب صانعة القرار والتي تساهم في صياغة الرأي العام حتى تمهد للتدخل الغربي.

الفصل السادس

٦

نجاح ساحق لخطة برنارد لويس في تفتيت السودان

* سلفاكير صرح «بأن بلاده تعتبر دولة إسرائيل نموذجا يُحتذَى به، وستتعاون معها.

* البرلمان السوداني يعلن: أن حكومة جنوب السودان أصبحت «عدوا» للخرطوم.

* حروب بين دولتي الشمال والجنوب على الحدود والنفط والمراعي، وحروب قَبلية في الجنوب

تعتبر السودان نموذجا حيا لتطبيق خطة برنارد لويس لتفتيت الدول العربية، إذ لم تنجح الخطة فحسب في تقسيم الدولة إلى دولتين شمالية وجنوبية وإنما امتد الأمر إلى مشاريع تقسيم جديدة في غرب البلد «دارفور» وشرق السودان»كردفان» وهكذا فإن تفتيت السودان يمضي على قدم وساق، في ظل إلحاح غربي وتدخل إسرائيلي، وحصار في مجلس الأمن واتهامات لا حدود لها لحكومة الخرطوم بأنها تشن حروبا مسلحة ضد دولة الجنوب الوليدة والمحمية من الغرب وإسرائيل.

سنركز هنا على كشف حقيقة ما يحدث فيها فى ظل الحرب الداخلية المدعومة بسموم إسرائيلية أمريكية، الأمر الذي تطور وجعل البرلمان السوداني يعلن أن حكومة جنوب السودان أصبحت «عدوا» للخرطوم.. وهذا خطر داهم ومثير..

ما حدث من قبل، وسوف يحدث في السودان ليس ببعيد عن مصر ولا شك أنه يؤثر بقوة على أمن مصر القومي والاستراتيجي والإقليمى.. فالبرلمان السوداني أصدر بيانا بموافقة جميع النواب باعتبار «حكومة جنوب السودان عدوا للسودان وعلى مؤسسات الدولة السودانية معاملتها وفقا لذلك».. وذلك على خلفية تجدد القتال في المناطق الحدودية بين السودان وجنوب السودان، واحتلال جيش الجنوب لحقل هجليج النفطي الذي يعتبر جزءا من الشمال وفقا لقرار صادر عن محكمة التحكيم في لاهاي.

علما بأن هذا الحقل ينتج حوالي ٦٠ ألف برميل يوميا، أي حوالي نصف إنتاج النفط السوداني البالغ ١١٥ ألف برميل في اليوم، مما يزيد الأعباء الاقتصادية على الخرطوم.. وهذه تعد الجولة الأعنف من القتال منذ انفصال جنوب السودان عقب استفتاء على تقرير المصير، والذي بموجبه فقدت الحكومة السودانية حوالي ٧٥ في المائة من إنتاجها النفطي..

الصراع تصاعد بقوة لدرجة تدخل قوى خارجية في الأمر من جانب إسرائيل التي أعلنت أنها تدرس طلبا بإرسال «قوات شرطة» إلى جنوب السودان، بدعوى المشاركة

فى نشاطات الأمم المتحدة بجنوب السودان.. وذلك في مشهد يعيد إلى الأذهان لحظة قيام شمعون بيريز رئيس إسرائيل وسيلفاكير رئيس جنوب السودان وهما يشربان كأس خمر الشرق الأوسط الجديد، حينما شرب سلفاكير نخب التحالف الأمني والعسكري مع الاحتلال، ونشرت حينها وسائل الإعلام العبرية صورة بيريز وهو يرفع كأس خمر الحب الجديد مع سلفاكير الذي صرح آنذاك قائلا: «بأن بلاده تعتبر دولة إسرائيل نموذجا يحتذى به ومثلا للنجاح، وأنه سيتعاون مع إسرائيل وسيعمل معها يدا بيد، من أجل توثيق العلاقات بين البلدين».. فيما وصف بيريز هذا اللقاء بأنه لحظة تاريخية.. و«أن دولة إسرائيل دعمت وسوف تدعم دولة جنوب السودان في جميع المجالات، لتطويرها وتقويتها.. وهذه قضية خطيرة للغاية في ظل الدعم الدولي لسلفاكير خاصة بعد انضمام دولة الجنوب لصندوق النقد الدولي بعد توقيع الاتفاقية فى العاصمة الأمريكية واشنطن..

ليس هذا فقط فعلى جانب آخر أعلن مسؤول عسكري أوغندي أن بلاده ستساند جارتها جنوب السودان إذا دخلت في حرب مع السودان، قائلا إننا لن نجلس ولا نفعل شيئا، بل سنشارك لأننا نعانى من حرب تشنها الخرطوم بالوكالة.

كل هذه المعطيات تجعلنا نتخوف على أمن مصر القومي والاستراتيجي وتجعلنا نؤكد على المؤامرة التي تحاك ضد مصر والدول العربية والشرق الأوسط..

فلو رجعنا للوراء قليلا دون أن نستمع إلى الأصوات التي ترفض فكرة المؤامرة وهى واقع نعيش مرارته دون التعلم من دروس التاريخ.. فقد سقطت فلسطين بعد صرخة هرتزل عام ١٨٩٨ في مؤتمر بازل بسويسرا بضرورة قيام دولة صهيون بعد ٥٠ عاماً وكان له ما أراد وما خطط.. ثم أعطى بلفور وعداً لليهود عام ١٩١٧ وتم تنفيذ وعده بعد ٣١ عاماً

وفى سيناريو المؤامرات.. وقف جورج بوش الأب عام ١٩٩١ في تاريخ ١١ سبتمبر بالتحديد، وألقى كلمته التاريخية المشهورة بإعلان بداية النظام العالمي الجديد.. وبعد

عشر سنوات بالسنة وبالشهر وباليوم ١١ سبتمبر٢٠٠١ (وليس صدفة) كانت انطلاقة النظام العالمي الجديد وأطلق النظام الأمريكي مشروع (الشرق الأوسط الجديد).. وقاموا بإعادة نشر مخطط (برنارد لويس) بتقسيم العالم الإسلامي، وليس الشرق الأوسط فقط وكان من ضمنها أيضاً السودان والعراق وغيرها.. ذلك المخطط الذي اعتمدته الولايات المتحدة لسياستها المستقبلية،وعملت على تنفيذه انطلاقا من دستور بريمر ٢٠٠٦ في العراق الذي غرس فيروس التقسيم في الدستور العراقي ووصولا إلى تقسيم السودان إلى شطرين مرشحين لمزيد من التفتيت..

بلد غارق في الفوضى

المتتبع لقضية السودان الشائكة في هذه البقعة -من العالم- المترامية الأطراف والتي كانت تُعرف قبل انفصال الجنوب بأنها بلد المليون ميل مربع وأكبر بلد من حيث المساحة في إفريقيا والوطن العربي يعتقد لأول وهلة أن مشاكله التي تحيط به وقد تنتهي به إلى تقسيم وتمزيق إنما هي نتاج نظام قائم أو حكومات لكن بالتاريخ والشواهد نقول إن التخطيط قديم حتى قبل ميلاد قادة النظام الحالي، والسودان لا ينفك من منظومة محيطه العربي والإسلامي وتأثيره الكبير في مستقبل هذا المحيط من نواحي اقتصادية وسياسية وعسكرية فهو البوابة الجنوبية على إفريقيا لمحيطه الإسلامي والعربي.

مخطط تقسيم السودان ضمن منظومة تفتيت الدول العربية والإسلامية:

الذين لم يدركوا التاريخ يظنون ما صنعته أمريكا بالعراق من احتلال وتقسيم أمراً مفاجِئاً جاء وليد الأحداث التي أنتجته، وما يحدث الآن في جنوب السودان له دوافع وأسباب، ولكن الحقيقة الكبرى أنهم نسوا أن ما يحدث الآن هو تحقيق وتنفيذ للمخطط الاستعماري الذي خططته وصاغته وأعلنته الصهيونية والصليبية العالمية؛ لتفتيت العالم الإسلامي، وتجزئته وتحويله إلى «فسيفساء ورقية» يكون فيه الكيان الصهيوني السيد المطاع، وذلك منذ إنشاء هذا الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ١٩٤٨م.

وعندما ننشر هذه الوثيقة الخطيرة لـ«برنارد لويس» فإننا نهدف إلى تعريف المسلمين بالمخطط، وخاصة الشباب الذين هم عماد الأمة وصانعو قوتها وحضارتها ونهضتها، والذين تعرضوا لأكبر عملية «غسيل مخ» يقوم بها فريق عمل يدأب؛ لخدمة المشروع الصهيوني الأمريكي لوصم تلك المخططات بأنها مجرد «نظرية مؤامرة» رغم ما نراه رأي العين ماثلاً أمامنا من حقائق في فلسطين والعراق والسودان وأفغانستان، والبقية آتية لا ريب إذا غفلنا.

وحتى لا ننسى ما حدث لنا وما يحدث الآن وما سوف يحدث في المستقبل، فيكون دافعًا لنا على العمل والحركة؛ لوقف الطوفان القادم، فقد وضع برنارد لويس خريطة لتقسيم السودان تشتمل على أربع دويلات، فمن الذي تحقق منها:

١- دويلة النوبة: المتكاملة مع دويلة النوبة في الأراضي المصرية التي عاصمتها أسوان.

٢- دويلة الشمال السوداني الإسلامي

٣- دويلة الجنوب السوداني المسيحي: وهي التي أعلن انفصالها في استفتاء تم ليكون أول فصل رسمي طبقًا للمخطط.

٤- دارفور: والمؤامرات مستمرة لفصلها عن السودان بعد الجنوب مباشرة حيث إنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول.

البداية انفصال الجنوب

احتفل الجنوبيون في السودان بإعلان دولتهم الانفصالية السبت ٩ يوليو ٢٠١١ وبعدها بدقائق معدودة بدأت الخطط الجنوبية لمناوشة الشمال تارة عبر إثارة المنتمين لحزب (الحركة الشعبية) الجنوبي للمشكلات في الخرطوم مطالبين بمعاملتهم كقوة سياسية معارضة طارحين نفس منهج الحركة بشأن (سودان علماني)!، وتارة عبر إثارة دولة الجنوب الانفصالية مشكلات إقليم أبيي وجنوب كردفان وحتى دارفور بهدف فصل هذه المناطق عن السودان الشمالي أيضا ضمن خطط تفتيته .

أما أمريكا والغرب، فبدأوا على الفور استكمال مخطط تفتيت ما تبقي من السودان الموحد، عبر سلسلة إجراءات أبرزها: رفع العقوبات عن دولة الجنوب وإبقاؤها على الشمال (برغم الوعود الأمريكية برفع العقوبات لو قبلت الخرطوم انفصال الجنوب!)، واستصدار قرار من مجلس الأمن بنشر قوة دولية تقدر بسبعة آلاف جندي في دولة الجنوب الانفصالية بهدف حمايتها في حالة نشوب أي حرب مع الشمال، فضلا عن المطالبة بخطط أخرى لنشر قوات دولية في جنوب كردفان ودارفور لاستكمال مخطط التفتيت.

ونَشير هنا لتأكيد مصادر سودانية أن السلطات الرسمية في السودان عثرت وهي تسعى لمطاردة مالك عقار ممثل الحركة الشعبية في جنوب كردفان الذي دخل في حرب أهلية هناك بعد خسارته انتخابات الولاية - على خريطة كانت موجودة لدى هذا القيادي في الحركة الشعبية بجنوب كردفان تشير إلى مزيد من الانقسام في السودان، وتؤكد المصادر أن أحدا من السودانيين لن يسمح بانفصال أي جزء آخر من السودان سواء في دارفور أو كردفان أو الشرق أو غيرها وأن المحادثات التي جرت في نيفاشا وأفضت لفصل الجنوب لن تتكرر مرة أخرى..

فالذي لا شك فيه هو أن انفصال جنوب السودان تحوَّل إلى زلزال جيو سياسي واسع النطاق في السودان الجنوبي نفسه والسودان الأم وباقي المنطقة العربية والإفريقية المحيطة، لأن عشرات الحركات الانفصالية الطائفية أو العرقية الناشطة في شتى بقاع العالم العربي وإفريقيا أصبحت تنظر إلى هذا الانفصال باعتباره نموذجا يجب الاحتذاء به، بهدف تحقيق طموحات عشرات من الأقليات السكانية ذات التطلعات القومية للانفصال عن دولها وبناء الدولة الخاصة بها، وهي تطلعات تضر بدول مثل مصر (الأقليات الأقباط والنوبيون) والجزائر (الأمازيج) والعراق (الأكراد) وحتى بعض دول الخليج (الأقليات الشيعية). ناهيك عن أقليات عِرقية وقبلية في إفريقيا سعت منظمة الوحدة الأفريقية لقمع انفصالها بالنص علي رفض تعديل الحدود الموروثة من الاستعمار ولكن انفصال الجنوب أرسى تقليدا خطيرا في هذا الصدد يسمح للجميع بالانفصال.

صراعات قبلية في دولة الجنوب

دولة السودان الجنوبى الجديدة هي الأحدث التي انفصلت عن أكبر وأول دولة عربية إفريقية هي السودان الكبير مساحة وحدودا وبترولا وموارد، بموجب استفتاء شعبي أجري في التاسع من يناير الماضي. وكانت نتيجته تأييدا من أهل الجنوب بالانفصال عن الشمال بنسبة ٩٨,٨٣٪، وهو استفتاء نص عليه اتفاق السلام الشامل الذي وقع بين الجانبين عام ٢٠٠٥. ولكنها دولة ولدت في ظروف غير عادية. وولدت ميتة تقريبا. حيث الصراعات بين القوى القبلية والحزبية وقلة الموارد باستثناء البترول وعدم وجود أية بنية تحتية تصلح لنشوء صناعة وتجارة على مستوى كبير.

حرب أهلية مع الشمال

والأهم أن استقلال جنوب السودان لم يكتمل بعد، حيث مازالت هناك قضايا عالقة مع الشمال قد تؤدى إلى حرب أهلية ثالثة، أبرزها ترسيم الحدود، والنزاع بشأن تبعية منطقة أبيى، ويأتي ملف النفط فى واجهة الخلاف كونه المورد الرئيسي الذي سيعتمد عليه كل من شمال السودان والدولة الناشئة فى الجنوب، كما تضفى العلاقات الخارجية لدولة جنوب السودان مزيداً من التوتر، حيث إنها تأتى عكس توجهات الشمال، وأبرزها علاقات الجنوب بإسرائيل التي ستصبح جارا للسودان غصبا عنه عندما تترسخ أقدامها في دولة الجنوب عقب انفصالها رسميا.

الدولة الجنوبية الوليدة لن تكون أيضا بمنأى عن أزمات سياسية وصراعات قبلية أشد وطأة من أزمات وصراعات الشمال إذ أن الحركة الشعبية وحكومتها وقبيلتها ليست القوة السياسية الوحيدة في الجنوب وليست القبيلة الأكثر عددا وإن كانت الأكبر والأكثر نفوذا وهيمنة، بوصفها تمثل النخبة الجنوبية الأفضل تعليما والمدعومة خارجيا، ومن ثم فإن الصراعات الجنوبية قد تسفر عن حرب أهلية جنوبية/ جنوبية، وذلك هو أخطر التحديات التي تواجه جنوب السودان بعد الانفصال، وهناك قوى وحركات وأحزاب قبلية وعِرقية منشقة على حكومة الجنوب حاليا وتقاتل الحكومة وتسيطر علي

أجزاء كاملة من هذه الدولة الجنوبية.

أيضا من أخطر القضايا الخلافية التي من شأنها أن تؤدي لاندلاع حرب بين الدولة الجنوبية الوليدة ودولة السودان التاريخية، هي قضية إقليم (أبيي) الذي يضم أغلبية مسلمة من قبائل المسيرية العربية، وأقلية من قبائل الدينكا بور، ومع هذا يطالب الجنوبيون بأن يتبع دولة الجنوب ويرفضون إجراء تصويت على تبعية الإقليم تشارك فيه قبائل المسيرية، ويدفعون قبائل الدينكا التي تسيطر على الأنهار المائية بمنع المياه عن أبقار قبائل المسيرية!

وقد جرت مواجهات عديدة لم تصل إلى درجة الحرب، وبدأت الأزمة بعد أن أعلن سلفاكير مارديت، رئيس حكومة جنوب السودان، ضم أبيى لدستور جنوب السودان الجديد، والذي أعلنه، ورد الرئيس عمر البشير بتصريحات عنيفة، مؤكدا أن الجنوب يريد «جر» الشمال للحرب، وهو الذي لا يرغب السلام مع الشمال، كما أكد أن منطقة أبيى شمالية ١٠٠٪ ومن حق قبائل المسيرية التي تسكنها منذ عشرات السنين.

ثم نصبت قوات من الجنوب كمينا لقوات شمالية هناك قتل وأصيب فيه ٢٠٠ جندي سوداني ما دفع الخرطوم لدخول أبيي بالدبابات، وفرض أمر واقع بالسيطرة على المدينة الرئيسية في أبيي، وتكررت عمليات النزاع المسلح حول أبيي، وفي كل مرة كانت القوات الشمالية تتدخل ثم تنسحب تحت الضغط الدولي.

ومشكلة أبيى لم تكن نزاعًا على النفط فقط إنما نزاعٌ على المياه بالمنطقة، إذ أن قبائل المسيرية العربية تمتلك آلافاً من رءوس الأبقار التي تحتاج للماء ولو حصل الجنوب على أبيي فسوف يحكم على المسيرية بالموت بحرمانهم من الماء الذي هو بالنسبة للمسيرية سر الحياة وليس البترول إطلاقا برغم أن حكومة الشمال تنظر للبترول أساسا.. وقد حاولت أطراف دولية التدخل بين الطرفين بحل سلمى بعيدًا عن الحرب حقنا للدماء والاشتباكات التي تحدث يوميا على أراضى منطقة «أبيى»، ونجح رئيس اللجنة الإفريقية لمتابعة اتفاقية السلام «ثابو مبيكي» في التوصل لاتفاق في شأن القضايا الخلافية العالقة

بين الشمال والجنوب، سمي الاتفاق الإطاري الخاص في جنوب كردفان والنيل الأزرق وُقع في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا وبموجبه اتفق على نشر قوات أثيوبية في أبيي وخلق منطقة عازلة ولكن الخرطوم اشترطت أن تلتزم قوات الحركة الشعبية بسحب قواتها من مناطق نزاع في جنوب كردفان وأبيي والأهم قبول الخرطوم فكرة عمل الحركة الشعبية – قطاع الشمال التي تضم شماليين أعضاء في الحركة الشعبية الجنوبية في الحياة السياسية في الشمال .

حيث توصل فريق الوساطة الإفريقي برئاسة الرئيس جنوب إفريقي السابق ثابو مبيكى بأديس أبابا فى ٢٠ يونيو ٢٠١١ إلى اتفاق إطارى بين حزب المؤتمر الوطني الحاكم والحركة الشعبية لتحرير السودان ينص على تطبيق نزع السلاح دون اللجوء إلى العنف، فضلا عن التشكيل الفوري للجنة سياسية ستكلف ببحث ومعالجة قضية إدارة جنوب كردفان فى شكل سلمي خلال ثلاثين يوما. ودمج عناصر الجيش الشعبي لتحرير السودان (الشمالية) فى الجيش الشمالي، واستمرار حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان فى شمال السودان كحزب سياسي، إلا أن الاتفاق أدى إلى انقسام داخل صفوف المؤتمر الوطني الحاكم وصعود تيارات تدعو لهزيمة المتمردين عسكريا.

غير أن الخرطوم عادت وأعلنت أن الاتفاق لن ينفذ إلا إذا خلت أبيى من كل المظاهر المسلحة وهو ما قد يصعب على الحركة الشعبية أن تضمنه لأنه حتى لو تم تنفيذ الاتفاق فإنه قد يتوقف لأن مشكلة أبيي مازالت صعبة الحل، ورفض الحزب الحاكم في الخرطوم اتفاق البشير. كما أن الحركة الشعبية لم تسحب قواتها، ما جعل البشير يبلغ مبيكي أن الاتفاق لاغ. وأكد الناطق الرسمي باسم حزب «المؤتمر الوطني» الحاكم في السودان البروفيسور إبراهيم غندور أن الرئيس عمر البشير أبلغ رئيس لجنة حكماء إفريقيا ثامبو أمبيكي، خلال لقائه به في أديس أبابا (٤/ ٧/ ٢٠١١)، رفض المكتب القيادي للمؤتمر الوطني (الاتفاق الإطاري) الذي تم إبرامه بين نائب رئيس المؤتمر الوطني الدكتور نافع علي نافع والحركة الشعبية قطاع الشمال في أديس أبابا».

الدور الصهيوني في الجنوب

يقول د. حجازي إدريس المستشار الاقتصادي والمفكر السوداني مؤلف كتاب «السودان وكارثية انفصال الجنوب»، إن انفصال جنوب السودان ليس صناعة سودانية وإنما صناعة غربية إسرائيلية، و«تاريخيا لا توجد قاعدة أساسية موحدة ارتكزت عليها نداءات الانفصال، ولكن تأجيجها كان يأتي دوما من الخارج وفق حجج متنوعة مسنودة بدعم لوجيستي مالي عسكري»، وهو ما سوف ينعكس على أمن مصر القومي أيضا الذي سيصبح في خطر بعد انفصال الجنوب لأن إسرائيل لعبت وتلعب في الجنوب من أجل تفتيت السودان ومن أجل خلق ساحة حرب جديدة في المنطقة تناوش بها مصر ومن أجل إثارة الاضطرابات في الجبهة الجنوبية المصرية تشغلها عن الجبهة الشمالية (إسرائيل)، فضلا عن ضمان فتح جبهة حرب ضد جنوب مصر في حال حدوث حرب مصرية «إسرائيلية» جديدة.

وفي هذا الصدد يؤكد الرئيس السوداني السابق المشير عبد الرحمن سوار الذهب أن: «الدور الإسرائيلي والغربي في انفصال الجنوب كان رئيسيًّا، ونعتقد أن أمر الانفصال كان أولا وأخيرا ثمرةً لتدبير غربي وأمريكي تحديدا ونتيجة للتدخل الصهيوني المباشر، فإسرائيل كانت هي الممول الرئيسي للتمرد في الجنوب».

وعما إذا كان يعني بذلك أن إسرائيل أصبحت بفعل الأمر الواقع جارا للسودان الشمالي، قال سوار الذهب: «سيكون لإسرائيل نفوذ سياسي واقتصادي وعسكري كبير في الجنوب السوداني، لكن هذا لا يشعرنا أن إسرائيل جارة، هي موجودة في الجنوب لكنها لن تأخذ مكانة الجار».

ماذا قال سوار الذهب؟

وأكد سوار الذهب أن «المؤامرة» لتفتيت السودان لا تزال مستمرة، لكنه قال: «نحن نعلم أن المؤامرة لمزيد تفتيت السودان لا تزال مستمرة، لكن لا أعتقد أن شماليا واحد سيكون مستعدا للتفريط بأي شبر من السودان في المستقبل. ودعا سوار الذهب القيادات

السياسية السودانية في الشمال إلى المشاركة السياسية لإدارة البلاد من أجل الاستقرار، وقال: «أعتقد أنه حتى يستقر السودان الشمالي فإنه لا بد من إشراك كل القوى السياسية في حكومة عريضة كما قال الرئيس البشير، وإذا تم ذلك فإن السودان سيستقر بكل تأكيد»، على حد تعبيره.

وهذا المعني أكده أيضا البروفيسور (حسن مكي) مدير جامعة إفريقيا العالمية الذي وصف فصل الجنوب بأنه (محاولة لمعاقبة مصر) لأن الجنوب يعني التوسع المياهي المرتقب أو المستقبلي لأمن مصر المائي باعتبار أن كل قنوات المياه كقنوات «جونجلي» و«مشار» وغيرها من القنوات المستهدف من وراء حفرها زيادة كميات مياه النيل لمصر تقع في جنوب السودان.. والحركة الشعبية الحاكمة في الجنوب ترفض حفرها بما سيضر مصر ويمنع زيادة مواردها المائية، فضلا عما يمثله تواجد إسرائيل في الجنوب من تهديد لأمن مصر القومي.

انفصال دولة الجنوب لن يكون هو بطبيعة الحال نهاية المطاف للمؤامرات التي تحاك ضد السودان وضد وحدة الأراضي العربية عموما، وإنما هي الطلقة الأولى في هذه الحرب التي نجح الغرب وإسرائيل في إطلاقها وإصابة الهدف، مما قد يشجعهم على الانتقال لتنفيذ بقايا المخطط سواء بتفتيت ما تبقى من السودان أو بنقل تجربة انفصال الأقليات العرقية والدينية في العالم العربي بدولة مستقلة طائفية أو عرقية.

الفصل السابع ٧

هزيمة برنارد لويس في العراق

* لم يتحقق تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات وفق دستور الصهيوني بريمر، ولم توقع بغداد معاهدة مع واشنطن

* شمعون بيريز «لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن.»

* العقيد جاك جيكوب، أصرَّ أن تتمركز قوانه التي قادها في احتلال العراق في منطقة آثار بابل.

لقد واجهت نظرية تفتيت الوطن العربي وهي نظرية برنارد لويس بامتياز إخفاقات على أرض الرافدين، رغم أن لويس ما زال يرى أن شبح التقسيم يخيم على العراق، وإن دعوات إنشاء إقليم إداري في محافظة ديالى، وإقليم آخر في محافظة صلاح الدين هو توطئة للتقسيم الفعلي، وأن مستقبل العراق مرهون بالتقسيم وسوف نختبر في هذا الفصل منطلقات برنارد لويس وزمرته من الموقف في العراق وآفاق المستقبل.

ونشير بداية إلى أن فكرة تفتيت الوطن العربي قديمة تتجدد مع تطور مراحل وأشكال الاستعمار، وهي مستمدة من تراث غربي صهيوني بدأ منذ الحملات الصليبية، يرى إن الإستراتيجية الغربية تجاه العالمين العربي والإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر تنطلق من الإيمان بضرورة تقسيم هذين العالمين إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيهما.

وبالنسبة للعراق نشير إلى أن تقسيم العراق والمنطقة هو مطلب صليبي مع أهمية توضيح أننا عندما نقول (مطلب صليبي) فنحن لا نقصد الجانب الديني أي أن نتهم كافة المسيحيين بوقوفهم ضد العراق والوطن العربي، ولا نرى داعيا للتذكير بأن الكثيرين من بناة النهضة العربية في القرنين السابقين هم من العرب المسيحيين، لأن المسيحيين العرب يشعرون بأنهم عرب أولا وإن الشعور والانتماء القومي والوطني يتغلب على الموقف الديني المتعصب، كما أن الكثيرين من المسيحيين العرب هم يؤمنون بالوحدة العربية ومستمرون بالنضال من أجل تحقيقها، وفي هذا المجال يحلو لنا أن نتذكر بعض علاقاتنا الشخصية مع بعض الإخوة المسيحيين الذين كانت تربطني بهم -ولا تزال- علاقة أخوية.

كما أن تصريحات رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب على العراق توني بلير، الذي ينتمي إلى نفس عصابة المسيحيين الصهاينة التي تضم بوش وزمرته، يؤكد موقف (المسيحية الصهيونية) عندما يعترف: «بأن عقيدته الدينية لعبت دوراً هائلاً في التأثير على قراراته أثناء فترة حكمه التي دامت عشر سنوات، بما في ذلك قراره المشاركة في احتلال العراق.»

ولذا فإن بعض معارضي بلير يعتقدون أن الحماس الديني لديه أعماه عن عواقب أعماله، ويستدلون على ذلك بقوله إن الرب هو من سيحكم على قراره بغزو العراق.

ويستعيد صورة بلير عندما سئل على شبكة «بي. بي. سي» أنه كان صلى مع الرئيس بوش جماعة، («بلير يعترف بـ «الدور العقائدي» في قرار احتلال العراق». (وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ)، ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٧).

في ضرورة احتلال العراق

وهذه هي الرؤية التي طرحها الصهيوني برنارد لويس منذ السبعينيات وتقوم على أطروحة صهيوني آخر قبله اسمه ليونارد شتراوس الأستاذ في جامعة شيكاغو، والذي توفي عام ١٩٦٨. وتبنى هذه الرؤية المحافظون الجدد، فأصبحت السياسة الأميركية تدور في إطارها.

ويرى لويس أهمية إثارة الفتنة بين أبناء الوطن العربي و«الاستفادة من الحركات الدينية والطائفية والمذهبية والعرقية لغرض تمزيق المنطقة العربية ومنع قيام أية قاعدة مادية قد ترتكز عليها الجهود التي تؤدي إلى بناء ولو حد أدنى من الوحدة والتضامن بين الأقطار العربية.»

وتحدث برنارد لويس، في جريدة «واشنطن بوست» بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٢ قائلاً: «..العراق دولة مصطنَعة وليست حقيقية، وأن احتلاله سيكون فرصة لتصحيح هذا الخطأ الذي ارتكبه البريطانيون، أي تفكيكه إلى عدة دويلات بحسب الطبيعة السكانية وحسب الانتماءات الدينية والعرقية...».

في شهر آب (أغسطس) عام ٢٠٠٢ قدم «معهد راند الأميركي للدراسات الإستراتيجية» دراسة إلى البنتاغون بعنوان «كيف يمكن أن تكون الإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط»، تم نشرها في صحيفة «يديعوت أحرونوت» في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢.

دعت هذه الدراسة إلى ضرورة «تغيير بعض الأنظمة الحاكمة» في المنطقة بالإضافة

إلى «إعادة النظر في الخارطة الجيوسياسية في «الشرق الأوسط» بما يتيح تفكيك الدول المركزية في المنطقة»، وطالبت بـ «ضرورة شن هجمة استباقية على العراق كونه هدفاً تكتيكيّاً، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الهدف الاستراتيجي، الأسمى سورية ثم بعد ذلك إلى مصر.

ومن أبرز هذه المشاريع الدراسة التي نشرت في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٢، والتي أصدرتها «مؤسسة ستراتفور» المتخصصة في تقديم الخدمات التحليلية للقضايا الجيو سياسية، وكانت حول «مستقبل العراق بعد إنهاء حكم صدام حسين، وتمت مناقشتها مع مسؤولين أمريكيين كبار ومسؤولين من المنطقة، وذلك لوضعها في الاعتبار أثناء التخطيط للغزو»، وشملت الدراسة عدة نقاط أبرزها «أن العراق بلد كبير جدّاً لأية حكومة جديدة قد تنشأ بعد الغزو، وأن على الولايات المتحدة أن تقسم العراق إلى ثلاث دويلات منفصلة، وأن سُنة العراق في مناطق الوسط والغرب يمكن أن ينضموا إلى الأردن ويشكل بذلك مملكة هاشمية جديدة.. وأن شيعة الجنوب يمكن أن يلحقوا بالكويت بما في ذلك البصرة أو أن يشكلوا دويلة ثالثة، وأن الأكراد في الشمال والشمال الغربي لهم أن يحصلوا على دولتهم المستقلة وأن تشتمل على الموصل وكركوك الغنية بحقول النفط، وأن «العراق الجديد» عليه أن يكون مقطوع الصلة بالعراق القديم، ولا يجب لبغداد أن تكون عاصمة لدولة كبيرة بعد الآن».

تحريك للطوائف خارج الحدود

وفي تعليق على هذه الدراسة قدمه «محرر موقع الأبحاث العالمية» «غلوبال ريسيرش»، وهو موقع متخصص في الشؤون الإستراتيجية، ذكر «إن إلحاق سنة العراق بالمملكة الأردنية من شأنه أن يمنع احتمال الحرب الأهلية بين السنة والشيعة، وأن يوفر مزايا إستراتيجية كبرى للولايات المتحدة، من بينها أن تكون المملكة الهاشمية الجديدة أكبر حليف للولايات المتحدة في المنطقة بعد (إسرائيل)، وأنه إذا ما بنيت قاعدة أمريكية كبرى في هذه المملكة سيؤدي ذلك إلى نجاح الحرب على الإرهاب، ومن ثم منع التطرف

السني من أن ينموَ، وبالتالي يتحسن أمن (إسرائيل) بدرجة أكبر».

وهكذا نرى أن هذا المشروع، وكافة المشاريع التي عرضناها، لا يهمها إلا مصلحة الولايات المتحدة وأمن الكيان الصهيوني، أما مصلحة العراقيين وآراؤهم فلا قيمة لها، وبالأخص كرمه الحاتمي بإعطاء كركوك والموصل للأكراد.

في عهد الرئيس كارتر، اقترح غيلب ليسلي ولد عام ١٩٣٧، وهو من عائلة يهودية، تصحيح ما وصفه بـ «الخلل التاريخي» الذي وضعه البـريطانيون في العراق الموحد، مقترحا استبداله بتكوين ثلاث دول ! الأكراد في الشمال، السنة في الوسط، والشيعة في الجنوب.

ومفادُ هذه الخطة: «...استبدال العراق الحالي بثلاث دول صغيرة كردية في الشمال، وسنية في الوسط، وشيعية في الجنوب بعدها تسحب أمريكا وجودها العسكري، وإن كان هذا سوف يلحق الضرر بالوسط لأن الموارد ستذهب إلى الشمال الكردي والجنوب الشيعي».

وبتاريخ ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٣، قام نفس هذا الشخص، الذي كان رئيس مجلس العلاقات المشار له، بشرح خطة التقسيم للرئيس الأميركي وقتئذ جورج بوش، ثم أكد ذلك في مقالة نشرها في صحيفة «نيويورك تايمز» بتاريخ ٤/ ١٢/ ٢٠٠٣.

هنري كيسنجر على خُطَى لويس

وفي الثامن من آذار (مارس) ٢٠٠٤، أعلن هنري كيسنجر عبر برنامج (حوار صعب- Hard Talk) والذي يشاهده الملايين من الناس على الـ(BBC) البريطانية أن العراق ربما يسير باتجاه مصير يوغوسلافيا السابقة.. وبتاريخ: ١٤/ ٨/ ٢٠٠٥، تمدد (هنري كيسنجر) على أريكته وهو يتحدث إلى برنامج (الطبعة الأخيرة – The Final Edition) مع مضيفه وولف بليتزر، يتحدث عن طبعته الأخير هو من الحرب وهدفها الأول هو تقسيم العراق، ويخبرنا عن قلقه على إدارة الرئيس جورج بوش (أي إدارة تلامذته) التي بدأت تفقد شعبيتها بسبب الحرب في العراق، هذا هو قلقه الوحيد من

نتائج هذه الحرب.. ولا جديد في أطروحات كيسنجر الذي أخذ أقواله من الصهاينة وبالأخص برنارد لويس.

كما أن دوج هندرسون، وزير الدفاع البريطاني الأسبق والنائب حاليا، قد شكك في إمكانية استمرار قيام العراق كدولة واحدة مرجحًا تقسيم العراق إلى ثلاث دول منفصلة، على الأقل، سنية وشيعية وكردية، بمجرد انسحاب قوات الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة من هذا البلد،أي أنه يضع احتمال خلق دويلات أخرى بالإضافة للدول الثلاث المذكورة.

وقال هندرسون: «أشك في إمكانية الاحتفاظ بالعراق كدولة واحدة في المستقبل، أتمنى أن يستمر كذلك.. ولكنني أعتقد أنه من غير المرجح للغاية أن يكون هذا واقع الحال».

وهناك المقال الخطير لجون يو، أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا - بيركلي والباحث في منظمة اليمين المتطرف الإجرامية المعروفة باسم American Enterprise Institute، في صحيفة «لوس أنجليس تايمز» اقترح فيه تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق.

علماً بأن «جون يو» من «المحافظين الجدد» وهو نفسه الذي اقترح على الإدارة الأمريكية مسبقاً بذر الشقاق بين فصائل المقاومة الوطنية العراقية من خلال إنشاء فصائل مقاومة وهمية تقوم بأعمال إجرامية بحق المواطنين العراقيين الآمنين الهدف منها تقليص الدعم الشعبي الواسع للعمليات البطولية التي تقوم بها المقاومة ضد قوات الاحتلال والقوات الأمنية للسلطة العميلة التي نصبوها في العراق.

ويؤكد: «إن السماح للأكراد والشيعة والسنة من العيش في دول مستقلة يمكن أن يسرع ببناء مؤسسات الدولة، ومن شأن ذلك أن يسمح لكل مجموعة بأن تتوصل إلى حل المسائل الدينية والقانونية وبالتالي تركيز قوتها على حماية حدود صغيرة يسهل التحكم بها وتقويض قدرة المتمردين على تنفيذ هجماتهم، وهكذا تستطيع قوات التحالف الانسحاب».

ودعت صحيفة «واشنطن بوست» صراحة إلى تجزئة العراق، ففي تقرير تحت عنوان «تقسيم دولة هو أمر صعب» جاء فيه أن إدارة البيت الأبيض يجب أن تعتمد «التجزئة».

حتى إن وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد كان من مؤيدي تقسيم العراق حيث إنه رفع مذكرة سرية إلى الرئيس الأمريكي يوم ٦/ ١١/ ٢٠٠٦، أي قبل يومين من استقالته طالبا التسريع بخطة الفدرالية، والتحرك باتجاه خلق ثلاث دول منفصلة: كردية وشيعية وسنية، كأحد الخيارات المطروحة للخروج الأمريكي من العراق بأقل الخسائر.

وتحت عنوان «حتميات العراق» تساءل ريتشارد كوهين في صحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٧: هل حان الوقت لتقسيم العراق؟ مشيرا إلى أن تكوين باكستان والهند المعاصرتين استوجب اقتلاع أكثر من ١٢ مليون شخص، حتى إن بنغلاديش نفسها انتزعت من باكستان . وأن الدول تأتي وتذهب وقد آن الأوان لكي يذهب العراق.

ورأى الكاتب أن من المنطق أن تقر الولايات المتحدة واقعا وتؤيد تقسيم العراق وأن من المنطق أيضا أن يفعل المرشحون للرئاسة من الديمقراطيين نفس الشيء.

وأضاف أن هناك عوائق هائلة أمام تحقيق خطة الفدرالية، مثل كيفية تقسيم عائدات النفط والتعاطي مع إيران وكيفية تحويل عملية سياسية إلى خطة تسير خطوة خطوة.

مشروع بايدن - غليب لتقسيم العراق

طالب نائب الرئيس الأمريكي «جوزيف بايدن Joseph Biden» عندما كان (سيناتور) للحزب الديمقراطي عن ولاية «ديلاوير»- و«لزلي غليب Leslie Gelb» الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية CFR في أوائل مارس من العام ٢٠١٠، إلى تقسيم العراق لثلاث مناطق كردية وسنية وشيعية، وتتمتع كل منها بالحكم الذاتي، ويقال إن البيت الأبيض في حينها رفض الفكرة على لسان متحدثه الرسمي «توني سنو» الذي قال بالتحديد «لا نريد بلقانا جديدا» وكانت مجموعة دراسة العراق برئاسة وزير

الخارجية الأسبق «جيمس بيكر» قد رفضت الفكرة بالكامل واعتبرت تقسيم العراق «خطا احمر» لا يمكن تجاوزه، لأنه يؤدي إلى خلق ما أطلق عليه فوضى إقليمية جديدة ستعطي طهران فرصة ذهبية للسيطرة على الإقليم الشيعي الجديد كما ستثير حفيظة تركيا التي تخشى من قيام دولة كردية جنوبها وبنفس الوقت لقي مشروع «بايدن- جليب» لتقسيم العراق ترحيبا من قبل العديد من أعضاء الكونجرس وأبرزهم السيناتور الجمهورية «كيلي بايلي هوتجيسون» التي ترى في تقسيم العراق المخرج الوحيد من المستنقع العراقي، وبدت مواقف الأحزاب الطائفية السياسية المنخرطة بالعملية السياسية غير واضحة فيما يتعلق بتقسيم العراق وتطبيق الفيدرالية الطائفية والعرقية باستثناء الحزبين الكرديين (الاتحاد - الديمقراطي الكردستاني)، وكان الشعب العراقي رافضا بالكامل للمشروع بما فيه شعبنا الكردي في شمال العراق، ويعتبر مشروع قانون النفط والغاز، وتخصيص ١٧٪ من واردات النفط العراقي لما يسمى (حكومة إقليم كردستان) هي خطوة وصفها المراقبون بأنها بداية صريحة لتطبيق مشروع تقسيم العراق وفق الفدراليات الطائفية والعرقية ذات المنحى الحزبي المؤدلج، وقد أكد «رويان كروكر» السفير الأمريكي الأسبق في العراق أن برميل البارود الكردي العربي قيد الانفجار وخصوصا سعي الأحزاب الكردية للسيطرة على كركوك بالقوة ، يضاف إلى ذلك أن أصدرت مجموعة الأزمات الدولية في تشرين الثاني ٢٠١٠ توصيات إلى الأحزاب الكردية توصي فيها ضرورة توحيد المليشيات الكردية البشمركة وتشكيل مجلس أمن كردي أسوة بمجلس الأمن القومي الأمريكي، خصوصا أن شمال العراق يخضع للوصاية الأمريكية منذ عام١٩٩١ وفق ما يسمى المنطقة الآمنة وجرى تشكيل حكومة كردية منفصلة بطابع قومي صرف وكذلك برلمان وشرعت قوانين خاصة تحقق العامل السياسي للانفصال في ظل اتساق العامل الفكري الذي يعزز ثقافة الانفصال عبر ما يسمى حق تقرير المصير والذي جاء على لسان رئيس الحزب الديمقراطي مسعود البرزاني في مؤتمر الحزب في أربيل وأثار قلقاً شعبيا وسياسيا كبير.

حالة التقسيم السهل للعراق- مركز «سابان»

أصدر مركز «سابان» معهد «بروكينغز» للدراسات السياسية والإستراتيجية بواشنطن دراسة بعنوان «حالة التقسيم السهل للعراق» The Case of soft Partition in Iraq» وضعت إجابات على عدد من الأسئلة حول مدى إمكانية تطبيق مشروع تقسيم العراق وفق الفدراليات الطائفية والعرقية في العراق، ونسب النجاح المتحققة مقارنة بالوضع الحالي، وما تحقق منه، إلى جانب ذلك قد أصدر توصيات للتغلب على الصعوبات التي ستواجه الأطراف المختلفة في تنفيذ تقسيم العراق، خصوصا إذا تم تطبيق هذا الخيار الذي أطلقت عليه الدراسة تسمية «الخطة ب» Plan B، وأعد الدراسة كل من «جوزيف إدوار» باحث زائر بمعهد «بروكينغز» حيث عمل مع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بمنطقة «البلقان» وشاركه الباحث المتخصص في شؤون الأمن القومي الأمريكي بمعهد «بروكينغز» «مايكل هان لون» حيث عمل مع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في دول مختلفة.

تقسيم العراق أفضل الخيارات المتاحة

جاءت هذه الدراسة لتعضيد وتحوير مشروع «بايدن- جليب» لتقسيم العراق وتوفير السبل الملائمة لتطبيقه بشكل عملي مع الاستفادة مما تحقق من أساليب التقطيع الناعم التي أرستها دوائر الاحتلال الأمريكي عبر زعانفها ذات الصبغة الطائفية والعرقية السياسية منذ الغزو ولحد الآن، ويشير الباحثان في بداية الدراسة أن هناك تحفظات كثيرة على الفكرة (مشروع «بايدن- جليب») في الأوساط الرسمية الأمريكية ولاسيما البيت الأبيض الذي يرى تقسيم العراق بأنه غير أخلاقي ومثير للفتن، وتضيف الدراسة أن مجموعة دراسة العراق «Iraq Study Group» وعلى رأسها وزير الخارجية الأسبق «جيمس بيكر» وعضو الكونجرس السابق «لي هاملتون» من أكبر المعارضين لهذا المشروع، مشيرين إلى عدد من العقبات أبرزها:-

العامل الدموغرافي- ارتفاع نسبة الزواج المختلط بين الطوائف العراقية المختلفة مما

سيجعل التعامل مع هذه الظاهرة عن طريق الفصل الجغرافي أمرا من الصعب تحقيقه؟ وهذا ما يفسر باستخدام (جرثومة أو وباء الاحتراب الطائفي والعرقي ضد الشعب العراقي) بعنصريها «الحرب الديموغرافية demographic war» و«حرب العقائد والأفكارbeliefs war» والتي مارستها دوائر الاحتلال والأحزاب الطائفية والعرقية المرتبطة بمشروعها عبر سياسة التقطيع الناعم للمجتمع العراقي وإلغاء الهوية الوطنية ومفهوم حشد الشعب وتقطيعه إلى هويات فرعية متحاربة وطوائف ومذاهب وأعراق ومحميات عشائرية وشخصية.

العامل الاستراتيجي: يعد تقسيم العرق إلى ثلاثة أقاليم طائفية وعرقية من المتوقع أن ترفضه العديد من الأطراف سواء من داخل العراق أو من قبل جيرانه مثل تركيا وسوريا وإيران، ويقول الباحثان: إنهما متفقان مع تلك التحفظات سواء من حيث المبدأ أو النظرية كما إنهما يعتقدان أن التقسيم ليس حلا جيدا للصراعات الطائفية، ورغم ذلك يذهبون إلى أن الواقع الحالي في العراق من اقتتال داخلي يجعل التقسيم أفضل الخيارات المتاحة، كما أن التجربة أثبتت عدم صحة المبدأ القائل بأن العراقيين يريدون العيش معا داخل دولة واحدة ذات حكومة مركزية حيث صوَّت العراقيون في انتخابات السنوات الأخيرة وفقا لمصالح الطوائف التي يدينون لها بالولاء، إلي جانب أن العنف الطائفي كشف أن العراقيين يشعرون بالأمان حين يعيشون في منطقة معظم سكانها من نفس الطائفة وهذا ظهر بوضوح خلال حركات النزوح التي قام بها آلاف العراقيين هربا من العنف.

وهنا تبرز إستراتيجية صناعة العناصر لكي تتمكن مراكز الدراسات من تقديم توصياتها وفق المعطيات التي تم تصنيعها والتعامل معها كواقع فرضه الاحتلال، فهم صنعوا العملية السياسية بإبعادها الطائفية والعرقية ونظام المحاصصة وهي صناعة أمرصهيونية بامتياز لتفتيت البنى التحتية الاجتماعية للشعب العراقي، وهم جاءوا بمفهوم الفدرالية في الوطن الواحد ضمن ما يسمى قانون إدارة الدولة ٨٠ والذي فرضه الحاكم المدني برايمر وأعقبه دستور ملغم يؤسس لتقسيم العراق، كما وساهمت

دوائر المخابرات الأجنبية بتفجير المرقدين في سامراء لإذكاء عمليات التطهير الطائفي والتي خلفت ضحايا بشرية كبرى بين قتل المليشيات والتهجير والاختطاف بغية تصفير الطبقة الوسطى وتفكيك البني التحتية الاجتماعية.

وسبق أن مارست الدوائر السياسية والإعلامية والعسكرية المخابراتية الأمريكية سياسة التقطيع الناعم والقاسي ضد الشعب العراقي خصوصا فرز المدن وتقطيع المناطق كونكريتيا، وشياع القتل خارج القانون، وحرب التغيير الديموغرافية وبذلك يجري صناعة بيئة التقسيم المنشودة، وتهيئة مناخ مناسب للفصل الديموغرافي، وكان تهجير العراقيين الذي بلغ أربعة ملايين حسب إحصائيات منظمة شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة قد شاركت في تنفيذه الأفواج الشبحية التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية CIA وفرق الموت التي أمر بتشكيلها الرئيس الأمريكي السابق «بوش» والمليشيات الطائفية والعرقية التي تدعم جرائمها قوات الاحتلال في العراق، إضافة إلى مشاركة وحدات حكومية بكامل ثقلها في عمليات التطهير والتهجير المبرمج لتغيير الديموغرافية السكانية لشعب العراق ومدنه ومناطقه، هذه صناعة الحدث وخلق البيئة المناسبة للانفصال ويطرحها الباحثان وكأنها معطيات وحقائق دون الإشارة أنها صناعة أمريكية إقليمية لتقسيم وتفكيك العراق.

ووفق هذه الخطة سيتم عن تقسيم العراق إنشاء ثلاث دويلات: (كردستان وسنيستان وشيعستان):

- (دولة كردستان الكبرى)، وستشمل على كردستان العراق وبضمنها طبعا كركوك النفطية وأجزاء من الموصل وخانقين وديالى، وأجزاء من تركيا، ومن إيران وسوريا وأرمينيا وأذربيجان، وستكون أكثر دولة موالية للغرب ولأمريكا.
- (دولة شيعستان)، وستشمل على جنوب العراق والجزء الشرقي من السعودية والأجزاء الجنوبية الغربية من إيران (الأهواز) وستكون بشكل حزام يحيط بالخليج العربي.
- (دولة سنيستان) ستنشأ على ما تبقى من أرض العراق وربما تدمج مع سوريا.

زراعة إسرائيل في المنطقة

لقد غُرست إسرائيل في قلب هذه المنطقة لتحقيق هذا الهدف، فعالم عربي يتسم بقدر من الترابط وبشكل من أشكال الوحدة يعني أنه سيشكل ثقلا إستراتيجيا واقتصاديا وعسكريا، ويشكل عائقا أمام الأطماع الاستعمارية الغربية، وفي إطار الوحدة والتماسك تشكل إسرائيل جسما غريبا تلفظه المنطقة مما يعوق قيامها بدورها الوظيفي، كقاعدة للمصالح الغربية.

أما في إطار عالم عربي مقسم إلى دويلات إثنية ودينية، تعود المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أي منطقة مقسمة إلى دويلة فرعونية في مصر وأخرى أشورية بابلية في العراق وثالثة آرامية في سوريا ورابعة فينيقية في لبنان. وعلى القمة تقف دولة عبرية متماسكة مدعومة عسكريا من الولايات المتحدة في فلسطين.

وفي إطار هذا التقسيم تصبح الدولة الصهيونية الاستيطانية، المغروسة غرسا في الجسد العربي، دولة طبيعية بل وقائدة، فالتقسيم هو في واقع الأمر عملية تطبيع للدولة الصهيونية التي تعاني من شذوذها البنيوي، باعتبارها جسداً غريباً غرس غرساً بالمنطقة العربية. وكما قال شمعون بيريز «لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن.»

مجموعات صهيونية في وزارة الدفاع

ماذا حدث في العراق؟ وكيف لم تحقق واشنطن أهدافها هناك؟ وما هو نوع الهزيمة التي تعرَّض لها أنصار برنارد لويس؟

ليس هناك أدنى شك أن المحافظين الجدد- فلسفيا واستراتيجيا- كانوا يخططون لغزو العراق، وكانوا فقط ينتظرون أن تأتيهم الفرصة، وها قد جاءت مع عملية ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ لتفتح الباب على مصراعيه لاستكمال المشروع الصهيوني من خلال تكريس الوجود العسكري في منطقة الخليج وغزو أفغانستان واحتلال العراق وتقسيمه.

وتحت سمع وبصر جورج بوش تخلخل كل شيء، وأفلتت يد رامسفلد، بتوجيه

من الصهاينة، في إطلاق الصواريخ والبوارج في كل مكان، وأخذت أمريكا حلفاءها إلى حرب في حجم حرب عالمية محصورة ولكن غير محدودة، حرب تجري طبقاً لمخطط الفريق الصهيوني في الإدارة الأميريكية الذي يمثله مستشارو البيت الأبيض من أمثال هنري كيسنجر وبرنارد لويس وريشارد پيرل وكينيث آدلمان وبل كرستال وجونا جولدبرج وديفد فرم، وهو كندي كان عمله كتابة خطب الرئيس بوش، وهو الذي جاء بمقولة «دول محور الشر».

أما نائب الرئيس ديك تشيني فهو الآخر قد ازدحم مكتبه بشلة من الصهاينة المتشددين كاستشاريين وعاملين بينهم إضافة الى برنارد لويس، كلٌّ من أرون فردبرج، الأستاذ في جامعة كولومبيا وألن ديرتوچ الأستاذ بجامعة هارفارد، وسكوتر لفي مدير المكتب ومايكل لـَدين، المستشار الإعلامي.

وفي مكتب وزير الدفاع رامسفيلد، الذي تخرج في جامعة پرنستون ودرس على يد برنارد لويس، عشعشت هناك نخبة من الصهاينة المتعجرفين هم نائبه پول وولفووتز، تلميذ شتروارس في شيكاغو، ودوجلاس فايث وديفد شنجر وجوزف ستجليتز وإليوت إبرامز ودانيال بايب والعقيد جاك جيكوب، الذي أصرَّ أن تتمركز قواته التي قادها في احتلال العراق في منطقة آثار بابل، لأسباب لا تغيب عن بال من قرأ التاريخ!

وفي وزارة الخارجية كان هناك جون بولتون على رأس قائمة طويلة من الصهاينة، قبل انتقاله إلى تمثيل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، رغم أن الكونغرس لم يمنحه الثقة لتمثيل البلد في المنظمة العالمية.

أما وكالة المخابرات المركزية فقد تركز فيها كلٌّ من پيتر زمرمان وپول پولارد وروبرت سپنسر وبراد ماينر.

هذا وكانت قد جرت بتاريخ ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٦ ندوة أدارها الصحفي التقدمي المعروف سيمور هرش وحاور فيها سكوت رتر مفتش الأسلحة النووية في العراق، ونقلتها محطة التلفزيون العامة (سي سبان). تحدث الاثنان عن دور اللوبي الصهيوني

ونفوذه في الإدارة الأميركية. وتجدر الإشارة إلى أن النفوذ الصهيوني في مواقع السلطة العليا ما كان قط حكراً على الحزب الجمهوري. إذ ازدحمت إدارة الرئيس الديمقراطي بيل كيلنتون قبلها، كعادة الرؤساء الأميركيين، وكذلك إدارة أوباما بوجوه صهيونية معروفة هدفها السياسي والأيديولوجي «إسرائيل أولاً»، مثل وزيرة خارجيته الكريهة مادلين أولبرايت ووزير دفاعه وليام كوهين ومستشارَيه للأمن القومي أنتوني ليك وساندي برگر ومستشاره الشخصي سدني بلومنثول وكبير مفاوضيه في القضية الفلسطينية(!) دنيس روس وسفيره في إسرائيل مارتن أندك، وهو صهيوني استرالي، وديدي مائير، المتحدثة الأولى للبيت الأبيض، والمستشار الإعلامي ستيوارت روزنبرج وآخرين كثيرين.

المهم أن الإدارة الأميركية شعرت بخيبة أمل بعد خسارتها في العراق، فهي لم تنجح في تحقيق الهدف النهائي وهو ربط بغداد مع واشنطن بحلف استراتيجي جديد، كما أن حلم برنارد لويس لم يتحقق في العراق إذ لم يتم تقسيمها إلى ثلاث دويلات كما كان يرى بل ظلت متماسكة ماعدا الإقليم الكردي الذي تبلورت في دستور بريمر بعض المزايا النوعية ومنها ١٧٪ من ميزانية الدولة تخصص للإقليم الكردي.

وهذه الخسارة كانت متوقعة من جبهة المعارضة للحرب، فقد كتب توماس فريدمان في مقالة بعنوان «هل أصبحت بلادنا جمهورية موز!»، نشرتها النيويورك تايمز بتاريخ ٤/ ١١/ ٢٠٠٦، يقول فريدمان مايلي: «ما هو الأمر الأكثر إهانة لرجالنا ونسائنا العسكريين من إرسالهم إلى حرب بدون معدات مناسبة، مما دفع عددا من الجنود في الميدان إلى شراء الدروع الشخصية، وتجهيز سيارات الجيب بدروع معدنية من الحديد الخردة، بحيث لا تؤدي قنابل الطريق في العراق إلا إلى تشويههم مدى الحياة وليس إلى مقتلهم؟ وما هو الأمر الأكثر إهانة من رد فعل دون رامسفلد للانتقادات بأنه أرسل قواتنا بسرعة وبلا استعداد؟ والجميع يتذكر ردَّه على سؤال لأحد الجنود «انتبه، تذهب للحرب مع الجيش الذي لديك انس الموضوع!» ما هو الأمر الذي يمكن أن يصبح أكثر إهانة لرجالنا ونسائنا أكثر من إرسالهم للحرب في العراق، بدون أية خطة شاملة لمرحلة

ما بعد الحرب لإعادة التنظيم السياسي هناك، بحيث أصبحت القوات الأميريكية، لا تتحمل المسؤوليات الأمنية للعراق كله فقط، بل إعادة تشكيل البنية السياسية أيضا؟»

ثم يمضي فريدمان إلى القول «وما هو الأمر الأكثر إهانة لرجالنا ونسائنا في العراق من إرسالهم لحرب ثم نمول نفس الأشخاص الذين يقاتلون ضدهم عن طريق استهلاكنا النهم للنفط؟ لقد أبلغنا جورج دبليو بُوش أننا مدمنون على النفط، ولكنه لم يبذل أي شيء مهم، مثل المطالبة بتقليل استهلاك السيارات للبترول من ديترويت، وفرض ضريبة بنزين أو استغلال ضغوط البيت الأبيض لمزيد من الحفاظ على البيئة، لإنهاء هذا الإدمان. ولذا نستمر في تمويل المؤسسة العسكرية الأمريكية بدولارات دافعي الضرائب، بينما نمول الجوامع الأصولية ومدارس القاعدة بمشترياتنا من الطاقة.»

بوب ودوورد يكشف خيبة برنارد لويس

لقد جاءت الإشارة إلى فشل المشروع الصهيوني في العراق خاصة، وفي الشرق الأوسط عامة وقت تصدى الصحفي المخضرم بوب وودوورد لتقييم المغامرة الصهيونية في العراق في كتاب عنونه بـ «حالة إنكار». ودوورد هو أحد الصحفييْن اللذيْن فضحا قضية «وُوتر جيت» التي أطاحت بحكم الرئيس نكسون. كتب وودوورد في تقديم الكتاب أن أمريكا «دخلت العراق بدون تخطيط كاف لفترة ما بعد الحرب، واستمرت مشكلات العراق تتفاقم بدون حلول في ظل انشغال رامسفيلد وإصراره على هدف واحد، وهو سرعة سحب القوات وتقليل وجودهم في العراق بأي ثمن.» التدقيق في مضمون الكتاب وقراءة أكبر عدد من فصوله تعطي انطباعا بأن المشكلة أكبر بكثير من رامسفيلد، حيث يرسم وودوورد على صفحات متفرقة من كتابه صورة متكررة ومقلقة لأسلوب صنع القرار في إدارة جورج بوش الابن. فهو يصوره بشكل منتظم على أنه رئيس لا يمتلك الخبرة الكافية، ويفوض صلاحيات كبيرة لوزرائه. يشير وودوورد بشكل متكرر إلى أن المسؤولين عن عراق ما بعد صدام. مثل جاي جارنر، صُدموا عندما التقوا (بُوش) لأنه ببساطة لم يسألهم عن شيء، فهو في العادة يستمع لهم ويبتسم

ويساندهم ويسألهم أسئلة شخصية بسيطة لا تمت لموضوع النقاش بصلة، ثم يمضي دون أن يسألهم في التفاصيل الحقيقية أو يشجعهم على الحديث في القضايا المهمة المثيرة للجدل.

كما يتحدث وودوورد عن سلوك غريب يشبه سلوك الطاعة أو الخوف أو الولاء أو الهيبة في مجلس الرئيس، الذي ينتاب كثيرا من مساعدي بُوش عند الحديث معه ويمنعهم من مناقشة القضايا الكبرى والخلافية. وهو سلوك يشعر القارئ بأن ثقافة النظام السياسي في أميركا لا تشجع النقاش الحر كما هو مفترض. فعندما أنهى رامسفيلد وتشيني خدمات جاي جارنر، وعاد الأخير إلى واشنطن، وطلب بُوش اللقاء معه، لم يخبر جارنر بُوش إلا بكل ما هو جميل عن العراق على الرغم من معرفة جارنر بالعكس. كما يذكر وودوورد كولن باول وزير الخارجية القوي الذي ذهب إلى الأمم المتحدة لإقناع العالم بوجود أسلحة دمار شامل بالعراق بناء على استخبارات ضعيفة جدا. كما يذكر أن جورج تينيت، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، كان على علم بمبالغة بُوش تشيني في استخدام قضية أسلحة الدمار الشامل لتبرير الحرب على العراق وفكر في الاستقالة، ولكنه تراجع خوفا من أن يوصف بأنه تخلى عن المسؤولية وبلده على أبواب الحرب.

وما دمنا بصدد «الإنكار» فقد نشر صحفي آخر مقالة في الموضوع العراقي أيضا إنما في إطار آخر، إذ وجّه روبرت فيسك انتقادا لاذعا للرئيس الأمريكي جورج بُوش متهما إياه في مقال في صحيفة الـ«اندبندنت» بأنه «مثل هتلر وبريجنيف، يعيش حالة نكران». ويصف فيسك في بداية مقاله المشهد التالي، «أكثر من نصف مليون قتيل، جيش يتخبط في أكبر هزيمة له منذ حرب فيتنام، سياسة للشرق الأوسط دُفنت في رمال بلاد الرافدين، ولا يزال جورج بُوش ينكر! كيف يمكنه فعل ذلك؟» ويستعيد كاتب المقال «المتنكرين» الذين مروا عبر التاريخ «والذين تجمعهم الحماقة ذاتها عندما تواجههم الكوارث بإثباتات دامغة، يلتجئون إلى الخيال، مقتنعين أنه طالما يعدهم جنرالاتهم بالنصر، فإن القدر سيلين لصالحهم».

ويذكر فيسك في مقاله الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر الذي كان يمتدح إيران الشاه على أنها واحة استقرار في المنطقة، وذلك قبل أيام من قيام الثورة الإسلامية التي أتت بالخميني إلى السلطة. أما الرئيس الروسي ليونيد بريجنيف،» فقد أعلن انتصار الاتحاد السوفيتي في أفغانستان بينما كان مقاتلو تنظيمات إسلامية يحتلون قواعد القوات الروسية».

ويتطرق صحافي الـ»إندبندنت» إلى موضوع الانسحاب الأمريكي من العراق معتبرا أنه لن يكون بأي حال «انسحابا لبقاً بل إنه سيكون مجرد انهيار دموي ورهيب للقوة العسكرية.»

إسرائيلون ينتقدون برنارد لويس

وفي حين أن الكثيرين من الكتاب والمعلقين العرب قد قالوا مثل هذا الكلام مرةً بعد مرةٍ، فإننا رأينا اثنين من الأكاديميينِ الأميركيينِ البارزينِ هما جون ميرزهايمر وستيفن والت يكتبان دراسة جريئة عن «لوبي إسرائيل» وسيطرته على القرار الأميركي في الشرق الأوسط، تتألف الدراسة من ٨٣ صفحة وتمّ نشرها عبر جامعة هارفرد في منتصف شهر آذار ٢٠٠٦. وحين مورس الضغط الصهيوني على هارفارد أعلنت الجامعة براءتها من مسؤولية النشر، فتمت إعادة نشر نسخة معدّلة عن الدراسة فيما بعد في مجلة لندن ريفيو أوف بوكس في العدد ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٦. الدراسة تنقسم نظريا إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول تحدّث عن دعم الولايات المتّحدة لإسرائيل وعن كونها عبئا استراتيجيا عليها. أما القسم الثاني فتحدّث عن قوّة اللوبي الإسرائيلي ومناصريه داخل الولايات المتّحدة وعن استراتيجياته للتأثير على مراكز صنع القرار. القسم الثالث تناول انعكاسات قوّة هذا اللوبي على سياسة أمريكا الخارجية والدور الذي لعبه في الحرب على العراق واحتلاله، والضغوط الأمريكية على سورية وإيران.

الدراسة قائمة على مصادر مهمّة عدة من بينها علماء وصحافيون إسرائيليون، ومنظمات دولية معنية بحقوق الإنسان، وشهادة من اللوبي نفسه وتأييد من دبلوماسيين

لهذه الشهادة. ويتساءل معدّاها لماذا تتخلى الولايات المتّحدة عن أمنها القومي ومصالحها في العالم وتعطي الأولوية لإسرائيل دائما؟ ويجيبان على هذا السؤال بالقول إن السر يكمن في قوّة اللوبي الإسرائيلي في واشنطن ومناصريه. تقول الدراسة إن الولايات المتحدة قامت منذ الحرب العالمية الثانية بمنح ١٤٠ مليار دولار دعما لإسرائيل. وتعترض الدراسة على الفكرة القائلة بأن إسرائيل تمثل حليفا حيويا لأمريكا في الحرب على الإرهاب، بل يُرجع المؤلفان المشاكل التي تعاني منها أمريكا إلى إسرائيل فيقولان «فمشكلة الولايات المتحدة مع الإرهاب ترجع في جزء كبير منها إلي كونها متحالفة بقوة مع إسرائيل، وليس العكس.» وتشير الدراسة أيضا إلى دعم واشنطن الثابت لإسرائيل في الأمم المتحدة، حيث تقول إنه منذ عام ١٩٩٢ استخدمت الولايات المتحدة حق النقض الفيتو ضد ٣٢ قرارا لمجلس الأمن ينتقد إسرائيل، وهذا عدد يفوق مجموع مرات استخدام الفيتو من جميع الأعضاء الآخرين في مجلس الأمن. كما أعاقت الولايات المتحدة جهود الدول العربية لوضع الترسانة النووية الإسرائيلية على أجندة الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

تتحدث الدراسة عن مصادر قوة ونفوذ لوبي إسرائيل داخل أمريكا وتعزو إلى وجود بعض ممثليه بالكونغرس الأمريكي وامتلاكهم منظمات لوبي قوية وعلى رأسها الـ (أيباك). كما تتحدث عن وجود ممثلي اللوبي داخل الإدارات الأمريكية المتعاقبة، وعن قدرتهم على معاقبة معارضيهم ومنتقدي إسرائيل وحرمان بعضهم من الحصول على الترشيح والمناصب السياسية أو إسقاطهم من عضوية الكونغرس، كما حصل للبعض منهم ممن تجرأ على نقد سياسة الاحتلال الإسرائيلي وسياساتها التعسفية.

يقول ناقدو سياسة برنارد لويس صحيح أن لويس ومعه بوش انتهيا يوم دخل العراق بتخطيط صهيوني، ولم يعثر على مسدس نووي أو سكين إشعاعي أو بيضة ذرية مهترئة، لقد سقطت الذريعة التي بسببها دخل الحرب وهي ذريعة أسلحة الدمار الشامل التي قد تهدد أوروبا وربما أميركا وخصوصاً إسرائيل، ولم يقبل تقرير المفتشين الدوليين الذي يقول إنه لا سلاح ولا بيض ذري فاسد، ولم يترك المفتشون ورقة في سجن أو معتقل أو حقل أو مطعم مسقوف إلا وفتشوها، ومع ذلك قال للناس إنه ذاهب لتدمير التدمير على طريقة الغارات الإسرائيلية الوقائية.

لقد أصغى إلى برنارد لويس، ذلك المحرض الصهيوني التاريخي الحاقد والساحر في طريقة إعداد السم لآكله ولضحاياه معا.

خطة برنارد لويس أدت إلى شنّ حرب غير مبرَّرة على العراق، مع عدم وجود أسلحة دمار شامل أو علاقة مع القاعدة.

ويقتبس الكاتب جهاد الخازن كلمات الرئيس بُوش الذي قال صراحة «نحاربهم هناك حتى لا نحاربهم في شوارع المدن الأمريكية». أي أنه اختار كاذباً تدمير العراق وقتل أهله.

حقيقة هنا هو الدم الجارف لأكثر من ٦٥٠ ألف قتيل عراقي، بالغارات الجوية، بالنسف، بالسيارات المفخخة، بالكمائن الطائفية والمذهبية، بعمليات الدهم والمطاردة اليومية. أكثريتهم الساحقة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٤٠ سنة، والذين كانوا سيشكلون بعضاً من أمل العراق في غده،لقد استشهد هؤلاء من دون أي علاقة لهم بإرهاب ١١/ ٩/ ٢٠٠١ أو إبعاد شبح الإرهاب عن بلاده، ولكن لأن إسرائيل وحُماتها -وأولهم برنارد لويس- على الأرض الأمريكية أرادوا ذلك.

الموضوع باختصار أن الوطن العراقي برمته بأرضه وشعبه وسيادته وحرمته ومقوماته وتراثه وحضارته وراهنه ومستقبله تعرض إلى أوسع وأقذر وأبشع مجزرة عبر التاريخ. إنها المحارق العراقية التي ظلت تتدحرج وتتضخم بأبشع صورة أمام العرب والعالم. والقضية إنه ليس ما يزعم برنارد لويس ومجموعة الصقور الجمهوريين أو يُزْعَم لهم، أن العرب والمسلمين «يكرهون حريتنا» أو «إنهم يكرهون قيمنا»، فهم في الحقيقة لا يكرهون ما تـُمثل أمريكا وإنما يكرهون ما تعمل أمريكا بأمر صهاينتها المتمترسين في واشنطن أو في تل أبيب.

إن هؤلاء الذين يدعون بأنهم منظرون يجهلون أو يتجاهلون بأن السنة والشيعة في العراق هم عرب، وإن ما يطلقون عليه الاقتتال بين الطائفتين، الشيعية والسنية، لم ولن يحدث دون تدخل قوات الاحتلال.

الفصل الثامن

8

سوريا مفتاح الصراع على الشرق الأوسط

* حرب الغاز ترسم خريطة جديدة وتفتح الباب لاحتلال سبع دول عربية.

* الحرب القادمة بين لبنان وإسرائيل ستكون حول غاز البحر المتوسط وتتورط فيه تركيا وقبرص.

هناك حرب من نوع آخر تم رسمها للوطن العربي يكشف عنها بوضوح ثعلب السياسة الأميركية العجوز هنري كيسنجر مستشار الأمن الأميركي ووزير الخارجية الأسبق في عهد ريتشارد نيكسون في إجابته عن سؤال وجهته صحيفة «ديلي سكيب» اليومية المحلية في نيويورك عن أسباب التدخل في دول النفط العربية فقال: «إن الدوائر السياسية والإستراتيجية الأميركية طلبت من العسكريين احتلال سبع دول شرق أوسطية من أجل استغلال مواردها الطبيعية خصوصا النفط والغاز» مؤكدا «أن السيطرة على البترول هي الطريق للسيطرة على الدول أما السيطرة على الغذاء فهي السبيل للسيطرة على الشعوب».

وأكد الثعلب اليهودي العجوز «أن العسكريين الأميركيين حققوا هذا الهدف تقريبا أو هم في سبيلهم إلى تحقيقه استجابة لطلباتنا،فبعد العراق دخلنا السودان ويعدها ليبيا، وبدا الطريق مفتوحا إلى دول عربية أخرى».

وأضاف «وبقي حجر واحد علينا إسقاطه من أجل إحداث التوازن وهو المتمثل في التحالف بين إيران وسوريا».

هكذا يبدو الهدف الأميركي الصهيوني واضحا، وهو احتلال أو اختراق سبع دول عربية لكن تبقى سوريا حجر عثرة في الوصول إلى هذا الهدف، ورغم استغلال أميركا بالفعل على معظم الإنتاج النفطي العربي إضافة إلى ما تنتجه دولة جنوب السودان إلا أن المخطط يظل ناقصا إن لم يتم تقسيم سوريا لكي يمر مشروع الغاز الجديد إلى البحر المتوسط.

النفط سبب قتل القذافي

لقد تغيرت ملامح الخريطة السياسية في الشرق الأوسط بعد تقسيم السودان ومصرع القذافي على يد الثوار،لكن ذلك لم يكن صدفة بل هو أمر مدبَّر كشفه خلال شهر أبريل ٢٠١١ بول كريغ روبرتس الذي كان رئيسا لصحيفة «وول ستريت جورنال»، إحدى أهم الصحف الأمريكية، ومساعدا لوزير الخزانة الأمريكي، والذي كتب مقالاً مهما

في نشرة «كاونتربنتش» على الإنترنت تحت عنوان «الاستعمار الجديد» بدأه بالقول: لا أحد بين المرموقين من محللي شؤون الشرق الأوسط يأخذ على محمل الجد ادعاء الدول الغربية بأن الغرض من تدخلها العسكري في ليبيا هو حماية المدنيين الليبيين من بطش نظام العقيد معمر القذافي، وليس من المهم تحقيق ديمقراطية ليبرالية في ليبيا، هذا لا يقع في اهتمامنا أصلا.

وأضاف: إن ما نشهده في ليبيا هو الولادة الجديدة للحركة الاستعمارية، لكنها هذه المرة لا تتمثل في حكومات أوروبية فردية تتنافس على الإمبراطوريات والموارد؛ إن الحركة الاستعمارية الجديدة تعمل تحت غطاء «المجتمع الدولي»، ما يعني حلف شمال الأطلسي «ناتو» وتلك الدول التي تتعاون معه. وكان «ناتو» في وقت من الأوقات تحالفا دفاعيا ضد غزو سوفييتي محتمل لأوروبا الغربية، واليوم يقدم «ناتو» قوات عسكرية نيابة عن الهيمنة الأمريكية.. وتسعى واشنطن إلى الهيمنة العالمية تحت ستاري «التدخل لدواعٍ إنسانية» و«جلب الحرية والديمقراطية إلى الشعوب المضطهدة»، وعلى أساس انتهازي، تستهدف واشنطن بلدانا للتدخل ليست من «شركائها الدوليين».

لقد جعل القذافي نفسه هدفا بوقوفه في وجه الحركة الاستعمارية الغربية.. هكذا يعترف منظر أميركي خطير، ويواصل لقد رفض أن يكون جزءا من «القيادة الأمريكية لإفريقيا وقد عرضتها عليه كوندي»يقصد كونداليزا رايس وزيرة خارجية أميركا في عهد الرئيس الجمهوري جورج دبليو بوش!!

في العهد الاستعماري الجديد لا يجوز لهؤلاء الحكام تعطيل المشاريع الكبيرة بحجم قارة واسعة مثل إفريقيا، لقد كان القذافي طموحا حتى ظن أنه يستطيع أن ينافس أميركا والناتو في إفريقيا، فكان طبيعيا أن تصدر قرارات بتصفيته.

خطة استدراج سوريا

كشف الكاتب والمحلل السياسي الفرنسي ومدير شبكة (فولتير) الكاتب تيري ميسان أن "قرار ضرب سوريا اتخذ خلال اجتماع في كامب ديفيد في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١

وهي المغامرة التي لن تكون بدون آثار كارثية على المنطقة، وربما تحولت إلى حرب عالمية جديدة". ورأى ميسان في مقابلة مع صحيفة "لانوفال ريبوبليك" الجزائرية الناطقة بالفرنسية "أن سوريا توجد بين نيران التضليل الإعلامي للقوى الغربية، وحركة معارضة في خدمة هذه القوى، وبالتواطؤ مع الجامعة العربية". مستشهداً بالمثل الفرنسي القائل "إذا أردت قتل كلبك، قل إنه مصاب بمرض الكلب"، ما يعني بحسب ميسان "أن الغرب إذا أراد أن ينهي نظاماً يتولى إعلامه القول إنه نظام ديكتاتوري بربري، وأن قواته (الغرب) يمكنها حماية المدنيين وجلب الديمقراطية".

وكشف ميسان «أن قرار مهاجمة سوريا تم اتخاذه في اجتماع بكامب ديفيد في ١٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، مباشرة بعد هجمات ١١ سبتمبر على نيويورك وواشنطن» موضحاً «أن إدارة واشنطن وضعت برنامج حروب في كل من أفغانستان والعراق، وليبيا وسوريا، والسودان والصومال، ثم الانتهاء بإيران» مضيفاً أنه «في ٢٠٠٣، مباشرة بعد سقوط بغداد، تبنى الكونغرس الأمريكي مشروعاً يتيح للرئيس الدخول في حرب مع سوريا في الوقت المناسب، لكن لم يكن لبوش الوقت الكافي لذلك، فأحيل الأمر على أوباما، ولقد أعلن الجنرال ويسلي كلارك هذه الخطة منذ سنوات» .

حرب الغاز الجديدة

وفي دراسة مهمة نتوقف مع الباحث السياسي د.عماد فوزي شعيبي عن سيناريو حربيْ الغاز والنفط الجديدة في الشرق الأوسط وكتب:ففي وقت بدا فيه أن ثمة تداعٍ في دول اليورو وسط أزمة اقتصادية أمريكية بالغة الدقة أوصلت أمريكا إلى حجم دين عام مقداره ٩٤ , ١٤ تريليون دولار، أي بنسبة ٦ , ٩٩٪ من الناتج الإجمالي في وقت وصل فيه النفوذ الأمريكي إلى حد ضعيف جدّاً في مواجهة قوى صاعدة كالصين والهند والبرازيل بات واضحاً أن البحث عن مكمن القوة لم يعد في الترسانات العسكرية النووية وغير النووية، إنما هناك.. حيث توجد الطاقة، وهنا بدأ الصراع الروسي – الأمريكي يتجلى في أبرز عناصره.

كيف؟

يقول شعيبي: «لقد تلمس الروس بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أن الصراع على التسلح قد أنهكهم وسط غياب عن عوالم الطاقة الضرورية لأي دولة صناعية، فيما كان الأمريكيون يتحركون في مناطق النفط عبر عدة عقود مكنتهم من النمو ومن السيطرة على القرار السياسي الدولي بلا منازعات كبيرة، ولهذا تحرك الروس باتجاه مكامن الطاقة (النفط والغاز) وعلى اعتبار أن القسمة الدولية لا تحتمل المنافسة في قطاعات النفط كثيراً، عملت موسكو على السعي إلى ما يشبه (احتكار) الغاز في مناطق إنتاجه أو نقله وتسويقه على نطاق واسع.

كانت البداية عام ١٩٩٥ حين رسم بوتين إستراتيجية شركة غاز بروم لتتحرك في نطاق وجود الغاز من روسيا فأذربيجان فتركمانستان فإيران (للتسويق) وصولاً إلى منطقة الشرق الأوسط (مؤخراً)، وكان من المؤكد أن مشروعي السيل الشمالي والسيل الجنوبي سيكونان وسام الاستحقاق التاريخي على صدر فلاديمير بوتين من أجل عودة روسيا إلى المسرح العالمي.ومن أجل إحكام السيطرة على الاقتصاد الأوروبي الذي سيعتمد لعقود على الغاز بديلاً من النفط أو بالتوازي معه ولكن بأولوية أكبر لصالح الأول،وهنا كان على واشنطن أن تسارع إلى تصميم مشروعها الموازي (نابوكو) لينافس المشروع الروسي على قسمة دولية على أساسها سيتعين القرن المقبل سياسيّاً واستراتيجيّاً.

الغاز طاقة القرن ٢١

يشكل الغاز فعليّاً مادة الطاقة الرئيسة في القرن الواحد والعشرين سواء من حيث البديل الطاقي لتراجع احتياطي النفط عالميّاً أو من حيث الطاقة النظيفة. ولهذا، فإن السيطرة على مناطق الاحتياطي (الغازي) في العالم يعتبر بالنسبة للقوى القديمة والحديثة أساس الصراع الدولي في تجلياته الإقليمية.

واضح أن روسيا قد قرأت الخارطة، وتعلمت الدرس جيداً فسقوط الاتحاد السوفيتي كان بسبب غياب موارد الطاقة العالمية عن سيطرته، لتضخ إلى البنى الصناعية

المال والطاقة، وبالتالي البقاء، ولذلك تعلمت أن لغة الطاقة القادمة إلى القرن الواحد والعشرين على الأقل هي لغة الغاز.

بقراءة أولية لخارطة الغاز نراها تتموضع في المناطق التالية من حيث الكم والقدرة على الوصول إلى مناطق الاستهلاك:

١. روسيا، انطلاقاً من فيبورغ (Vyborg) وبيري غوفيا (Beregovya).

٢. الملحق الروسي: تركمانستان.

٣. المحيط الروسي القريب والأبعد: أذربيجان وإيران.

٤. المقنوص من روسيا: جورجيا.

٥. منطقة شرق المتوسط (سورية ولبنان).

٦. قطر ومصر.

على هذا سارعت موسكو للعمل على خطين استراتيجيين الأول التأسيس لقرن روسي - صيني (شنغهايي) يقوم على أساس النمو الاقتصادي لكتلة شنغهاي من ناحية والسيطرة على منابع الغاز من ناحية أخرى.

وبناء عليه، فقد أسست لمشروعين: أولهما هو مشروع السيل الجنوبي، وثانيهما هو مشروع السيل الشمالي وذلك في مواجهة مشروع أمريكي لاقتناص غاز البحر الأسود وغاز أذربيجان؛ وهو مشروع نابوكو.

سباق استراتيجي بين مشروعين للسيطرة على أوروبا من ناحية وعلى مصادر الغاز من ناحية أخرى:

• المشروع الأمريكي نابوكو: ومركزه آسيا الوسطى والبحر الأسود ومحيطه فيما موقعه المخزِّن هو (تركيا) ومساره منها إلى بلغاريا فرومانيا ثم هنغاريا فالتشيك وكرواتيا وسلوفانيا فإيطاليا،وكان من المقرر أن يمر باليونان، إلا أنه تم غض الطرف عن هذا تقديرا لتركيا.

• المشروع الروسي في شقيه الشمالي والجنوبي والذي يقطع الطريق عبر التالي:

أ- السيل الشمالي: وينتقل من روسيا إلى ألمانيا مباشرة ومن فاينبرغ إلى ساسنيتز عبر بحر البلطيق دون المرور ببيلاروسيا، وهو ما خفف الضغط الأمريكي عليها.

ب- السيل الجنوبي: ويمر من روسيا إلى البحر الأسود فبلغاريا ويتفرع إلى اليونان فجنوب إيطاليا وإلى هنغاريا فالنمسا.

المفروض أن مشروع نابوكو كان من المقرر أن يسابق المشروعين الروسيين إلا أن الأوضاع التقنية قد أخرت المشروع إلى عام ٢٠١٧ بعد أن كان مقرراً عام ٢٠١٤، مما جعل السباق محسوماً لصالح روسيا، في هذه المرحلة بالذات، ما يستدعي البحث عن مناطق دعم رديفة لكل من المشروعين وتتمثل في:

١) الغاز الإيراني الذي تصر الولايات المتحدة على أن يكون رديفاً لغاز نابوكو ليمر في خط مواز لغاز جورجيا (وإن أمكن أذربيجان) إلى نقطة التجمع في أرضروم (Erzurum) في تركيا.

٢) غاز منطقة شرق المتوسط (إسرائيل ولبنان وسورية).

وبالقرار الذي اتخذته إيران ووقعت اتفاقياته لنقل الغاز عبر العراق إلى سورية في شهر تموز/ يوليو ٢٠١١ تصبح سورية هي بؤرة منطقة التجميع والإنتاج بالتضافر مع الاحتياطي اللبناني، وهو فضاء استراتيجي - طاقي يُفتح لأول مرة جغرافيّاً من إيران إلى العراق إلى سورية فلبنان. وهو ما كان من الممنوعات وغير المسموح بها لسنين طويلة خلت؛ الأمر الذي يفسر حجم الصراع على سورية ولبنان في هذه المرحلة، وبروز دور لفرنسا التي تعتبر منطقة شرق المتوسط منطقة نفوذ تاريخية ومصالح لا تموت، وهو دور ينسجم مع طبيعة الغياب الفرنسي منذ الحرب العالمية الثانية ما يعني أن فرنسا تريد أن يكون لها دور في عالم (الغاز) حيث اقتطعت لنفسها بوليصة تأمين صحي بخصوصه في ليبيا، وتريد بوليصة تأمين على الحياة به في كل من سورية ولبنان.

تركيا تبحث عن نفسها

في هذا الوقت تشعر تركيا أنها ستضيع في بحر صراع الغاز طالما أن مشروع نابوكو متأخر ومشروعيْ السيل الشمالي والسيل الجنوبي يستبعدانها، وفيما غاز شرق المتوسط قد بات بعيداً من نفوذ نابوكو وبالتالي تركيا.

تاريخ اللعبة

من أجل مشروع السيل الشمالي والسيل الجنوبي أسست موسكو شركة غاز بروم في أوائل النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين، واللافت أن ألمانيا التي تريد أن تخلع عنها اسوار ما بعد الحرب العالمية الثانية قد هيأت نفسها لتكون طرفاً وشريكاً لهذا المشروع، إن من حيث التأسيس أو من حيث مآل الأنبوب الشمالي أو من حيث مخازن السيل الجنوبي التي تقع في المحيط الجرماني وتحديداً النمسا.

غاز بروم

تأسست شركة غاز بروم بالتعاون مع صديق ألماني لموسكو يدعى (هانز جوشيم غوينغ) الذي شغل منصب نائب رئيس سابق لشركة صناعة الغاز والنفط الألماني وهو الذي أشرف على بناء شبكة خطوط الأنابيب التابعة لشركة (GDR). وقد ترأس غاز بروم (حتى شهر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١) فلاديمير كوتينيف (وهو سفير روسي سابق في ألمانيا).

وقد وقعت الشركة صفقات نوعية ومربحة جدًّا مع شركات ألمانية وعلى رأسها الشركات المتعاونة مع السيل الشمالي كشركة (E.ON) العملاقة للطاقة وشركة (BASF) العملاقة للكيميائيات، حيث تأخذ شركة (E.ON) تفضيلات لشراء كمية من الغاز على حساب شركة غاز بروم عندما ترتفع أسعار الغاز، مما يعتبر بمثابة دعم (سياسي) لشركات الطاقة الألمانية.

وقد استفادت موسكو من تحرر أسواق الغاز الأوروبية من الاحتكار لإرغام بلدان

الأسواق على فك الارتباط بين شبكات التوزيع ومنشآت الإنتاج، هذا الاشتباك بين روسيا وبرلين يطوي صفحة من العداء التاريخي ليرسم صفحة أخرى من التعاون على أساس الاقتصاد والتنصل من ثقل تنوء به ألمانيا وهو ثقل أوروبا المتخمة بالديون والتابعة للولايات المتحدة، فيما ترى ألمانيا أن المجموعة الجرمانية (ألمانيا والنمسا والتشيك وسويسرا) هي الأولى بأن تشكل نواة أوروبا لا أن تتحمل النتائج المترتبة على قارة عجوز وعملاق آخر يتهاوى.. وتشمل مشاريع غاز بروم المشتركة مع ألمانيا مشروع وينغاز المشترك مع وينترشال أحد فروع (BASF) وهي أكبر منتج للنفط والغاز في ألمانيا، وتسيطر على ١٨٪ من سوق الغاز حيث نالت ألمانيا حصصاً غير مسبوقة في الأصول الروسية؛ إذ تسيطر شركتا (BASF) و(E.ON) على ربع حقول غاز يوزنو – روسكويا التي ستقدم معظم الإمدادات لمشروع السيل الشمالي في وقت ليس من قبيل الصدفة أو مجرد المحاكاة أن تكون نظيرة غاز بروم الروسية في ألمانيا تدعى غاز بروم الجرمانية والتي توسع مجالها لتمتلك ٤٠٪ من شركة (Centrex) النمساوية المخصصة لخزن الغاز والتي لها في قبرص امتداد نوعي حيث لا يبدو أن تركيا ستكون راضية عنه. وهي تفتقد متحرقة لدور متأخر في شركة غاز نابوكو حيث يفترض أن تبدأ بتخزين وتسويق وتمرير (٣١) مليار متر مكعب من الغاز وصولاً إلى (٤٠) مليار متر مكعب – لاحقاً – في مشروع يرهن أنقرة أكثر فأكثر لقرارات واشنطن والناتو دون أن يكون لها الحق في أن تصر على الدخول إلى الاتحاد الأوروبي الذي لفظها مرات عدة!

جماعات الضغط والغاز

وواقع الحال أن الصلات الإستراتيجية عبر الغاز تجعل الصلات أكثر إستراتيجية في قطاعات السياسة حيث يمتد تأثير موسكو على الحزب الاجتماعي الديموقراطي الألماني في ويستفاليا شمالي نهر الراين حيث توجد القاعدة الصناعية الرئيسة لفرعي شركتي (RWE) للكهرباء المرتبطة مع روسيا بوثاقة (E.ON).

وهذا التأثير يعترف به الجميع في ألمانيا إذ أن رئيس قسم سياسات الطاقة في حزب

الخضر هانس جوزيف فيل قد أكد أن أربع شركات ألمانية على صلة بروسيا تلعب دوراً في صياغة سياسة الطاقة الألمانية عبر شبكة معقدة جدّاً تقوم بالضغط على الوزراء، وتحتكر الرأي العام وذلك عبر هيئة العلاقات الاقتصادية الشرق أوروبية التي تمثل الشركات الألمانية والتي على اتصال وثيق بأعمال تجارية في روسيا ودول كتلة الاتحاد السوفيتي السابق.

هنا، فإن ما يجعل ثمة صمت (لا بد منه) تتبعه ألمانيا إزاء ما يجري من نفوذ روسي متسارع، أساس هذا الصمت الاعتراف بأن ثمة ضرورة لتحسين ما يسمى (أمن الطاقة) في أوروبا.

اللافت أن ألمانيا باتت تعتبر أن سياسة (التمرير) المقترحة من الاتحاد الأوروبي لتغطية أزمة اليورو ستعيق الاستثمارات (الألمانية - الروسية) بشكل طويل الأمد. وهذا السبب ما - يقف مع غيره من الذرائع - وراء التمهل الألماني في إنقاذ اليورو المثقل بديون الأوروبيين ... بخلاف ألمانيا وكتلتها الجرمانية التي تستطيع تحملها وحدها دون غيرها.

وفي كل مرة يعاند فيها الأوروبيون ألمانيا وسياستها مع روسيا (الطاقية) تؤكد برلين على أن خطط أوروبا (يوتوبية) غير قابلة للتنفيذ، وقد تدفع روسيا لبيع غازها في آسيا، وهذا سيطيح بالأمن الطاقي في أوروبا.

وواقع الحال أن هذا الاشتباك الروسي - الألماني لم يكن من النوع الساذج عندما استثمر (بوتين) تراث الحرب الباردة من وجود روسي للناطقين بالروسية في ألمانيا والبالغ عددهم ثلاثة ملايين، وهم يشكلون ثاني أكبر جماعة بعد الأتراك، إضافة إلى شبكة من المسؤولين الألمان الشرقيين الذين تم توظيفهم لرعاية الشركات الروسية في ألمانيا ومصالحها، فضلاً عن عدد من عملاء جهاز أمن الدولة الألماني الشرقي السابق ومنهم على سبيل المثال مدير جرمانيا غاز بروم لشؤون الموظفين وشؤون التمويل، ومدير اتحاد (السيل) المالي هاينس وورينغ، وهو ضابط سابق في جهاز أمن الدولة

الألماني الشرقي، والذي نقلت صحيفة وول ستريت جورنال أنه قدم لبوتين حين كان في جهاز الأمن الروسي (KGB) المساعدة لتوظيف جواسيس في مدينة دريسدن في ألمانيا الشرقية.. ولكن للإنصاف، فإن واقع الحال يقول: إن استثمار روسيا للعلاقات السابقة لم يكن فجأة بل كان لمصلحة ألمانيا ككل، الأمر الذي لم يجعل الصدام ممكناً باعتبار أن المصلحة بين الطرفين متحققة دون هيمنة.

السيل الشمالي

يشكل مشروع السيل الشمالي عنصر الربط الرئيس بين روسيا وألمانيا. وتبلغ تكلفة خط الأنابيب ٤،٧ مليار يورو وقد تم تدشينه ٢٠١١، وعلى الرغم من أنه يصل روسيا بألمانيا إلا أن إدراك الأوروبيين أن هذا المشروع سيكون جزءاً من الأمن الطاقي قد جعل هولندا وفرنسا تسارعان لإعلانه مشروعاً أوروبيّاً، حتى إن (ليندر) في لجنة العلاقات الاقتصادية لأوروبا الشرقية سرعان ما أعلن دون أي خجل أو تردد: «إن هذا مشروع أوروبي وليس ألمانيّاً، ولن نسمح لألمانيا أن تعتمد اعتماداً كبيراً على روسيا». وهو تصريح يدلل على الخشية من النفوذ الروسي المتنامي في ألمانيا، إلا أنه ليس أكثر من هذا إذ أن مشروع السيل الشمالي يعكس هيكليّاً خطة موسكو، وليس خطة الاتحاد الأوروبي.

سيتمكن الروس من إيقاف إيصال الطاقة إلى بولندة ودول أخرى حسبما يشاؤون وسيتمكنون من بيع الغاز لمن يدفع أكثر، لكن أهمية ألمانيا بالنسبة لروسيا تكمن عمليّاً في أنها تشكل نقطة لانطلاق إستراتيجيتها عبر القارة حيث تمتلك جرمانيا غاز بروم أسهماً في ما لا يقل عن خمسة وعشرين مشروعاً مشتركاً في بريطانيا وإيطاليا وتركيا وهنغاريا وغيرها، وهو ما يهيئ فعليّاً للقول إن غاز بروم ستصبح (بعد سنوات قليلة) أكبر شركات العالم إن لم تصبح أكبرها إطلاقاً.

لم يكتف قادة غاز بروم ببناء مشروعهم هذا، إلا أنهم تداخلوا مع مشروع غاز نابوكو الذي سيتأخر - كما قلنا - حتى عام ٢٠١٧ معتبرين أنه مشروع يشكل تحدياً كبيراً إذا قامت الشركة غاز بروم التي تمتلك ٣٠٪ من مشروع لبناء خط أنابيب رئيس ثان يصل

إلى أوروبا على خط نابوكو (نفسه) وهو مشروع تعلن فيه غاز بروم عن تشابك سياسي، أو لنقل بصراحة، مزاودة سياسية بهدف إظهار عضلاتها من خلال إيقاف العمل بخط نابوكو أو تعطيله..

والحقيقة أن موسكو لم تكتف بذلك، فقد سارعت لشراء غاز آسيا الوسطى وبحر قزوين عبر مناقصة لإبعاده عن العمل بخط أنابيب نابوكو مستخدمة كل أنواع السخرية السياسية – الاقتصادية – الإستراتيجية بآن من واشنطن.

رسم خارطة أوروبا.. ومن ثم العالم

في سياق كل ما سبق، تشغّل غازبروم منشآت للغاز في النمسا وذلك في المحيط الاستراتيجي الجرماني، كما أنها تؤجر منشآت في بريطانيا وفرنسا. إلا أن منشآت التخزين المتزايدة في النمسا ستكون محوراً لرسم الخارطة الطاقية لأوروبا في جزء هام إذ أنها ستزود الأسواق السلوفانية والسلوفاكية والكرواتية والهنغارية والإيطالية وبعضاً من الألمانية بالتضافر مع مخزن أُعِدَّ حديثاً يدعى (كاترينا) تقوم شركة غازبروم ببنائه بالشراكة مع ألمانيا لتوريد الغاز إلى مراكز أوروبا الغربية.

وقد أقامت شركة غاز بروم مشروع منشأة تخزين مشترك مع صربيا لتصدير الغاز إلى البوسنة والهرسك وجزء من النمسا فضلاً عن صربيا نفسها. وقد أجريت دراسات لجدوى اقتصادية لعدد من مشاريع التخزين المماثلة في جمهورية التشيك ورومانيا وبلجيكا وبريطانيا وسلوفاكيا وتركيا واليونان وحتى فرنسا. وبهذا ستحصن موسكو موقعها كمزود لـ ٤١٪ من احتياجات أوروبا للغاز ما يعني تغييراً جوهريا في علاقات الشرق بالغرب على المديين القريب والمتوسط أولاً ثم البعيد ثانياً، وهو ما يعني تراجعاً للنفوذ الأمريكي أو صداماً يُهيَّأ له في أحد جوانبه بالتضافر مع اعتبارات الدرع الصاروخي لتأسيس نظام عالمي جديد سيكون (الغاز) في صلب عوامل تشكيله، وهذا ما يفسر حجم الصراع في منطقة شرق المتوسط على الغاز الجديد في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط.

نابوكو في مأزق

صممت نابوكو لنقل الغاز من تركيا إلى النمسا عبر ٣٩٠٠ كم ولتمرير ٣١ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويّاً من منطقة (الشرق الأوسط) وقزوين إلى الأسواق في أوروبا. ولعل اللهاث الأمريكي - الفرنسي (الناتوي) وراء حسم الأمور في منطقة شرق المتوسط وتحديداً سورية ولبنان يكمن في ضرورة تأمين أوضاع هادئة وموالية لاستثمار ونقل الغاز، وهو ما ردت عليه سورية بتوقيع عقد لتمرير الغاز من إيران إلى سورية عبر العراق، وهو الغاز اللبناني والسوري محور الصراع من أجل إما إلحاق هذا الاحتياطي بغاز نابوكو أو بغاز بروم وبالتالي السيل الجنوبي.

يتألف اتحاد شركة غاز نابوكو من شركة (RWE) الألمانية وشركة (OMV) النمساوية وشركة بوتكس التركية وشركة بلغاريا القابضة للطاقة البلغارية وشركة ترانزغاز الرومانية.

التكاليف الأولية لهذا المشروع المنافس لغاز بروم، والتي قدرت في ٢٠٠٥ بـ ١١،٢ مليار دولار وستحقق أسعار غاز أقل من المشروع الروسي، سترتفع بسبب التأخير حتى عام ٢٠١٧ إلى ٢١،٤ مليار دولار مما يطرح تساؤلات حول مدى نجاح هذا المشروع الاقتصادي خصوصاً مع استنفاد شركة غاز بروم عقد الصفقات في أكثر من مكان لتطويق نابوكو التي ستقتات على القدرة الفائضة للغاز من تركمانستان، خصوصاً وأن اللهاث الرئيس الضائع الأثر وراء غاز إيران يُبعد حلم نابوكو عن أن يكون ذا قيمة واقعية. وهذا أحد أسرار الصراع على إيران التي زادت في التحدي عبر اختيار العراق وسورية مساراً لغازها أو لجزء أساسي منه على الأقل.

وهكذا، لا يعود لنابوكو من خيار إلا إمدادات حقل شاه دنيز الأذربيجاني لن تكون إلا المصدر شبه اليتيم لمشروع يبدو أنه متعثر منذ البداية من خلال تسارع صفقات ونجاحات موسكو في شراء مصادر نابوكو من ناحية، والصعوبة في إحراز تغيرات جيوسياسية في كل من إيران وشرق المتوسط (سورية ولبنان) في وقت تسارع فيه تركيا

لحجز حصتها في مشروع نابوكو سواء لجهة توقيعها عقداً مع أذربيجان لشراء ستة مليارات متر مكعب من الغاز عام ٢٠١٧ أو لجهة السعي لوضع اليد على سورية ولبنان إما لعرقلة مرور النفط الإيراني أو لنيل حصة في الثروة الغازية اللبنانية أو السورية أو لكليهما معاً. فيما يبدو السباق ضارياً على حجز مقعد في النظام الدولي الجديد.. عبر الغاز وأشياء أخرى تمتد من الخدمات العسكرية الصغيرة إلى القبب الإستراتيجية للدرع الصاروخي.

ولعل أكثر ما يشكل خطراً على نابوكو هو أن تقوم روسيا بقتل ودفن الأخير من خلال التفاوض على عقود أكثر أفضلية وتنافسية لإمدادات الغاز لتصب في غازبروم بسيليها الشمالي والجنوبي وقطع الطرق عن أي نفوذ (طاقي) وسياسي لأمريكا أو أوروبا في كل من إيران وشرق المتوسط، فضلاً عن أن تكون غازبورم من أهم مستثمري أو مشغلي حقول الغاز حديثة العهد في كلٍ من سورية ولبنان، إذ لم يكن اختيار التوقيت في ١٦/ ٨/ ٢٠١١ عابراً كي تعلن وزارة النفط السورية عن اكتشاف بئر غاز في منطقة قارة وسط سورية وقرب حمص بما يحقق إنتاجية بقدرة ٤٠٠ ألف متر مكعب يومياً أي ما يعادل ١٤٦ مليون متر مكعب سنوياً دون أي حديث عن غاز البحر الأبيض المتوسط.

تراجع

لقد خفَّف مشروعا السيل الشمالي والجنوبي من أهمية السياسة الأمريكية التي بدا أنها تتراجع إلى الخلف فيما تراجعت آثار الكُره الكامنة بين دول أوروبا الوسطى وروسيا، إلا أن بولندة لا يبدو أنها ستخرج من اللعبة سريعاً. ولا يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة للتراجع، إذ أنها أعلنت في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١ عن التحول المتمثل في سياسات الطاقة بسبب اكتشاف مناجم الغاز الحجري في أوروبا لتقليل الاعتماد على روسيا... والشرق الأوسط. ولكن يبدو أن هذا أملاً بعيد المنال أو المدى إذ ثمة العديد من الإجراءات قبل الوصول إلى الإنتاج التجاري من مصادر غير تقليدية كمناجم الغاز الحجري الموجود في الصخور على عمق آلاف الأقدام تحت

الأرض ويمكن الحصول عليه بكسر الصخور واستخدام مياه عالية الضغط بالتكسير الهيدروليكي بضخ عالي الضغط للسوائل والرمال في بئر لإطلاق الغاز. ولكن السؤال يطرح نفسه بالمخاوف البيئية من تأثير تقنيات التكسير على المخزون الجوفي ذاته.

الصين على الخط

يشكل التعاون الروسي - الصيني في مجال الطاقة القوة الموجهة للشراكة الإستراتيجية الصينية - الروسية، وهو ما يراه الخبراء سببا يقف وراء الفيتو المشترك لصالح سورية في مجلس الأمن.

إن التعاون في مجال الطاقة هو (شحم) تسريع الشراكة بين العملاقين، والأمر يتعدى إمداد الغاز بأفضليات للصين إلى المشاركة في توزيعه عبر (بيع الأصول والمنشآت الجديدة) ومحاولات السيطرة المشتركة على الإدارات التنفيذية لشبكات توزيع الغاز حيث تقدم موسكو حالياً عرضاً بالمرونة في أسعار إمدادات الغاز شريطة أن يسمح لها بالدخول إلى الأسواق الصينية المحلية لأن الأرباح تكمن في الداخل الصيني. ولهذا تم الاتفاق على أن الخبراء الروس والصينيون يستطيعون العمل سويا في الاتجاهات التالية:

«تنسيق استراتيجيات الطاقة في البلدين والتنبؤ ورسم السيناريوهات المستقبلية وتنمية البنية التحتية للسوق وفعالية الطاقة ومصادر الطاقة البديلة».

وهنالك فضلاً عن التعاون في الطاقة مصالح إستراتيجية أخرى تتمثل في التصور المشترك الروسي - الصيني في مخاطر المشروع الأمريكي المسمى بالدرع الصاروخي ذلك أن واشنطن تشرك اليابان وكوريا الجنوبية في ذلك المشروع. ولا تكتفي بذلك بل إنها وجهت دعوة إلى الهند في أوائل شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠١١ من أجل أن تصبح الهند شريكاً في البرنامج نفسه. كما تتقاطع مخاوف موسكو وبكين من تحرك واشنطن لإعادة إحياء إستراتيجية آسيا الوسطى المدعو (طريق الحرير) وهو نفس توجه مشروع آسيا الوسطى الكبير الذي طرحه جورج بوش الأب لدحر النفوذ الروسي والصيني في

آسيا الوسطى بالتعاون مع تركيا لحسم الموقف في أفغانستان عام ٢٠١٤ وترتيب النفوذ (الناتوي) هناك والإشارات المتزايدة لرغبة أوزبكستان للقيام بدور المضيف لناتو في هذا المشروع. وهنا يقدر بوتين بأن ما يمكن أن يحبط غزو الغرب بشكل أساسي للرواق الخلفي الروسي لآسيا الوسطى هو اتساع الفضاء الاقتصادي الروسي المشترك مع كازاخستان وبيلاروسيا بالتعاون مع بكين بالنسبة لكازاخستان.. هذه الصورة لآليات الصراع الدولي تفسح في المجال أمام رؤية جانب من عملية تشكيل النظام العالمي الجديد على أرضية الصراع على النفوذ العسكري وعلى أرضية (القبض) على روح العصر: الطاقة وعلى رأسها الغاز.

الغاز السوري

مع بدْء إسرائيل عام ٢٠٠٩ استخراج النفط والغاز بات واضحاً أن حوض المتوسط قد أصبح داخل اللعبة، وأن سورية إما إلى هجوم عليها أو إلى سلام في المنطقة لأن عصر الطاقة النظيفة هو القرن الواحد والعشرون.

المعلومات المتوافرة تقول إن هذا الحوض هو الأثْرَى في العالم بالغاز، حيث يؤكد معهد واشنطن أن سورية ستكون الدولة الأغنى وأن الصراع بين تركيا وقبرص سيستعر نظراً لعدم قدرة أنقرة على تحمل خسارتها لغاز نابوكو (رغم أن موسكو وقعت عقداً في ٢٨/ ١٢/ ٢٠١١ مع أنقرة اتفقاً لتمرير جزء من السيل الجنوبي عبر أراضيها).

إن معرفة السر الكامن في الغاز السوري سيفهم الجميع حجم اللعبة على الغاز لأن من يملك سورية يملك الشرق الأوسط، وبوابة آسيا ومفتاح بيت روسيا (حسب كاترين الثانية) وأول طريق الحرير (حسب الصين)، والأهم من يملك الدخول عبرها إلى الغاز يملك العالم خصوصاً أن القرن المقبل هو قرن الغاز. وبتوقيع دمشق اتفاقاً لتمرير الغاز الإيراني عبر العراق إليها ومن ثم للبحر المتوسط يكون الفضاء الجيوسياسي انفتح والفضاء (الغازي) قد أغلق على غاز نابوكو شريان الحياة وقال: «إن سورية هي مفتاح الزمن القادم».

اقتراح أميركي لتسوية «صراع الغاز» بين لبنان وإسرائيل

في تاريخ الصراعات والأزمات في الشرق الأوسط، لطالما كانت الغلبة للسياسة على حساب المصالح الاقتصادية، وهو ما لن يكون استثناء في ملف التنقيب عن الغاز، المرشّح للاحتدام بين إسرائيل ولبنان، مع ما يُحكى عن احتمال «وارد جدا» لجهة اكتشاف حقل متداخل بين المناطق الاقتصادية الإسرائيلية واللبنانية، يمتد إلى المياه الإقليمية القبرصية.

على هذا الاحتمال، تبنت الأستاذة في جامعة «هارفرد» ميغان سوليفان مقاربتين ترى أنهما سيحكمان المشهد المقبل وفق السياسة التي ستقرّر الأطراف المعنية انتهاجها.

تقسيم قبرص مشكلة عويصة

في المقاربة الأولى، حسب سوليفان التي عملت نائبة لمستشار الأمن القومي في عهد جورج بوش، ستصر تركيا على عدم تطوير الحقل قبل أن تحل مشكلة قبرص المنقسمة، في حين سيهدّد «حزب الله» باللجوء إلى العمل العسكري إزاء ما يراه محاولة إسرائيلية للتحكم بالموارد الطبيعية اللبنانية. أما أميركا فستجد نفسها منقسمة في اتجاهين بين تركيا، حليفتها في «الناتو»، وإسرائيل..

في هذا السياق، يكون خيار»السياسة قبل الاقتصاد» هو الأول الذي يقضي بحلّ الصراعات في المنطقة قبل الدخول في مجال تطوير حقول النفط. وهذا النموذج يفترض أنه من غير المرجح أن تقوم الشركات باستثمار مليارات الدولارات في حالة من عدم الاستقرار السياسي الحاد، كما أن عمليات الحفر قد تواجه تهديدات صاروخية من «حزب الله»، وعليه سيبقى استغلال الموارد مجمداً لسنوات طويلة من دون أن يعود ذلك بالإفادة على أي طرف، كما في حالة بحر قزوين.. أضف إلى ذلك أن التركيبة المعقدة لاستخراج الغاز، والتي تتطلّب رأسَ مال ضخما فضلاً عن بنية تحتية مثل خطوط الأنابيب ومنشآت الغاز الطبيعي المسال تعني أن هناك العديد من الأهداف المعرّضة للتخريب.. بناء على هذا الطرح، ترى سوليفان أن التفاؤل يقضي بتوقع أن

يحصل الاستثناء هذه المرة، ويدفع الغاز، بما يقدمه من وفرة اقتصادية، باتجاه حلّ الأزمات العالقة. لبنان وإسرائيل اليوم هما في حالة حرب باردة، وهذا الخيار قد يدفع باتجاه الاتفاق على الحدود البحرية وآلية اقتسام استثمار وتسويق الغاز، كما قد يدفع أميركا إلى التوسط في أزمات الشرق الأوسط.

اتفاق على عدم الاتفاق

أما المقاربة الثانية، فهي تندرج تحت عنوان «الاتفاق على عدم الاتفاق»، حيث سيكون هناك لجوء إلى الحلول والتسويات الجزئية (عبر وسطاء)، بدل الحلّ الشامل لمجمل النزاعات الإقليمية والسياسية. فكل من لبنان وإسرائيل، كما قبرص، يمكن أن يختار اتفاقاً محدوداً، حيث يحافظ كل طرف على مطالبه، لكنه يوافق على الشروع بالتنقيب عن الغاز والنفط بعد وضع المبادئ التوجيهية للعمل، وتأجيل القرار السياسي في القضايا الكبرى إلى وقت لاحق.

ولتدعيم فكرتها، تستعيد سوليفان نماذج شهدت حلاً مشابهاً. ففي العام ١٩٧٩، اتفقت كل من ماليزيا وتايلاند على صفقة استغلال موارد الجرف القاري، في وقت حيدتا «مسألة ترسيم الحدود في خليج تايلاند لمدة ٥٠ عاماً». حتى في الشرق الأوسط هناك بعض النماذج السابقة، كما في العام ١٩٧١، عندما اتفقت كل من إيران والإمارات، المتخاصمتين على جزيرة (أبو موسى)، على وضع خطة لتنمية الموارد المشتركة، مع التوضيح أن الاتفاقية ليست اعترافاً من أي طرف بالتنازل عن حقه في الجزيرة أو اعتراف بشرعية مطالب الآخر.

الفصل التاسع

٩

لويس والثورات الملوّنة

(نظرية أسراب النحل)

* نظرية برنارد لويس نجحت في استغلال الخلافات بين فتح وحماس لكي تصل إلى حد الاقتتال بالسلاح في غزة.

* الفوضى الخلاقة في تونس ومصر بدأت بانتفاضة شعبية ثم تدخلت أميركا على الخط لتفرض شروطها على أطراف اللعبة.

كيف يمكن أن نحقق التغيير المنشود في دول الوطن العربي؟ هل بالضرورة لابد من القيام بعمل عسكري كما حدث في العراق وليبيا أم أن هناك أساليب أخرى؟ وما هو المقصود بالفوضى الخلاقة، وما هي علاقة برنارد لويس بهذه النظرية أو مدى ارتباطها بمشروعه لتقسيم الوطن العربي؟

قلنا إن نظرية برنارد لويس تقوم على فكرة جوهرية هي أن القوى الاستعمارية تستغل تناقضات المجتمعات الذاتية والبينية وتوظفها من أجل إنهاك المجتمعات وتفكيك أنظمتها. فهي كما تستغل وتوظف الخلافات الحدودية، فإنها أيضا تستغل التباينات الطبقية والمذهبية، وتفاقمها إلى أن تصبح انشقاقات سياسية ذات آلية مدمرة تتيح للقوى الاستعمارية فرصة التدخل المباشر، أو غير المباشر وتوجيه حركة الصراع بينها بما يخدم مصالحها الخاصة، وفي النهاية تفرض شروطها على -جميع- أطراف الصراع.

لقد كشفت تسريبات ويكلكس أن المؤسسات العالمية الأمريكية وفي طليعتها وزارة الخارجية الأمريكية ومؤسساتها الاستخبارية، ومؤسسات بحثية أخرى، تقوم بجمع مدى وحجم من المعلومات تشمل تقريبا _ كل _ ما يتعلق بالخلافات المحلية وأطرافها ورموزها وأسبابها وحجمها...الخ.

ولا يقف الأمر عند حد الخلافات، بل يتعداه إلى قراءة تركيبة القوى الاجتماعية ومطالبها وطبيعة الأنظمة والقدرة على استجابتها لتلك المطالب أو عجزها عن ذلك.

إن الحصيلة العامة التي خرجت بها الولايات المتحدة الأمريكية جراء هذا الجهد الضخم من العمل، أثمر عن رفعها مقولات ثقافية حضارية سياسية تحريضية موجهة إلى مجتمعات الدول النامية، خاصة إلى قواها الشبابية. تحدد لهم مطالبهم الثقافية والاقتصادية التي يعجز بها نظام حكم دولتهم ومجتمعهم الاستجابة إليها، فيحدث العنف في هذه المجتمعات ويتاح للولايات المتحدة الأمريكية التدخل.

الاجتماع السري الأول للشرق الأوسط الجديد

في ٢٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧ اجتمع كل من الملياردير جورج سوروس هو

المول الرئيس لشركات الاتصال والمعلومات من خلال الإعلانات لشركات تويتر وجوجل والفيس بوك، وبرنارد لويس ورام إيمانويل الخبير الإعلامي في فنون الدعاية وجون بونر السياسي الأمريكي، واتفقوا على المرحلة القادمة لتقسيم الشرق الأوسط. وتحقيق حلم إسرائيل الكبير من النيل للفرات، وأيضا قوة سيطرة أمريكا على مقومات البترول، ومقومات الثروات فى الشرق الأوسط وكل العالم ينظر للشرق الأوسط بأنه كنز الكنوز، ومنذ الحروب الصليبية وهم يحلمون أن يحكموا قبضتهم على كنوز الشرق وجورج سوروس من كبار الأعضاء فى حركة الماسونية العالمية وله رتبة كبيرة فى حركة الماسونية لما له من انجازات لتقوية الحركة وحمايتها، وكانت العقبة الوحيدة أمامهم كيف يسيطرون على الشرق الأوسط بدون نقطة دم يهودي أو أمريكي، وكان الحل لدى برنارد لويس الذي قدم مشروع الشرق الأوسط الكبير ونظرية الفوضى الخلاقة.

وتم الاتفاق بينهم على تجربة الشرق الأوسط الكبير فى صربيا وفى لبنان وفى بعض الدول التي تكون الأنظمة السياسية وطبائع البشر فيها قريبة من طبائع مواطني الشرق الأوسط وخصوصاً لبنان لأنه بلد عربي ومن الشرق الأوسط، وأيضا لأنها دولة صغيرة مثل تونس ويسهل العمل فيها وتنفيذ مخططهم والتدريب عليها للمعركة الكبرى.

نظرية «أسراب النحل»

وفي تقرير المعهد الدولي لبحوث العولمة «International Institute For Research on Globalization-CRG» في واشنطن أفاد أن وكالات المخابرات الأمريكية والبنتاغون قاما بإعداد مخططات لتغيير الأنظمة الحاكمة بطرق غير تقليدية تبدأ بتحريك مجموعات شبابية ترتبط بوسائل الكترونية تمارس الإضرابات وأساليب الكر والفر والتحرك المكثف « مثل أسراب النحل»وذلك بهدف خلق أنظمة حكم موالية للولايات المتحدة تسهم في تنفيذ مخططات التقسيم وهو مابدأ بالفعل من خلال ماعرف بالثورات الملونة في جورجيا وثورة الأرز في لبنان وثورة الياسمين في تونس وثورة اللوتس في مصر، إن الأنظمة التي تم تغييرها في العالم العربي كانت موالية بل وعميلة إلى أمريكا

وإسرائيل لكن تلك الأنظمة قد انفضح أمرها ولايمكن للشعوب أن تقتنع بأطروحاتها التي تريد أمريكا وبريطانيا وإسرائيل تنفيذها في عالمنا العربي.

هناك دليل ساطع على دور المخابرات الأمريكية فى دعم الثورات العربية الحديثة هو ما قاله النائب الجمهورى جون ماكين فى غفلة وسقطة من سقطاته المتكررة بسبب السن حيث يبلغ من العمر ٧٥ عاما حيث قال بعد نجاح الثورة فى مصر (على فلاديمير بوتن رئيس وزراء روسيا وصحبته من المخابرات الروسية أن يكونوا أقل غرورا الآن وعلى الرئيس الصينى وقادته أن يشعروا بعدم الأمان بعد أن نجحنا فى تحقيق الثورات).

الواضح من كلمات ماكين أنه فخور بدوره فى تمويل وتنظيم الثورات حيث إن هذه الثورات تنشئ حكومات موالية فى العديد من الدول التي تطوق سياسيا وجغرافيا روسيا والصين،ومن المعروف أن ماكين هو عضو بالمعهد الجمهوري الدولي وهو أحد المؤسسات التي تقوم بتمويل كانفاس إلى جانب غيره من المؤسسات مثل مؤسسة فريدوم هاوس ومعهد ألبرت أينشتاين.

وداعا للعمل العسكري مرحبا بالفوضى

لقد طورت الولايات المتحدة الأمريكية هذا النهج، وصاغته في نظرية تعامل استراتيجي، تتيح لها أن لا تضطر إلى اللجوء إلى العمل العسكري المباشر إلا مضطرة.. خاصة بعد التجربة العراقية، فكانت نظرية الفوضى الخلاقة.

إن نظرية الفوضى الخلاقة تستهدف استحداث حالة فوضى في مواقع الصراع بين أطراف محلية، تتيح للولايات المتحدة الأمريكية ركوب موجة الفوضى هذه وتوجيهها لصالحها. وهي من أجل تحقيق هذا الهدف تسخر مجموع آليات الإمكانيات الأمريكية المتفوقة تقنيا وثقافيا وسياسيا، مستندة إلى أكبر حجم ممكن من المعلومات عن مواقع وأطراف الصراع المحلي.

إن النهج الاستعماري العالمي اقتصاديا وسياسيا بشكل عام، هو المسؤول المباشر وهو سبب الأزمات الاقتصادية والثقافية السياسية التي تسحق المجتمعات النامية،

ومع ذلك نجد أن هذه القوى الاستعمارية تطرح لهذه المجتمعات مطالب الحكم الرشيد والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، بعد أن قيدت أنظمتها بأزمات باليات تعيد إنتاج الأزمات الاقتصادية والسياسية فيها.

إن الأدوات الجديدة التي تخدم الاستعمار، هي تقنية الاتصال الحديثة، وقوى الشباب، والمظلة الإعلامية، وفي حين يمكن القول إن تقنية الاتصال هي قوة محايدة يجري تحديد وظيفتها تبعا لهدف استخدامها، فإن مظلة الآليات الإعلامية الرئيسية ليست بريئة سياسيا عن الانخراط المقصود بهذه المهمة، ويبقى من هذا الثالوث قوة الشباب، التي تتمتع بالبراءة والطهر والنبالة على صعيد الحركة الإرادية غير أنه لا يمكن إغفال أنه جرى _ مسبقا _ تحديد اتجاه حركتها موضوعيا بالفكر والثقافة المطلبية الليبرالية، فبرنامج وإستراتيجية الفوضى الخلاقة لا تطلب من قوة الشباب هذه سوى إيصال المجتمع إلى حالة الانتفاضة، وخلق مواجهة شعبية مع النظام، في حين تتولى قوى الاستعمار استكمال المشروع اعتمادا على الغفلة السياسية الموجودة.

أميركا وانتفاضتا مصر وتونس

إن دراسة خصوصيات المجتمعات حدد للقوى الاستعمارية خصوصيات التعامل معها، وما يهمنا هنا أن نرى مقدار النجاح الذي حققته القوى الاستعمارية خاصة الولايات المتحدة منها بهذا الصدد، والذي كشف مستوى تفاقم عجز قوى المعارضة بصورة عامة والقوى التقدمية منها بصورة خاصة.. ففي تونس حدثت الانتفاضة الشعبية، والتي لا ينتقص أحد من قيمة تجربتها كحالة انتفاض شعبي، أثبتت قدرة الجماهير على إتاحة الفرصة للتغير، وهي تقف ولا تزال عند محاولة تحديد اتجاه هذا التغيير إلى أين، وقد تدخلت الولايات المتحدة فطرحت نفسها فورا بديلا للنفوذ الفرنسي في تونس، وتتم مساومة حادة مع هذه الانتفاضة الشعبية في محاولة لتحديد صيغة حكم تخدم المصالح الأمريكية.

وفي مصر نجد تكرارا للسيناريو العام لما حدث في تونس، مع ملاحظة أن مستوى

التخريب الاقتصادي كان أكبر في مصر وأن الأزمة ستأخذ مدى زمنيا أطول، وأن صيغة الحكم في مصر ستلعب المؤسسة العسكرية المصرية دورا أكبر في تحديدها، فلمصر خصوصيتها المميزة عن تونس، لأسباب تتعلق بلوجستية دورها الإقليمي، وأهمية وزن دور المؤسسة العسكرية في الحياة القومية المصرية.

أما في فلسطين: ولخصوصية شروطها وأوضاعها فلم يتعد نجاح هذا المخطط مستوى خلق الحالة الانشقاقية بين فتح وحماس.وترسيخها. رغم أن المخطط الاستعماري بذل جهدا في محاولة إنجاز أهداف أكبر من ذلك، ويتمحور حول ضرب شرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني والذي فشل رغم أنه ألحق ضررا بهذه الشرعية.

في كلِّ هذه التجارب، وليس بعيدا عنها وضع لبنان أيضا، لعب برنامج الفيس بوك، وقوة الشباب، والمظلة الإعلامية، دورا تكامليا يعمل على تحجيم حالة الانتفاض الشعبي في إطار حالة فوضى، تتيح للولايات المتحدة فرصة المساومة من أفضل الشروط، فهي وإن حاصرت حماس واعتبرتها حركة إرهابية فإنها تحاصر أيضا سلطة رام الله بالمعونات وعائدات عمال فلسطين داخل الخط الأخضر وتفرض إجراءات صارمة في مجلس الأمن تحول دون الاعتراف بدولة فلسطين.

إن فكرة برنارد لويس نجحت تماما في فلسطين لجهة تفريق وتشتيت الصف الوطني باستغلال التناقض بين حماس وفتح الذي وصل إلى حد الاقتتال في عام ٢٠٠٦.. وفرضت واشنطن وتل أبيب شروطها على أبو مازن رئيس السلطة الفلسطينية لجهة التعاون الأمني مع العدو كشرط أساس لاستئناف المفاوضات ومن جهة أخرى رفض الشرط الفلسطيني بتجميد بناء المستوطنات، لكن هذا السيناريو واجه عقبات في سوريا، لأن الموقف الدولي غير مواتٍ، خصوصاً مع تنامي القوة الإقليمية الصاعدة وارتفاع أصواتها ضد القطبية الواحدة والهيمنة الأمريكية على العالم أي أن نظرية لويس يمكن أن ترى النور في مكان وتواجه عقبات في مكان آخر حسب ظروف ومعطيات كل بلد.

لكن في كل الأحوال سوف تبتعد واشنطن تدريجيا عن اللجوء إلى القوة العسكرية لفرض تصوراتها بأن تذهب إلى خيار آخر لذلك ابتعدت عن «القوة الخشنة Hard Power» لما ستكلفه من مبالغ باهظة في ظل اقتصادها المتعثر وحجم المديونية واتجهت إلى «القوة الناعمة Soft Power» التي ستمكنها من تنفيذ المخططات بالكامل دون أي خسائر بالأرواح والأموال من جانبها لذلك فقد عمدت إلى تغيير الأنظمة عبر تحريك الشارع العربي من خلال وكلائها والمتدربين على التنظيم السياسي والجماهيري لديها.وكيفية التأثير بالرأي العام وأعداد الدورات والتدريبات خارج بلدانهم للشباب المتطوع من خلال منظمات المجتمع المدني وبالإضافة إلى ما ذكرناه من منظمات ومؤسسات قامت بهذا الدور مؤسسة مهمة جدا، وهي (معهد أينشتاين لمؤسسة جين شارب Gene Sharp) الذي لقيت كتاباته وأفكاره وبخاصة كتابه «من الديكتاتورية إلى الديمقراطية» دوراً مؤثراً وخطيراً في تفجير الثورات في العالم، من صربيا عام ٢٠٠٠م (حركة أتبور) مروراً بجورجيا عام ٢٠٠٣م (الثورة الوردية وحركة كمارا) وأوكرانيا (الثورة البرتقالية) والذي يعتبر واجهة لجهاز الاستخبارات الأميركية الذي يمثله في رئاسة مؤسسة فريدم هاوس (بيت الحرية الأمريكي) «بيتر آكرمان» يهودي أمريكي تولي رئاسة المؤسسة وصاحب لعبة فيديو شهيرة تعرف بـ (قوات أكثر نفوذا أو كيف تهزم الدكتاتور؟).. حيث قام بإعداد مجموعة القيادات حول أساليب التأثير غير العنيف كفاح اللاعنف كما يطلق عليه.. بالإضافة إلى التدريب على الوسائل التقنية الحديثة ووسائل الاتصال الجماهيري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وتويتر.

تساند هذه التحركات الإعلام المسخر والمستأجر لهذا الغرض لتغطية الأحداث وتقديم الدعم الإعلامي الكامل لهذه التحركات من خلال الفبركات الإعلامية وشهود العيان المدفوعيْ الثمن.

يوم في ميدان التحرير بمصر

لكن الأهم هو ما جاء في مقال المخرج «رواريد أرو» المنشور بإحدى الصحف العربية ،

والذي تحدث فيه عن دور الخبير الأميركي في الثورات السلمية «جين شارب Gene Sharp» الذي لقيت كتاباته وأفكاره وبخاصة كتابه «من الديكتاتورية إلى الديمقراطية» دوراً مؤثراً وخطيراً في تفجير الثورات في العالم، من صربيا مروراً بأوكرانيا وتايلاند وصولاً إلى إندونيسيا، والذي يعتبر واجهة لجهاز الاستخبارات الأميركية.

ويقول: «رواريد شارحاً تأثير جين شارب في الثورة المصرية: «عند وصولي إلى ميدان التحرير يوم ٢ شباط/ فبراير ٢٠١١م كان بعض من تدربوا على أعمال جين شارب رهن الاعتقال، البعض الآخر كان تحت ملاحظة الاستخبارات، كما تم التحفظ على بعض الصحافيين الذين زاروا الميدان لعدة ساعات. وعندما قابلت أحد المنظمين رفض الحديث عن جين شارب أمام الكاميرا، إذ كان يخشى أن يسبب انتشار المعرفة بتأثير الولايات المتحدة هزة للحركة، وأكد لي أن كتابات جين قد وزعت بالعربية. وأضاف أن أحد أهم الأدوات التي استخدمناها كانت فكرة جين الخاصة بتحديد أعمدة النظام، والتي تقترح بناء علاقة مع الجيش لتحييده».

إن المخطط محبوك بالكامل، فهناك مروجو العبارات الفكرية المضادة، والتي يحاولون إبعاد أذهان الناس إلى الحقيقة التي تقول إن وراء هذه الثورات مخططات خارجية وهؤلاء أصحاب نظرية الصدفة أو المصادفة في حدوث هذه الثورات ويليهم أصحاب نظرية المؤامرة حيث يتم وقف كل الحقائق والمؤشرات التي تكتشف بأنها خرافة، ومن باب نظرية المؤامرة التي سئمناها كما علمتهم الدوائر الغربية والمخابرات العالمية هذه الأساليب لكي يتم إسكات الأصوات التي تكشف الحقائق.

الفصل العاشر

١٠

برنارد لويس وبيرجينسكي وشمعون بيريز

* المفكر والمنفذ والمستفيد.. ثالوث الشر الغربي.

* كيف تكونت أفكاره من التقسيم إلى تفتيت الوطن العربي.

* أجهزة المخابرات الأمريكية تعاملت مع المجاهدين الإسلاميين قبل ستة أشهر من الغزو السوفيتي لأفغانستان.

قبول إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط كدولة معترَف بها من جيرانها العرب أولا وكقوة عسكرية واقتصادية ثانيا، هو هدف برنارد لويس الاستراتيجي يتمثل وهو بهذا يقترب من أطروحة «شمعون بيريز» الذي أطلق عليها «مشروع الشرق الأوسط الجديد» حيث تكون فيه إسرائيل صاحبة القوة العسكرية والاقتصادية مدعومة بالرأسمال الخليجي واليد العاملة العربية.. وهناك علاقة متينة بين المفكر والفيلسوف برنارد لويس والمفكر الاستراتيجي زيغينو برجنسكي ثم المستفيد النهائي وهو شمعون بيريز وإخوانه،فالأول يتأمل ويرسم والثاني يحول الأفكار إلى خطط وإجراءات في أرض الواقع، ولقد وضع «برنارد لويس» مشروعه بتفكيك الوحدة الدستورية لجميع الدول العربية والإسلامية، وتفتيت كل منها إلي مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وأوضح ذلك بالخرائط التي أوضح فيها التجمعات العرقية والمذهبية والدينية والتي على أساسها يتم التقسيم وسلم المشروع إلى بريجنسكي مستشار الأمن القومي في عهد جيمي كارتر والذي قام بدوره بإشعال حرب الخليج الثانية حتى تستطيع الولايات المتحدة تصحيح حدود سايكس بيكو ليكون متسقا مع المصالح الصهيوأمريكية.

أفكار من حديد ورصاص

أفكار الرجل لم تتغير، ولم تتأثر بعواصف التغيير العالمية، رغم البحوث والدراسات الكثيرة التي قام بها عن المنطقة وتاريخها وأحوال شعوبها، وأنماط معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم، من الأمثلة على ذلك كتابه عن «العرب في التاريخ» وكتابه «ظهور تركيا الحديثة» وكتابه «لغة السياسة في الإسلام» و«الإسلام: من النبي محمد وحتى فتح القسطنطينية» و«عالم الإسلام: إيمان وشعوب وثقافة» و«الإسلام والغرب» و«أين الخطأ؟» و«أزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإرهاب المدنس»، مما جعل إدوارد سعيد يقول عن هذه الرحلة الطويلة والشاقة لهذا المستشرق في البحث ونظرته الأيديولوجية

للإسلام «إن جوهر إيديولوجية لويس، فيما يخص الإسلام هو أنه لن يتغير، وإن أية مقاربة سياسية تاريخية أو جامعية للمسلمين عليها أن تبدأ وتنتهي من كون المسلمين هم المسلمون» لكن الذي سيتغير هي الحدود التي تخيلها لويس للشرق الأوسط الجديد فقد أدخل عليها برجنسكي تعديلات تراعي انتشار إثنيات أو طوائف محددة داخل عدة أقطار مثل الأكراد الموزعين على عدة أقطار.

لقد أشرنا إلى أن الكونجرس الأمريكي وافق بالإجماع وفي جلسة سرية عام ١٩٨٣م على مشروع برنارد لويس، وتمَّ تقنين المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية المستقبلية وهى الإستراتيجية التي يتم تنفيذها وبدقة وإصرار شديدين ولعل ما يحدث في المنطقة من حروب وفتن يدلل على هذا الأمر.

كان مبرر برنارد لويس لهذا المشروع التفكيكي وكما ذكرنا: إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تُرِكوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمِّر الحضارات، وتقوِّض المجتمعات، ولذلك فإن الحَلَّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنُّب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية -دون مجاملة ولا لين ولا هوادة- ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الجهادية،

ولذلك يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها.

وزارة الدفاع الأمريكية تعترف بأنها مولت ثورات الشرق الأوسط

وتدير «وزارة الخارجية الأمريكية» مجموعة واسعة من شبكات أهلية خارج النطاق القانوني، وتضم منظمات وشركات دعاية ومحطات فضائية ومؤسسات صحفية يتم فيها تدريب المحتجين (النشطاء) العرب والآسيويين في الولايات المتحدة أو أوروبا أو مناطق قريبة من الشرق الأوسط منها مالطة وقبرص، على برامج تحريك الجماهير سلميا، وكيفية إدارة الحشود الجماهيرية من دون الاصطدام مع قوات الشرطة أو الجيش، وتوفير سبل عودتهم آمنين إلى بلادهم لقيادة التحركات الجماهيرية والتحريض على الاضطرابات وتغيير النظام مثل منظمة فريدم هاوس»بيت الحريات»، والمعهد الديمقراطي الأميركي والمعهد الجمهوري الأميركي، وكانت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون تشرف بنفسها على متابعة قرارات وتوجهات «مجلس الإعلام الأميركي» الذي يشرف على «وكالات الأنباء» ومحطة الحرة الفضائية، إذاعة صوت أمريكا وإذاعة أوروبا الحرة وإذاعة آسيا الحرة.

وكشفت «صحيفة واشنطن بوست» أن وزارة الخارجية الأميركية ووزارة الدفاع ومجلس محافظي الإذاعة تنسق مع شركات تكنولوجيا الاتصال كالإنترنت وجوجل والفيس بوك وتويتر، وشركات التمويل العابرة للقارات للنشاطات الحقوقية، والمنظمات غير الحكومية (منظمات حقوق الإنسان) التي تساعد المتظاهرين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مع توفير الوسائل الكفيلة بتيسير أنشطتهم على الإنترنت بما في ذلك التحايل على تدابير الأمن السيبراني الذي تستخدمه الأمم المستهدفة.

ويبدو أن الولايات المتحدة مستعدة لإنفاق ما لا يقل عن ٣٠ مليون دولار من أموال دافعي الضرائب سنويا لتيسير هذا التدخل فيما وراء البحار.

وذكرت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، في عرض متعدد الطبقات للنفاق لا يصدق «أنا متأكدة من أن هناك بعض الناس في حكومات هذه الأماكن التي تفضل أننا لم نمول هذه التكنولوجيات تماما كما أنهم يفضلون عدم الدعوة إلى حقوق الإنسان بشكل عام ولكن من سياستنا منذ أمد بعيد الدعوة إلى حرية الإنترنت.. وفي الوقت نفسه، أخذ السيناتور جو ليبرمان الدور، وقرر قضاء بعض الوقت لتعزيز آخر خارج نطاق القانون والتدخل في الشؤون السيادية لدولة أجنبية، وهذه المرة في بيلاروس على حدود روسيا، ورفضت المفاتحات لحلف الناتو. وكما ذكر سابقا، تغيير النظام في بيلاروس، وانضمامها إلى منظمة حلف شمال الأطلسي جزء من خطة أكبر لتطويق روسيا وإجبارها على تنازلات لصالح حكم القلة للعولمة.

ليس هناك أدنى شك في أن الإمبراطورية الأميركية ومن قبلها بريطانيا وفرنسا عملوا على تقسيم الوطن العربي وفق نظرية«فرق تسد» لذلك تطورت الآليات والتكتيكات الرامية إلى الانتقال من نظرية التقسيم إلى نظرية تفتيت الوطن العربي حتى يسهل السيطرة عليه، وتمكين إسرائيل من الوجود فضلا عن إغراق المنطقة في الفوضى الخلاقة.

سكان مصر.. عرب أم فراعنة؟

ومن المصادفات أن الرجلين لويس وبيرجنسكي اتفقا في الدعوة إلى تفكيك النظام الإقليمي العربي وطمس عروبته، وإعادة تشكيله على أسس عرقية وطائفية. ففي كتابه "بين جيلين"، الصادر أواسط سبعينيات القرن الماضي، كتب بيرجينسكي يقول: "الشرق الأوسط مثلا مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة يجمعها إطار إقليمي، فسكان مصر ومناطق شرق البحر المتوسط غير عرب، أما داخل سوريا فهم عرب، وعلى ذلك فسوف يكون هناك "شرق أوسط" مكونا من جماعات عرقية ودينية مختلفة

على أساس مبدأ الدولة - الأمة، تتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية يجمعها إطار إقليمي (كونفيدرالي).. ويضيف قائلاً: "وهذا سيسمح للكانتون "الإسرائيلي" أن يعيش في المنطقة بعد أن تصفى فكرة القومية العربية".

وكتب في مجلة "فورين بوليسي" مستعرضاً تداعيات تراجع أمريكي على حلفائها في العالم، وفي تناوله للتداعيات على الوطن العربي يرى أن المنطقة معرضة لتقويض استقرارها السياسي، وأن جميع دولها معرضة لدرجات متفاوتة من الضغوط الشعبوية الداخلية، والقلاقل الاجتماعية، وصعود الأصولية الدينية. ويذهب إلى أن عدم التوصل في الصراع العربي- الصهيوني لحل الدولتين سيزيد العداء لـ"إسرائيل". وهو يتوقع حدوث فورات تتحول لمواجهات عسكرية بين إيران و"إسرائيل" تدفع ثمنها الكيانات الأضعف، خاصة لبنان وفلسطين، فضلاً عن أنها ستؤدي لتصاعد الأصولية الإسلامية والتطرف وأزمة طاقة عالمية، وتعرض حلفاء أمريكا للخطر.

وفي حوار مع جريدة أفغانية، قال: (لقد بدأ الدعم للمجاهدين في ٣ تموز عام ١٩٧٩م حيث وقع الرئيس كارتر أول أمر للدعم السري للمعارضة للنظام الموالي للاتحاد السوفيتي في أفغانستان.

وفي سؤال.. يقال مرارا وتكرارا: هل إن الأصولية الإسلامية تمثل تهديدا لكل العالم؟

وقد أجاب ... هذا هراء.

- ولكن ألا تشعر بالندم لأنك ساعدت في إعداد (إرهابيي المستقبل) أو ما سمى الأفغان العرب بالسلاح والنصيحة؟

قال بيرجينسكي: ما هو أهم لتاريخ العالم.. طالبان والشباب الأفغان العرب أم انهيار الإمبراطورية السوفيتية؟

وأضاف: إنني أسألكم أن تحكموا عقلكم المستقبلي ..هل الأهم لنا هو بعض الرؤوس الحارة الإسلامية أم تحرير أوروبا الوسطى وأن نضع نهاية للحرب الباردة؟

وقال: إن الحرب في أفغانستان أعادت رسم خارطة العالم من أجل أميركا وإسرائيل وأوروبا.. لقد أصبحت أميركا القوة الوحيدة في العالم، وصرنا بلا منافس، وهنا نضع الخطوط الإستراتيجية لعالم جديد.

وفي صحيفة الواشنطن بوست قال بيرجينسكي: «إن الحركات المتشددة حين يتم التعامل معها بذكاء يمكن أن يؤخذ بها إلى تبني أسلوب أكثر اعتدالا».

يقول جاريد إسرائيل في (موقعة ملابس الإمبراطور) إن الصفوة الحاكمة في أمريكا عملت بحماس شديد لتشجيع التطرف الإسلامي في آسيا من أجل قلقلة الدول الكبرى في آسيا الكبيرة، وهي روسيا والصين والهند تلك القوى الكبرى المتنافسة على الهيمنة الأمريكية.. وهذه السياسة ناجحة لأن معظم سكان هذه البلاد من المسلمين، فالإرهاب الإسلامي هو هدف أساسي ورئيسي للسياسة الخارجية لأمريكا، والمطلوب إقامة دولة ذات توجه إسلامي متطرف في شرق الخليج العربي يقودها متطرف مسلم.

مذكرات روبرت جيتس

وفي مذكرات روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكي السابق حيث قال: (بدأت أجهزة المخابرات الأمريكية قبل ستة أشهر من الغزو السوفيتي لأفغانستان في دعم المجاهدين الإسلاميين).

ومن أهم إنجازات بريجنسكي في فترة حكم كارتر خلق ورعاية تطرف إسلامي في أفغانستان، وتسليح باكستان ذات الحكم الإسلامي المتشدد لمواجهة الهند التي كانت لا تزال قريبة من الحكم السوفيتي، وقد عمل بريجنسكي على زعزعة الاتحاد السوفييتي عبر دعمه للمجاهدين الأفغان وذلك بسبب موقفه المتعنت ضد الاتحاد السوفييتي والفكر الشيوعي بشكل عام والناتج عن أصوله البولندية.

وأهم ما ذكره عن التغيير في الوطن العربي قال: إن تغيير الشرق الأوسط سيكون

مهمة أكثر تعقيداً بكثير من ترميم أوروبا بعد الحربين العالميتين، فالترميم الاجتماعي يبقى أسهل من التغيير الاجتماعي، ولذلك لابد من التعامل مع التقاليد الإسلامية، والمعتقدات الدينية، والعادات الثقافية، بصبر واحترام، قبل القول بأن أوان الديمقراطية قد آن في الشرق الأوسط».

مفاهيم في (رقعة الشطرنج)

زبجينو بيريجنسكي عمل في واحد من أهم معاقل البحث السياسي في العالم، وهو مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن، وله عدة مؤلفات منها كتاب «هيمنة عالمية أم قيادة عالمية» وكتاب «بين حقبتين».

«واستخدام أسلحة غير مرئية» قال فيه إن التكنولوجيا ستسمح للأمم الكبرى باستخدام أسلحة غير مرئية والتي لا يعرفها إلا القليلون.. ويضيف، نحن نمتلك وسائل للتأثير على الطقس فيمكن إحداث أعاصير أو جفاف، ونؤثر بذلك على أعدائنا للقبول بشروطنا».

وله كتاب «فرصة ثانية»: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمي الأمريكية» وكتاب «رقعة الشطرنج» الذي اختير كأفضل كتاب في الولايات المتحدة عام ١٩٩٧م، وهو من أخطر الكتب التي يتم دراساتها في المعاهد السياسية الكبرى في أمريكا، حيث الاعتقاد الراسخ لدى السياسيين بأن من يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم.

وطالب بيريجينسكي واشنطن بإعطاء اهتمام أكبر لأوكرانيا باعتبارها الدُّعامة الأكبر لروسيا والتي بدونها لا تستطيع موسكو أن تستعيد طموحاتها في التوسع خارج حدودها وتفقد حلمها في نشر أساطيلها الحربية في المياه الدافئة، ولهذا أطلق بيريجينسكي على أوكرانيا «قطعة الشطرنج العظمى».

وعن الخيارات الأميركية في سورية، وفي ظل معارضة روسيا والصين محاولات مجلس الأمن لاستصدار قرار دولي تحت الفصل السابع، يرى بيريجينسكي أن «لا واشنطن ولا روسيا في إمكانها التحرك بشكل حاسم... الديناميكية الداخلية ستكون

مفصلية للوضع في سورية»، في حين سيكون «التأثير السياسي المشترك لتعاون الداعمة له فاعلاً و بنّاء».

شرق أوسط أمريكي جديد (حدود الدم)

وفي مقالة نشرت في مجلة القوات المسلحة الأمريكية العسكرية الشهرية أرمد فورسز جورنال (armed forces journal) الشهرية لضابط سابق اسمه (رالف بيترز) وعنوانه بـ«حدود الدم» وفيه يرى (بيترز) أن الحروب المستمرة بين العرب واليهود ليست صراعا على الوجود بل هي خلاف على الحدود، وأن المنطقة ستظل تعاني من الاضطراب ما دامت الحدود مضطربة وغير نهائية. لذلك ومن أجل شرق أوسط أمريكي. يتقدم بيترز بخارطة أمريكية جديدة تلغي الحدود القائمة، ويقسم الدول الحالية فتتحول الدولة الواحدة إلى دويلات، وتنشأ دول جديدة، وتكبر دول صغيرة وتصغر دول كبيرة. والخاسر الأكبر في الخارطة الجديدة هو السودان، أما العراق فيتحول إلى ثلاث دويلات، وهناك وضع جديد لسوريا وغيرها كما سيظهر لاحقا.

ويلقي بيترز باللوم على الولايات المتحدة وحلفائها في عدم استثمار الفرصة العظيمة بعد سقوط بغداد لتقسيم العراق إلى ثلاث دول من أجل ما يسميه «إنهاء الظلم» الموجود. والتقسيم سيؤدي إلى دولة شيعية في الجنوب وسنية في الوسط وكردية (كردستان الحرة) في الشمال، وهنا يخاطب (بيترز) الدول الغربية قائلا: إن «كردستان الحرة» الممتدة من ديار بكر إلى تبريز «ستكون أكثر الدول صداقة للغرب من بلغاريا إلى اليابان»!!

أما بالنسبة للدولة السنية العراقية الصغيرة المتكونة من ثلاث محافظات فقط في الوسط فسوف تختار فيما بعد الوحدة مع سوريا. أما سوريا فسوف تخسر المنطقة الساحلية كلها لصالح «لبنان الكبير المتوسطي الطابع مما يؤدي إلى عودة الدولة الفينيقية».

ولكن الجنوب الشيعي العراقي سيكون نواة «للدولة الشيعية العربية التي ستمتد على طول معظم الخليج العربي. أما الأردن فإنه سيحافظ على أراضيه الحالية مضافا إليها مناطق جديدة من منطقة الخليج، أي هناك لبنان الأكبر والأردن الأكبر.

ويختم مقالته بما يلي: «إن لم يحدث تصويب للحدود في الشرق الأوسط الكبير بشكل تتفق فيه هذه الحدود مع الروابط الطبيعية للدم والدين، فسوف يكون هناك مزيد من سفك الدماء في المنطقة» وكأنه يهدد بحدود دموية إن لم تنجح حدود الدم الأمريكية.

الفصل الحادي عشر

١١

الطائفية

* من المحاصصة في العراق ولبنان إلى صراع الحوثيين والسلطة في اليمن.
* الطائفية السياسية «حصان طروادة» لاختراق وتفتيت الدولة العربية الحديثة.
* النخب الحاكمة في بغداد اعتبرت الغزو التركي لشمال العراق وكأنه يحدث في دولة أخرى.
* أسباب طائفية وراء حروب الحوثيين مع دولة علي عبد الله صالح.
* نظرية التعايش المشترك في لبنان طائفية تشكل خطرا على النسيج الوطني.
* السودان مهدد بتقسيم في الشرق بعد الجنوب ودارفور.
* بربر الجزائر يتبنون برنامجا طائفيا يتجاوز الوفاق الوطني.

حصن قلعتك من الداخل يخشاك العدو»..هذه القاعدة الذهبية التي وردت في مقدمة ابن خلدون ليس لها أي وجود في الوطن العربي، المرشح لمزيد من الاختراقات بسبب توفر عوامل داخلية تهيئ البيئة للتدخل الخارجي،ويصح القول أنه لولا ضعف بنية الدولة العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال، وتفاوت درجة امتلاك مقومات وأدوات ومؤسسات ديمقراطية حقيقية بين بلد عربي وآخر، وعدم اكتمال الأنساق التنموية الحديثة، بسبب النهب الاستعماري القديم وارتفاع نسبة الأمية السياسية، والثقافية، لولا غياب هذه الأسس ما نجح برنارد لويس وأميركا والعدو الصهيوني، وكل قوى الاستكبار من التدخل في بلادنا العربية، خاصة في ظل فيروس خطير هو «الطائفية السياسية».

قوس الأزمات العربي تمتد من العراق إلى سوريا لبنان ثم تتحرك إلى السودان والصومال وليبيا من دون أن تترك مجالات أو فرصا للصراع في غير دولة عربية في المستقبل القريب، وربما كان الخط الجامع غير المانع لهذه الصراعات هو الخط الطائفي، أو ما يسميه علماء الاجتماع السياسي بـ«عودة الطائفية السياسية» التي تهدد البناء الاجتماعي للدولة الوطنية العربية، وتشكل خطرا على الوحدة الوطنية في الدولة الحديثة.

يقول د. رفيق حبيب في دراسة له بعنوان» فتنة الطائفية السياسية»: «إن الدول العربية والإسلامية تواجه حربا من نوع خاص، على وحدتها السياسية والحضارية. وتلك الحرب تعتمد أساسا على دور الطوائف في المجال السياسي. ووجود الطوائف في حد ذاته ليس هو المشكلة، بل إن وجود التكتلات الاجتماعية بما فيها القبائل والعشائر والطوائف الدينية والعرقية، ليس هو مصدر المشكلة. ولكن المشكلة تأتي من التوظيف السياسي للكيانات الاجتماعية، بما يمكن أن نسميه بالطائفية السياسية. فالحادث في المشهد اللبناني، والسوري وفي العراق ومصر والسودان وغيرها، أن هناك محاولات مستمرة لتوظيف الطوائف لمصلحة مشروع سياسي معين، وضد المشاريع السياسية الأخرى.

والمتأمل للمَشهد العربي سيجد تنافسا شيعيا شيعيا قبل أن يكون شيعيا سنيا في

العراق، ينعكس في صورة تكالب على الحقائب الوزارية والمناصب الرسمية ووصل الأمر ذروته في تقسيم الجيش على أسس طائفية حيث البشمركة في الشمال والأحزاب والميلشيات الشيعية في الجنوب والشرق، والسنة في الوسط والغرب وتوزيع الثروة بالمحاصصة بين الطوائف، وكان لافتا أن النخبة الحاكمة في بغداد لم تحرك ساكنا لمنع القوات التركية من غزو شمال العراق لضرب مواقع حزب العمال الكردستاني وتعاملت مع الأمر وكأنه يقع في دولة مجاورة أو في منطقة خارج سيادتها وبالتالي خارج مسؤوليتها الوطنية.

ماذا يقول الإستراتيجيون العرب؟

وبشيء من التفصيل كشف اللواء حسام سويلم الخبير المصري الاستراتيجي، عن مخطط أميركي إسرائيلي لتقسيم (أو إعادة تقسيم) العالم العربي إلى كانتونات عرقية وطائفية، مؤكداً أن الولايات المتحدة عملت على إعداد مجموعات فاعلة من الشباب العربي تقود «الثورات» القائمة تحت شعارات «الديمقراطية» في خدمة هذا المشروع، بدليل أن عدداً من شباب «الثورة المصرية» تدربوا في أميركا منذ العام ٢٠٠٥ على برامج تحمل عنوان «الديمقراطية ومهارات التنظيم السياسي».

وفي حوار مع قناة «الحياة الفضائية» أكد سويلم وجود مخططات أميركية إسرائيلية ذات منشأ إسرائيلي، وقال إن لإسرائيل في الواقع ثلاثة مخططات للتقسيم أولها مشروع جابوتنسكي في العام ١٩٣٧ وهو بعنوان «الكومنولث العبري» وهو يهدف إلى قيام «دولة إسرائيل» الكبرى التي تدور في فلكها دويلات مقسمة عرقيّاً ومذهبيّاً وطائفيّاً ترتبط بها اقتصاديّاً واستراتيجيّاً وأمنيّاً. الثاني هو مشروع بنجوري (١٩٥٧) الرامي إلى تقسيم لبنان إلى مجموعة كانتونات مسيحية، درزية، شيعية، سنية، فلسطينية الى جانب بيروت التي تكون تحت وصاية دولية.

وأشار سويلم إلى أنّ المخطط الثالث ظهر في العام ١٩٧٤ بعد «حرب أكتوبر» وقد وضعه عرويد بنيون، وهو دبلوماسي كان مدير مكتب «مناحم بيغن»، وكتب في مجلة

«ديركشن» إستراتيجية إسرائيل في الثمانينيات، وهو مخطط يتحدث عن إعادة احتلال سيناء وثلاث مدن من الضفة الغربية لقناة السويس هي السويس- بورسعيد - الإسماعيلية، ثم تقسيم مصر إلى عدة دويلات دولة إسلامية تمتد من شرق الدلتا إلى المنيا وعاصمتها القاهرة، والدولة الثانية نصرانية من غرب الدلتا إلى مطروح ووادي النطرون وعاصمتها الإسكندرية، والدولة الثالثة النوبة تمتد من أسيوط جنوبًا إلى جزء من شمال السودان.

وأوضح الخبير العسكري أنّ المخطط أيضًا هدف إلى تقسيم السودان إلى شمال مسلم وجنوب مسيحي، ودارفور، والعراق إلى دويلة كردستان ودويلة سنية ودويلة شيعية، وسوريا إلى دويلة علوية في منطقة الساحل ودويلة حلب السنية ودمشق السنية ثم دويلة درزية في الجنوب، وتقسيم المغرب العربي إلى دويلة البربر وتضم جزءًا من ليبيا والمغرب والصحراء الكبرى ودويلة بوليساريو وهي المتنازع عليها الآن بين الجزائر والمغرب.

وأضاف سويلم أنّ ذلك كان أول تقسيم لمصر والدول العربية.

وعن المخططات الأميركية ذكر سويلم أن أهم هذه المخططات كان مخطط «برنارد لويس» وهو باحث إستراتيجي يهودي وأستاذ الدراسات الإسلامية والعربية، وهو مخطط لا يختلف كثيرًا عن المخططات الإسرائيلية، لكنه أضاف «الأردن الكبير» الذي سيأخذ جزءًا من السودان والضفة الغربية، ودولة الشيعة العرب التي تضم جزءًا من شرق السعودية وشيعة العراق، وكردستان الحرة التي تضم أكراد تركيا وأكراد سوريا والعراق، وأكراد إيران. كما أكد سويلم أن تقرير المعهد الدولي لبحوث العولمة في واشنطن أفاد أنّ وكالات المخابرات الأميركية والبنتاغون قاما بإعداد مخططات لتغيير الأنظمة الحاكمة بطرق غير تقليدية، تبدأ بتحريك مجموعات شبابية ترتبط بوسائل إلكترونية تمارس الإضرابات وأساليب الكر والفرّ والتحرك مثل أسراب النحل، وذلك بهدف خلق أنظمة حكم موالية للولايات المتحدة تسهم في تنفيذ مخططات التفتيت، وهذه المخططات تَمّ تنفيذ جزء منها بالفعل في ما عرف بالثورات الملونة في جورجيا والثورة الخضراء ضد نجاد في إيران وثورة الأرز في لبنان.

الطائفية السياسية والمخططات الأجنبية

ويكشف الباحث العراقي سلام إبراهيم كبة أن التقارير الدولية تؤكد على نوايا شركات النفط الأمريكية والبريطانية من استغلال العنف الدائر في ظل الأوضاع السائدة في العراق لكسب المفاوضات السرية التي تجري خلف الأبواب المغلقة حول تقسيم الإنتاج النفطي من خلال فرض عقود طويلة الأمد لا تقل مدتها عن (٢٥- ٤٠ سنة) مع الحكومة العراقية وربط العراق بها بالشروط المجحفة المعروفة سلفا مع سبق الإصرار! ويقول: «الاحتلال لا يدوم إلا بالطائفية، وهذه الأخيرة لا تحقق غاياتها إلا بوجود الاحتلال، إن الذي يترتب على طائفية الإسلام السياسي في العراق، ليس تناغمه مع الاحتلال فحسب وإنما اقتران طائفيته بالنزعة العشائرية والقبلية أيضا، والتناغم هنا، لا مع النزعة العشائرية التقليدية فحسب بل الأخطر في الأمر هو تسخير العشائر الحرة أو العشائر الاجتماعية الجديدة وشيوخ التسعينيات في المدن العراقية لخدمة الطائفية الاجتماعية. والطائفية الاجتماعية تتجسد في تسخير هذه العشائر الحرة لأعمال القمع البوليسية وخلق البلبلة مثلما استخدمها النظام الدكتاتوري لدق الأسافين في العلائق الأسرية واللاإنسانية، وبعد أن كانت ترتبط العشائر الحرة بمكتب العشائر المركزي في البعث باتت اليوم على اتصال وثيق بالإسلام السياسي الحاكم والمتنفذ!

في عراق اليوم استبدال للشرعية الحزبية والتحالفات المدنية بالتحالفات الطائفية ومجلس الطائفة الحاكمة امتدادا للتحالفات العشائرية والطائفية لا تطلب شيئا سوى الالتزام النفسي بها والاحتماء في ظلها وتحت خيمتها، الإيمان بها، لتكون الحماية ذات شقين: الروحية والمادية، وبسبب فقدان الأمان والحياة القاسية والخوف من الغد.

الطائفية الاجتماعية أصولية متطرفة تغازل وتداعب الأصوليات الوافدة وتتعاون معها لتكريس ثقافة القمع، بجميع مفرداتها وتفصيلاتها! تعبيرا عن العجز وعدم القدرة على الإقناع لأنها لا تستطيع أن تقدم البرامج المقبولة... وبالتالي فلا سبيل إلى منافسة الآخر سلميا وعنفيا، بكل ما يعبر عنه ذلك من ميول إقصائية، واستئصالية، وتهميشية ضد الآخر باعتماد العنف القمعي. ثقافة القمع.. ميراث كريه، لا أحد يعترف بشرعيته!

العيش المشترَك في لبنان

وسيتوقف المراقب السياسي أمام مماحكات الموالاة والمعارضة في لبنان التي شلت البلاد وحرمتها في عام ٢٠١٠ من اختيار رئيس للدولة، وأدخلتها في مشكلات اقتصادية ليس لها أول وليس لها آخر، بينما الأزمة في جوهرها هي غطاء لصراع دولي له تداعيات إقليمية، والمثير هنا أن السلطة الرسمية في البلاد لم يكن لها يد في قرار الحرب مع إسرائيل التي وقعت في يوليو ٢٠٠٦ وبالكاد كان لها دور في وقف الحرب والموافقة على القرار ١٧٠١.

ويمتد حبل الصراع إلى الصومال والسودان حيث بؤر الأزمات ذات طابع مناطقي طائفي، أو عشائري أكلت الأخضر واليابس في مقديشيو وأتت بالجيش الإثيوبي، في حين أن صراعات جنوب السودان ثم غربه واحتمالات شرقه- أدت إلى تقسيم الدولة إلى شطرين ثم حدث صراع على النفط وتقسيم العوائد انتهى بوصول قوات أجنبية تابعة للأمم المتحدة للفصل بين الجيشين الشمالي العربي والجنوبي المسيحي بالقوات الدولية أيضا حسب التوصيف الغربي للصراع.

وإذا كانت هذه الأزمات أخذت مداها السياسي والإعلامي المدوي، فإن المعارك الدامية بين الحكومة اليمنية والحوثيين في صعدة شمال صنعاء دليل آخر على نوع الصراعات الكامنة في المنطقة التي يمكن أن تخرج عن السيطرة.وتتحول إلى بؤرة أخرى من بؤر التوتر الإقليمي، فقد شاع أن إيران تدعم الحوثيين، لكن قيادات الحوثيين نفت ذلك.وأشارت إلى حروب طائفية ضدها، والمهم هنا ليس الدفاع عن هذا الطرف أو اتهام الطرف الآخر، وإنما البحث في أسباب نمو المشاعر الطائفية التي أدت إلى وقوع ست حروب في جبال صعدة خلال الفترة من ٢٠٠٤-٢٠١١ بين الحوثيين والسلطة المركزية فضلا عن مناوشات بين سلفيين والحوثيين.

مشاهد طائفية سياسية في الخليج

وذكر بعض الباحثين والمحللين السياسيين بأن اندلاع الأحداث في لبنان والمواجهات

العسكرية المتوقعة بين فرقاء الساحة اللبنانية المذهبية قد تقود الخليج إلى ما اصطلح عليه باللبننة، والحقيقة أن وضع الخليج بجوار برميل الأزمات المسمى بالعراق سيؤدي إلى حالة من التوتر المرتبطة بنقل ثقافة طائفية إلى دول الخليج واليمن.

ويرصد الباحث مهنا الحبيل ثلاثة مشاهد من التوتر الطائفي في الخليج، أولها أعمال العنف التي تغيب وتحضر في البحرين، وتبادل الاتهامات بين الحكومة والمعارضة مع تأكيد الطرفين معا بوجود بعد طائفي في المشكلة.. والمشهد الثاني ما جرى ويجري في الكويت من تزايد الاحتقان،ورفع خطاب الطائفية السياسية في بلد معروف على مستوى الخليج بأن حجم الديمقراطية التي عاشتها الكويت كانت ولا تزال تشمل جميع طوائفه وأعراقه بغض النظر عن ضيق هذا الهامش أو سعته أو انكسارات الحالة الديمقراطية في الكويت.

بربر الجزائر والمغرب

وحسب دراسة لمركز ابن خلدون بالقاهرة فإن بربر الجزائر يشكلون مشكلة كبيرة، وهم يتوزعون على أربع مجموعات أساسية أكبرها وأكثرها مقاومة للتعريب مجموعة القبائل التي يبلغ قوامها حوالى ٣ ملايين نسمة، أما المجموعات الثلاث الأخرى هي الشاوية والمزاب والطوارق ويمارسون كافة الأنشطة الاقتصادية، كما يتوزع بربر المغرب على أربع مجموعات قبلية بعضها تأثر بالثقافة العربية مثل بربر الريف وجنوب الأطلسي والبعض الآخر خضع للمؤثرات الإفريقية مثل بربرسنوسى، والبعض الثالث حافظ على ثقافته البربرية مثل بربر الأطلسي الأوسط والأعلى.

ولا يمثل بربر المغرب والجزائر كتلة عرقية واحدة، ولا يطالبون بكيان منفصل مثل الأكراد أو حتى فيدرالية أو حكما ذاتيا وقد حاول الاستعمار الفرنسي في بلاد المغرب مع العرب ولم يفلح في الوقيعة بين العرب والبربر، وظل الإسلام هو الرابطة بينهما، فبربر المغرب ليست لهم مطالب سياسية ذات طابع إثني لانخراطهم في النسيج السياسي والاجتماعي للشعب المغربي فوالدة الملك الحالي محمد السادس بربرية على

سبيل المثال، وإن كان لهم بعض المطالب الثقافية للحفاظ على خصوصياتهم، أما بربر الجزائر فمطالبهم ثقافية واقتصادية أكثر منها سياسية واجتماعية وتتمثل أساسا في اعتماد اللغة «الأمازيغية» بكل مدلولاتها الثقافية كلغة رسمية ومساوية للعربية. بالإضافة إلى الاهتمام اقتصاديا بمناطق البربر.

ويمثل البربر في الجزائر حوالي ٢٣٪ من عدد السكان هناك – ٢٨ مليون نسمة – تقريبا وبلغوا حوالي ٩ ملايين نسمة وذلك في إحصائيات غير رسمية وتشير صحف جزائرية إلى وجود تيار بين البربر يتبنى برنامجا متطرفا يهدف إلى التمرد على البناء السياسي للدولة والانخراط في تنظيم القاعدة.

قاموس الدولة في مواجهة الطائفية

كيف عادت الطائفية السياسية إلى واجهة الأحداث وباتت المحرِّك لعديد من القوى الاجتماعية والسياسية في المنطقة؟ وما الذي أدى إلى تراجع الدولة الوطنية الحديثة بقاموسها الثقافي الوطني وبمؤسساتها الجامعة للأعراق والطوائف والعقائد؟ وكيف لأمة كانت تبحث عن وحدتها السياسية العابرة للدولة الوطنية إلى الدولة القومية تحاول اليوم أن تتلمس الطريق إلى التقريب بين المذاهب أو التحالف الاجتماعي؟

أسئلة تفرض نفسها على العقل العربي الذي يواجه مأزق إعادة بناء الدولة الوطنية والتفاعل مع معطيات حضارة ما بعد الصناعة، واللافت هنا أن العالم يعبر الموجة الحضارية الثالثة أو حضارة ما بعد الحداثة بينما يرتد المجتمع السياسي العربي بعضه أو كله في اتجاه الوراء حيث الطائفية هي سيدة الموقف، والطائفية تعبير اجتماعي يتحول إلى خطر عندما يرتبط بالبعد السياسي يهدد –حسبما كتب د.عبد المنعم سعيد في دراسة له بعنوان تدمير شرعية الدولة الحديثة»لأنه يهدد بالتفتيت، وحسب محللين يمنيين فإن القوى التي تطالب بالانفصال في جنوب اليمن تعرف أن الوضع المأزوم في دولة الوحدة يمكن أن يؤدي إلى بلقنة اليمن، وتفتيت دولة الوحدة إلى خمس دويلات.وربما أكثر علما بأنه كان في اليمن الجنوبي وحده قبل الثورة ٢٢ سلطنة، والحال نفسه في الصومال حيث

أمراء الحرب يستعدون لجولات أخرى من الصراع، فيما تقف لبنان والعراق على فوهتي برميل بارود يمكن أن ينفجر في أية لحظة.

أسس الدولة الحديثة

ويتفق المؤرخون على أن تاريخ الدولة الوطنية الحديثة لا يزيد على ستة قرون، وسبقتها نداءات المثقفين المطالبين بفلسفة العقد الاجتماعي، والدستور، وترتب عليها الثورات الفرنسية والأمريكية، حينما برزت الدولة القومية أو الوطنية، ويحدد سماتها عبد المنعم سعيد بأنها:

أولا: الدولة التي يتفق فيها جماعات وأفراد على أن يكونوا جماعة سياسية واقتصادية واحدة.

وثانيا: أن هذه الجماعة الجديدة سوف تترابط فيما بينها من خلال نوعية جديدة للولاء ليس لملك أو لدين بعينه أو طائفة بعينها وإنما من خلال فكرة المساواة بين المواطنين.

وثالثا أن يتوافق كل هؤلاء على نوعية من الحكم المقبول منهم لإدارة الدولة وسن قوانينها.

ومعنى ذلك أن الدولة الحديثة تتضمن ثلاثة أنواع من الشرعية: شرعية الجماعة السياسية (التي تربط اللبنانيين والفلسطينيين والمصريين على سبيل المثال)، وشرعية الدولة (مصر ولبنان وفرنسا)، وشرعية نظام الحكم (جمهوري وملكي وديمقراطي وشمولي)

الدولة الوطنية العربية

وقدم الدكتور علي فخرو في بحثه بعنوان «الدولة التسلطية ضد مجتمعها» عرضا لنشأة الدولة العربية الحديثة، وعلاقتها بأطر ومؤسسات ومفاهيم مجتمعها المدني مؤكدا أن أغلب الدول العربية القُطرية الحديثة الحالية هي حصيلة خلق وصنع أجنبي استعماري، أي أنها لم تكن حصيلة تطور مجتمعي تدرجي لتلبية حاجاته الذاتية في تنظيم

نفسه وبناء مختلف جوانب حياته والدفاع عن كيانه ضد أعدائه، أي أن نشأتها خارجية، أن المنطق سيفرض هنا تقمص الدولة التي خلقها الاستعمار أيديولوجيات وعادات وتنظيمات الاستعمار المبنية على القهر والتسلط والظلم، وهكذا ستولد تلك الدولة وفي أحشائها عدوانية ضد مجتمعاتها، ومن هنا وُصفت تلك الدولة بأوصاف مثل «الدولة ما بعد الاستعمارية» أو «الدولة البيروقراطية الحديثة التسلطية» أو «الدولة المصطنعة».. الخ، من نعوت تشير إلى نشأتها غير الطبيعية تلك.

لكن هناك النظرة المعاكسة القائلة إنه إذا أخذنا التعريف المبسط المرن للدولة والمتمثل بوجود سلطة حكم تسيطر على أرض جغرافية محددة فإن أغلب الدول العربية الحالية القائمة هي مجتمعات قديمة تكونت كدول بذلك التعريف في القرن التاسع عشر أو ما قبله بكثير باستثناء بعض دول الهلال الخصيب من مثل سوريا أو العراق أو الأردن التي تكون بقرارات دول استعمارية، وهناك الرأي الثالث القائل إن الدول العربية الحديثة هي نتيجة لنضال وطني تحرري ضد الاستعمار الذي وجد عبر الأرض العربية كلها تقريبا، وإن أية جماعة تتحرر لا بد أن تكون نفسها في كيان سياسي هو الدولة.

وبالطبع هناك رأي رابع يؤكد أن الدولة العربية الحالية هي نتيجة لتطور ذاتي لمجتمعات عربية تقليدية تطعمت بأفكار وأنظمة حديثة جاءت في الأساس عن طريق الوجود الاستعماري في تلك المجتمعات، وكانت من الطبيعي أن تتغلب كفة التقليدية عند البعض فتصبح دولا سلطانية وتتغلب كفة الحداثة عند البعض الآخر فتصبح دولا بيروقراطية.

والواقع فأيًّا كانت نشأة الدولة العربية الحديثة فإنها بدرجة أو أخرى وصلت إلى أزمة خطيرة نرصد تبعاتها في قوس الأزمات سواء كانت الأزمة بدافع خارجي كما العراق وفلسطين واليمن أو لتفاعلات داخلية في الأساس تأخذ أبعادا دولية بحكم العولمة السياسية كما في لبنان والسودان والصومال، ولكن في نفس الوقت، ثمة من يرى أنه في عصر السرعة والعولمة والتكنولوجية المتطورة والثورة المعلوماتية، فإن التطور يحصل بوتيرة متسارعة، فما تحقق في أوربا خلال ثلاثة أو أربعة قرون يمكن أن يتحقق

في منطقتنا خلال ثلاثة عقود،لذا فإن ما يجري من صراع دموي في المنطقة، هو المخاض العسير لولادة الدولة الديمقراطية الجديدة.

فشل قومي وليبرالي

وتواجه الدولة الوطنية اليوم عدة تحديات يمكن بلورتها في:

أولا: فشل النماذج الثورية ذات الطابع القومي في الحفاظ على الإنجازات التي تحققت، ففي مصر وسوريا والعراق واليمن والجزائر وحتى ليبيا قامت نظم ثورية بغرض التحرر من الاستعمار وبناء دولة حديثة ذات طموح وحدوي، لكن المجازر التي جرت في العراق ١٩٥٨ بين البعثيين والناصريين والماركسيين مهدت لفشل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا وانتهى الحلم على بوابة نكسة٦٧ بارتداد مصر إلى الداخل سعيا لإزالة آثار العدوان على أسس جديدة حددها بيان ٣٠ مارس٦٨، وبداية صعود التيار الإسلامي الذي لا يعترف بالدولة الوطنية قدر طموحه إلى الدولة الإسلامية أو دولة الخلافة، وحدث انهيار في الدولة العراقية التي رافقها طموح قومي بعثي بأنها ستكون قاطرة الأمة بعد تراجع الدور القيادي العربي لمصر في الحقبة الساداتية غير أن العراق بدلا من أن تكون بوابة الوحدة صارت تعاني خطر التقسيم إلى دويلات ثلاث، وبات الحوار في بغداد عن حصص سياسية لها أبعاد طائفية وتقسيم للثروة الوطنية النفطية حيث يحصل الأكراد على ١٧٪من عائدات النفط وتوقع حكومة إقليم كردستان اتفاقات مع شركات نفطية عالمية من دون الرجوع إلى السلطة المركزية ولا البرلمان العراقي، وتشير دراسة قام بها مركز دراسات الأهرام القاهرية عن القومية العربية ومسئوليتها لما آل إليه الوضع في المنطقة العربية فتقول: «إن القومية العربية تتحمل مسؤولية كبرى، بل مسؤولية أولى، عن التدهور الذي آل إليه النظام الإقليمي العربي في نهاية القرن العشرين، فهذا يرتبط بالأساس اللاديمقراطي، بل المعادي للديمقراطية، الذي قامت عليه.» (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، التقرير الإستراتيجي العربي ١٩٩٩، القاهرة يناير ٢٠٠٠).

وبطبيعة الحال هناك رأي آخر يؤكده القوميون بأنه لولا وجود النظم القومية الناصرية والبعثية لتفرق الوطن العربي إلى ٥٢ كيانا سياسيا حسب إحدى الدراسات الأميركية. وأنه رغم الانتقادات الموجهة إلى الفكر القومي إلا إنه كان صمام أمان ضد مخططات تفتيت المنطقة بدليل أن هذه المخططات لم تعلن إلا في زمن تراجع المد القومي.

ويتهدد الجزائر اليوم بخطر الجماعات المتطرفة فضلا عن البربر،وفي المقابل لم ينجح النموذج الليبرالي في إنضاج دولة حديثة لأسباب تتعلق بقوة المركز الرأسمالي العالمي وهيمنته على النظم ذات المنهج الليبرالي، وهذا ما نرصده في بلاد المغرب العربي حاليا.لكن الباحث الليبرالي العراقي د.عبد الخالق حسين يختلف مع هذا الرأي ويرى أن الليبرالية جديدة على شعوب المنطقة ومازالت في مراحلها الأولية، حيث بدأت في أوائل القرن الماضي مع تأسيس الدولة العراقية باستحياء، وواجهت مقاومة عنيفة منذ ولادتها من قبل السلطة والمجتمع المتشرب بالتقاليد والأعراف القبلية، وهذا أمر طبيعي في تاريخ التطور الفكري والسياسي والاجتماعي، لأن أسس بنيان الدولة الحديثة ذات المضامين البرجوازية مع الإصلاحات في أواخر العهد العثماني، وظهرت معالمها واضحة للعيان في عهد الانتداب وما بعد الاستقلال.

قبل ذلك قامت الدولة الحديثة في أوربا نتيجة انتصار الرأسمالية الساحق على الإقطاعية. أما في مشرقنا العربي، وكان جزءاً من الدولة العثمانية، فإن الدولة الحديثة بدأت تتكون في أحضان النظام الإقطاعي بشكله الجديد المتلائم مع بداية انتشار الرأسمالية الضعيفة والتابعة للرأسمال الأوربي. ولهذا كان للدولة الحديثة العثمانية ووريثتها الدول العربية (السورية، اللبنانية، الأردنية، العراقية وكذلك المصرية).

تيارات لا تعترف بالدولة الوطنية

ثانيا: نمو النزعات اليمينية الأصولية التي غذت الطابع المذهبي أو الطائفي في التعامل مع باقي مكونات الدولة، بل والعمل على تدمير شرعية الدولة، وفي ظل إغراءات أميركية وصهيونية عملت على تغذية أسباب الصراع، وحين ننظر للتيارات

الإسلامية لمعرفة ما هي أهدافها وأسباب نشوئها نجد أن معظمها يسعى لإقامة الحكومة الإسلامية- الخلافة- الإمارة فمهما اختلفت التسميات فالهدف واحد، وهو السير على نهج الخلافة الراشدة، وهو ما يعني نفي الدولة الوطنية التي لا تزال تبحث لنفسها عن موقع في ظل تهديدات داخلية وخارجية بالتقسيم.

أزمات من إنتاج التيار الإسلامي

واقع الحال أن التيار الإسلامي المتطرف لا يعترف بالدولة الوطنية ذات الحدود والتي يحكمها القانون والدستور وعمادها المساواة بين المواطنين، في حين أن الدولة التي تتبنى منهجا إسلاميا وسطيا تحافظ بالضرورة على مقومات ومكونات الدولة الوطنية بما تحتويه من أقليات.

وهنا يقول د.عبد المنعم سعيد: (من يلاحظ الدول التي حكموا أو تحكموا فيها سوف يجد أنهم قد دمروها تدميرا شديدا، ومن يلاحظ شؤون أفغانستان قبل غزو حلف الأطلنطي، والسودان قبل أزمة دارفور، والصومال قبل دخول القوات الإثيوبية، ولبنان وفلسطين مؤخرا، سوف يجد إلى أي حد مزقت هذه الجماعات المعتدلة والراديكالية النسيج السياسي للوحدة السياسية سواء كانت دولة أو حركة وطنية. فعندما وضعت هذه الجماعات الدين معيارا للمواطنة حينما قالت «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» فإنها نسفت من الأساس الفكرة التي تقوم عليها الجماعة السياسية التي لا يمنح فيها طرف ما تجب عليه الأحوال مع أطراف أخرى. وعندما جعلت هذه الجماعات ولاء المواطنين ليس إلى الدولة التي تعني سلطة مركزية ذات سيادة على شعب موجود على رقعة جغرافية بعينها وإنما إلى الأمة الإسلامية المترامية الأطراف، فإنها جعلت الدولة هامشية أو لا وجود لها أو مجرد غزوة ناجحة تنتظر بقية الفتوحات والغزوات.

استبداد على الطريقة العثمانية

ثالثا: أن الدولة الوطنية العربية التي تأسست في ظل الاستعمار بعد سقوط الخلافة

العثمانية (العراق ١٩٢١ مصر ١٩٢٢ وسوريا ولبنان) لم تكن خالية من الشوائب بل حملت أمراضها المترتبة على النشأة في أحضان الاستعمار من جهة، وتناقضات القيادات وصراعاتها من جهة أخرى، واتسمت بصفات يرصدها الباحث عبد الله حنا على النحو التالي:

* استمرار مفاهيم الدولة السلطانية (المملوكية والعثمانية) في نسيج الدولة العربية الحديثة وخلاياها. وهذا أدى إلى طبع هذه الدولة بسمات الدولة السلطانية المترعة بطبائع الاستبداد، التي تحدث عنها الكواكبي، والتي لا نزال نعيش صورا جديدة منها. وكمنت الجذور التاريخية للطائفية السياسية في نظام الملة العثماني الذي قضى بأن ينظم جميع الرعايا العثمانيين من غير المسلمين في طوائف مستقلة يرعى شؤونها رجال الدين وتخضع لسلطتهم القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية. في الحقيقة لم تـأت الطائفية السياسية من التعدد الإثني والعرقي والمذهبي بل من سلوك السلطات الحاكمة، والقوى السياسية المتنفذة، ومن طبيعة المعادلات السياسية التي تتحكم في عقول الحكام.. وهي معادلات تقوم على فكرة التفرد في السلطة وتحويل الناس إلى خول وعبيد وتابعين.. والعبث الطائفي نابع من هذه المعادلات الصبيانية المدمرة في مسعى لتمزيق النسيج المنطقي للأحداث كي لا يجري الإمساك بالأسباب والمبررات فتهوي وتضيع في غموض الصدفة والوعي.. وبتزاوج ظاهرتي التعصب والتطرف بالمغالاة السياسية والفكرية والمذهبية والدينية يفتح العبث الطائفي الأبواب مشرَعة للإرهاب الطائفي. التطرف الطائفي مرحلة سيئة وضارة للتعصب المركب، الأيديولوجي والقومي والديني والطائفي، والتربة الصالحة لإنبات الإرهاب والفاشية والمظاهر الاجتماعية المعادية للتقدم الإنساني!

ويترافق العبث الطائفي عادة مع الأصولية أي النهج الذي يبرر النكوص إلى الماضي وتقديسه ونفيه وتفريغه من محتواه بدعوى تجاوزه والانتقال من أصولية مقنعة إلى أصولية سافرة أو الموقف الجامد الأيديولوجي الرجعي الذي يتحجم مع إطلاق العنان للفكر وتحريره من أسر الأدلجة والسير الواقعي بعيدا عن التصورات السابقة..

إن الطائفية علاقة تاريخية للتراتب الاجتماعي المركب وانتظامه المتجدد على الصعيدين السياسي والأيديولوجي وفق الآلية الداخلية الخاصة بالنظم المركزية القائمة.

* التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي كرسه الاستعمار منذ دخوله إلى البلاد العربية، من خلال تفشي الأمية بمعدلات عالية، والجهل بالتقاليد البرلمانية ووسائل التمثيل النيابي، وعدم نضج المؤسسات الديمقراطية، إلى جانب انقسامات الأحزاب السياسية، وآثار التدخل الأجنبي في اقتصاديات البلاد عن طريق الأحلاف والقروض لذا توجب الأخذ بالاحتياطات اللازمة لسد الطريق أمام الدسائس والمؤامرات الاستعمارية، والعمل السريع لرفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للشعب العربي.

الارتباط بالنموذج الأوروبي

* تأثر قيام الدولة العربية الحديثة تأثراً واضحاً بنموذج الدولة الحديثة البورجوازية الأوربية.

وأدى التعايش بين الإقطاعية (حاملة المجتمع الأهلي) والرأسمالية المهيضة الجناح (حاملة المجتمع المدني)، إلى تعايش المجتمعين الأهلي والمدني مع رجحان كفة الأول. فالمجتمع الأهلي وريث العلاقات ما قبل الرأسمالية وربيب الدولة السلطانية بقي محافظاً على كيانه ومقومات وجوده. أما المجتمع المدني (بأحزابه ونقاباته ونواديه) المستند إلى التطورات الرأسمالية والتأثيرات الحداثية الخارجية فبقي مجتمعاً مهيض الجناح تهزّه زلازل الدولة السلطانية المتفجِّرة من أعماق المخزون المملوكي - الإنكشاري، وتقذفه بحممها براكين العشائرية والطائفية.

وهكذا فإن الدولة العربية الحديثة ذات البنية البورجوازية تختزن في شرايينها كثيراً من سمات الدولة السلطانية (المملوكية العثملية). ولا تختلف عن غيرها من دول العالم قديمه وحديثه من حيث طابعها الاجتماعي (الطبقي) المسخّر لهذه الفئة الاجتماعية أو تلك. ولا بد من القول إن طابع (الدولة المزرعة)، لعدد من الدول العربية، يعرقل من

عملية قيام دولة حديثة عصرية بأدواتها وفكرها، ويؤخّر عملية التنمية، التي تنشدها سائر الأقطار العربية.

والخلاصة هي أن الدولة العربية الحديثة تحمل بين جنباتها معالم العصرنة والحداثة وبذور التطور من جهة، وتختزن في نسيجها كوابح المورث الاستبدادي السلطاني (المملوكي العثماني) من جهة أخرى، أما الجوانب المشرقة النيّرة والعقلانية من تراثنا العربي الإسلامي فتسعى قوى (التسلط) و(التطرف) إلى دفنها في الرمال، أو تحريف جوهرها والابتعاد عن تيارات العقلانية، التي أبدعت يوماً ما الحضارة العربية الإسلامية المزدهرة قبل قيام الدولة السلطانية.

الفصل الثاني عشر

١٢

ما العمل؟

* حماية الدولة الوطنية وتحقيق الاستقرار الداخلي عناصر هامة في المواجهة.

* العمل العربي المشترك تحت مظلّة «الجامعة العربية» ومنظمة «التعاون الإسلامي» جدارٌ هامٌّ لمواجهة خطر التفتيت.

في نهاية هذا الكتاب لا بد وأن نقرر مجموعة من الحقائق، وهي أن وجود مخططات أجنبية لتقسيم الوطن العربي لا يخفي حقيقة وجود عوامل داخلية تشجع على تمرير وتنفيذ هذه المخططات، فاللعب على النعرات الطائفية أو الخلافات المذهبية لا يمكن أن يتحقق إلا في وجود عناصر ومؤثرات تدفع في اتجاه التفتيت والتقسيم والترهل في بنية الدولة، وليس هناك إلا حل واحد هو اعتماد أسس بناء الدولة الحديثة وحماية مقومات الدولة الوطنية التي تتعرض إلى كافة أشكال الهدم والتقويض، ومن ثم فإن بناء المجتمع العربي الديمقراطي، وإقرار مبادئ العدالة الاجتماعية، وحماية حقوق الإنسان تشريعيا وتنفيذيا والحرص على تطوير التعليم والبحث العلمي كلها مقومات أساسية لبناء الدولة العربية الحديثة التي تعلى من شأن مبدأ المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات وترسخ قيم سيادة القانون.

ولا يختلف أحد على وجود أطماع خارجية أميركية وأوربية وصهيونية على منابع النفط العربية، وكذلك الوضع الجغرافي المتميز للأمة، ناهيك عن فكرة منع الدول العربية من النهضة والنمو، وهي تمتلك قاعدة إيمانية حققت ذات يوم أكبر حضارة إنسانية مرتبطة بالقيم الإسلامية، وهو ما اعترف به برنارد لويس أكثر من مرة في كتبه مؤكدا أن العرب والمسلمين حققوا نهضة وتقدما في وقت كانت أوروبا تغرق في بحر الظلمات.

هذا هو الحال والجرح يجمع أبناء الأمة الإسلامية كما يقول شوقي:

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح وأن نلتقي على أشجانه

والبديل هو الوحدة والتكامل والتضامن، لقد عشنا الوحدة الإسلامية حلما نبويا (مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) وعشنا الوحدة العربية حلما قوميا، وقد تراجع الحلم كثيرا حتى بتنا نطالب بالدفاع عن الدولة الوطنية، وعن تماسك البناء الداخلي في كل دولة وليس التقدم إلى الأمام في اتجاه وحدة حققها الأوربيون بينما العرب ما زالوا يراوحون مكانهم في الدفاع عن دولتهم القطرية.

من هنا تأتي فكرة التفتيت عند برنارد لويس مرتبطة بإجهاض أي مشروع قومي أو عروبي أو إسلامي للنهوض بالأمة العربية بل إن فكرة الأمة العربية والوطن العربي هي صلب وهدف مشروع التقسيم، الذي اتخذ أسماء متنوعة لاسيما في تعابير السياسة الخارجية الأميركية، واللافت أن هذا التركيز الأميركي الصهيوني لتقسيم الوطن العربي تزامن مع تدشين مشروع خط أنابيب النفط (باكو تبليسي جيهان)، في شرق البحر الأبيض المتوسط، كما أن عبارة «الشرق الأوسط الجديد» وصلت إلى أوجها، في تصريحات وزيرة خارجية أميركا ورئيس وزراء إسرائيل، في عز الحصار الإسرائيلي للبنان في العام ٢٠٠٦، بدعم أنجلو أميركي، يوم أبلغ أولمرت ورايس وسائل الإعلام العالمية أن «مشروعاً لخلق شرق أوسط جديد، قد انطلق من لبنان».

هذا الإعلان شكل -وما زال- تأكيدا لوجود «خريطة طريق عسكرية»، إنجليزية-أميركية- إسرائيلية، في الشرق الأوسط. هذا المشروع الذي كان في مراحله التحضيرية منذ سنوات عدة يقضي بخلق قوس من عدم الاستقرار، والأزمات والفوضى، والعنف، يمتد من لبنان إلى فلسطين وسوريا والعراق، والخليج العربي وإيران وصولا إلى حدود أفغانستان الشرقية والشمالية، مرورا بدول شمال إفريقيا.

ومشروع «الشرق الأوسط الجديد» جرى الإعلان عنه رسمياً من قبل واشنطن وتل أبيب، وسط توقعات خلاصتها أن لبنان سيكون نقطة الضغط لإعادة تصحيح الشرق الأوسط بكامله، وبالتالي لإطلاق قوى «الفوضى البناءة». هذه الفوضى البناءة، التي أسفرت عن أعمال عنف وحروب في المنطقة، سوف يتم استخدامها على مراحل متقاربة، بشكل يمكن الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، من إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بما يتناسب مع حاجاتها وأهدافها الجيو- إستراتيجية.

لقد اتفق برنارد لويس مع ماقاله البروفسور مارك ليفاين.. قال في حينه إن المحافظين الجدد في إدارة جورج دبليو بوش، يرون أن «التدمير الخلاق» يؤدي إلى خلق «نظامهم العالمي الجديد»، وأن هذا التدمير «يشكل قوة ثورية واسعة النطاق».. وقد بدا أن الاحتلال الأنجلو أميركي للعراق، خصوصا كردستان العراق، كان تحضيرا لعمليات

البلقنة (التقسيم) و«الفلدنة» (من فنلندا)، أي إحلال السلام في الشرق الأوسط، ومشروع تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء خير دليل على ذلك.

إلى ذلك ظهر أن خريطة الطريق العسكرية الأنجلو أميركية كانت تستهدف أيضا إيجاد مدخل إلى آسيا الوسطى عن طريق الشرق الأوسط. فهذا الشرق الأوسط وأفغانستان وباكستان، تشكل معاً المداميك الأساسية لتوسيع النفوذ الأميركي إلى داخل الاتحاد السوفيتي السابق، والجمهوريات السوفيتية السابقة في آسيا الوسطى. وهكذا، ومنذ أواسط العام ٢٠٠٦، بدأت خريطة ملامح مجهولة نسبيا للشرق الأوسط، شيئا فشيئا، في دوائر الناتو الإستراتيجية، وسمح لها، بين حين وآخر، بالظهور إلى العلن، وذلك ربما للحصول على الإجماع أو التوافق، ولتحضير الرأي العام، بهدوء، للتغييرات المحتملة، والتي قد تقلب الأمور رأسا على عقب، في الشرق الأوسط. وكانت هذه خريطة لشرق أوسط أعيد رسم حدوده وهيكليته، تحت اسم «الشرق الأوسط الجديد».

توسيع خريطة سايكس بيكو ٢

ومن المؤكد أن إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وتقسيمه، ابتداء من الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، في لبنان وسوريا، الأناضول (في آسيا الصغرى)، مرورا بشبه الجزيرة العربية، والخليج العربي، والهضبة الإيرانية، وصولا إلى مصر والسودان ودول شمال إفريقيا، يعكسان أهدافا اقتصادية وإستراتيجية وعسكرية واسعة، تشكل جزءا من أجندة أنجلو- أميركية- إسرائيلية قديمة في المنطقة.

وفي الواقع يلاحظ أن أفغانستان، التي تخضع لسلطة قوات حلف الناتو قد تقسمت على الأرض. كما أن العداوات القوية قد زرعت في الشرق العربي، خصوصا في فلسطين ولبنان. ولا يزال الغرب يبذل مساعيه لبث الشقاق في سوريا وإيران، وتعمد وسائل إعلامه على قاعدة شبه يومية، إلى تسريب أخبار عن أن الشعب العراقي لم يعد قادرا على التعايش السلمي بين المذاهب والطوائف والإثنيات، وأن الأزمة ليست بسبب الاحتلال الأميركي، بل بسبب «حرب أهلية» تغذيها النزاعات القائمة بين الشيعة والسنة والأكراد.

وبالعودة إلى بريجنسكي، مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق نذكر بأنه صرح في العام ١٩٩١، والحرب العراقية الإيرانية في أوجها «أن المعضلة التي ستعانيها الولايات المتحدة من الآن وصاعدا هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الحرب بين العراق وإيران، وتستطيع أميركا، من خلالها، تصحيح حدود «سايكس بيكو»».

عقب هذا التصريح، وبتكليف من وزارة الدفاع الأميركية، بدأ المؤرخ الصهيوني الأميركي برنارد لويس وضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية كل منها على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العِرْقِية والدينية والمذهبية والطائفية. وقد أرفق مشروعه المفصل بمجموعة من الخرائط المرسومة بإشرافه، وبموافقة البنتاغون، وتشمل عددا من الدول العربية (والإسلامية) المرشحة للتفتيت، وذلك بوحي من مضمون تصريح بريجنسكي الذي دعا إلى تصحيح حدود سايكس بيكو، بما يتناسب مع المصالح الأميركية الصهيونية، وتضمن هذا التصور أن تقوم واشنطن بإعطاء العرب وعدا «كوعد بلفور» بإقامة دولة فلسطينية يتم رسم حدودها بالاتفاق مع «إسرائيل» بشرط أن تحفظ الدولة الفلسطينية لإسرائيل كل ما يلزم لتحقيق الأمن القومي للدولة العبرية، بما في ذلك إعلان يهودية الدولة أي طرد مليون فلسطيني من عرب ٤٨ إلى الضفة الغربية ومنافي عربية أخرى.

في جانب آخر، يؤكد الخبراء والباحثون الأميركيون، وعلى رأسهم جيمس زغبي رئيس المعهد العربي الأميركي، أن الثورات العربية نجحت في وضع حد للأساطير التي رعاها المحافظون الجدد وأمثالهم، وحافظوا عليها لمدة طويلة، والخاصة بتقسيم وتفتيت المنطقة. ويؤكد زغبي: أن «الثورات العربية» نجحت في إطلاق مشاريع التقسيم التي

قادتها الولايات المتحدة والغرب والكيان الصهيوني، وأحدثت صدمة وهزة في المنطقة، ونشرت في ربوعها الفوضى تمهيداً لإقامة شرق أوسط جديد.

وعند الخبير العربي في الشؤون الأميركية صبحي غندور: (لعلّ أبرز هذه المضامين، بالرؤية الأميركية للشرق الأوسط الجديد، ضمان التحكّم مستقبلاً في منابع النفط كأحد أهمّ مصادر الطاقة الدولية لعقود عديدة قادمة، خاصّة وأنّ المنافسين الجدد للقطب الدولي الأوحد الآن يعتمدون في نموّ اقتصادهم على نفط الشرق الأوسط.

ولأنّ التواجد العسكري الأميركي في المنطقة لا يكفي وحده من أجل تحقيق الرؤية الأميركية المستقبلية للشرق الأوسط، فإنّ عناصر ثلاثة يتوجّب توفّرها بشكل متلازم مع الوجودين العسكري والأمني:

١ - تغيير التركيبة السياسية القائمة في معظم دول العالم الإسلامي لتصبح مبنيّةً على مزيج من آليات ديمقراطية وفيدراليات إثنية أو طائفية،وهذا هو مشروع برنارد لويس الذي مر في الأمة العربية كما تمر السكين في الزبد.

فالديمقراطية لو تحقَّقت، دون التركيبة الفيدرالية (التي ستكون حصيلة تعزيز المشاعر الانقسامية في المجتمع الواحد)، يمكن أن توجد أنظمة وحكومات تختلف مع الإرادة أو الرؤية الأميركية، كما جرى مع بعض بلدان أوروبا الغربية أو مع الحكومة التركية بشأن العراق.

أيضاً، فإن إثارة الانقسامات الإثنية أو الطائفية، دون توافر سياق ديمقراطي ضابط لها في إطار من الصيغة الفيدرالية، يمكن أن يجعلها سبب صراعٍ مستمر يمنع الاستقرار السياسي والاقتصادي المنشود بالرؤية الأميركية، ويجعل القوات الأميركية المتواجدة بالمنطقة عرضةً للخطر الأمني المستمر في ظلّ حروب أهلية مفتوحة.

إضافةً إلى أنّ التركيبة الفيدرالية القائمة على آليات ديمقراطية ستسمح للولايات المتحدة بالتدخّل الدائم مع القطاعات المختلفة في داخل كلّ جزء من ناحية، وبين

الأجزاء المتحدة فيدرالياً من ناحية أخرى.

٢- التركيز على هوية شرق أوسطية كإطار جامع للفيدراليات المتعددة المنشودة في بلدان المنطقة العربية والعالم الإسلامي، إذ أنّ العمل تحت مظلّة «الجامعة العربية» أو «المؤتمر الإسلامي» يمكن أن يؤدّي مستقبلاً إلى ما ليس مرغوباً به أميركيّاً من نشوء تكتلات كبرى متجانسة ذات مضامين ثقافية متباينة مع الرؤية الأميركية، كما حدث ويحدث في تجربة الاتحاد الأوروبي، رغم وجود القواعد العسكرية الأميركية في أوروبا، ورغم وجود حلف الأطلسي والانتماء المشترك لحضارة غربية واحدة.

لهذا يدخل العامل الإسرائيلي كعنصر مهم في الشرق الأوسط الكبير المنشود، إذ بحضوره الفاعل، تغيب الهويّتان العربية والإسلامية عن أيِّ تكتّل إقليمي محدود أو شامل.

٣- العنصر الثالث المهم، في هذه الرؤية الأميركية للشرق الأوسط الجديد، يقوم على ضرورة إنهاء الصراع العربي/ الإسرائيلي من خلال إعطاء الأولوية لتطبيع العلاقات العربية مع إسرائيل، وقبل تحقيق التسوية الشاملة التي تتطلّب حسب المنظور الأميركي سنوات عديدة. وتجد الإدارة الأميركية أنّ تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية سيدفع الأطراف كلّها إلى التسوية والقبول بحدود دنيا من المطالب والشروط، كما أنّه سيسهّل إنهاء الصراعات المسلّحة حتى من غير تسويات سياسية شاملة، وسيساعد على وقف أيّ أعمال مسلّحة في المنطقة، سواء أكانت تحت شعار مقاومة الاحتلال الإسرائيلي أم ضدّ التواجد العسكري الأميركي في المنطقة. فالرعاية الأميركية لإنهاء الصراع العربي/ الإسرائيلي من شأنها أن تجعل التواجد العسكري الأميركي، ولو بأشكال محدودة، أمراً مطلوباً وليس فقط مقبولاً، كما هو الحال في الصيغ المطروحة لمستقبل الضفّة الغربية وغزّة.

ديمقراطيات مشروطة أميركيًا

إذن، كخلاصة لما يمكن أن تكون عليه الرؤية الأميركية للشرق الأوسط الكبير الجديد، فإنّ واشنطن تريد ديمقراطيات سياسية في المنطقة، لكن ليس إلى حدّ الاستقلال عن القرار الأميركي. واشنطن تريد صراعات سياسية محلية قائمة على انقسامات إثنية أو طائفية، لكن ليس إلى حدّ الحروب الأهلية المفتوحة. واشنطن تريد صيغاً فيدرالية جامعة لأجزاء في كلّ وطن، لكن ليس إلى حدّ الانصهار الوطني الكامل. واشنطن تريد إنهاء الصراع العربي/ الإسرائيلي، لكن ليس إلى حدّ التعامل مع القضايا النهائية الشائكة وتحقيق التسويات الشاملة الآن. واشنطن تريد التواجد العسكري والأمني في بلدان المنطقة، ولكن ليس إلى حدّ التورّط بأوضاع حروب داخلية استنزافية أو الاضطرار لإبقاء قوات كبيرة العدد إلى أمد مفتوح.

ولعلّ ملامح هذه الرؤية تفسّر المواقف الأميركية من عدّة حكومات وقضايا عربية. فالعراق والسودان مثلاً يسيران على النموذج الديمقراطي/ الفيدرالي المرغوب أميركياً. أمّا سوريا ولبنان، فإنّ هناك تطوّرات تحدث فيهما، قد تدفع باتجاه العناصر الثلاثة الكامنة في الرؤية الأميركية للشرق الأوسط.

لكن من المهم الإشارة إلى أنّ الضغوط الأميركية على دول المنطقة العربية والعالم الإسلامي لا تحصل من أجل تنفيذ مضامين الرؤية الأميركية دفعة واحدة في كلِّ البِلدان، أو بشكل أولويات واحدة يتمّ تطبيقها على الكلِّ .. فهناك اختلاف في الظروف تتباين على أساسها الأولويات، بحيث تكون الضغوط على بلد أو أكثر من أجل التطبيع مع إسرائيل، بينما تكون الضغوط على بلدٍ آخر أو مجموعة أخرى من أجل المسألة الديمقراطية/ الفيدرالية (كما حدث مع الحكم في مصر قبل الثورة)، أو الضغط على أطراف أخرى لتسهيل عملية إنهاء الصراع مع إسرائيل ووقف الأعمال المسلّحة (كحال الضغوط على إيران وسورية مثلاً).

لقد ظلت أمريكا تلعب الشطرنج، وتحرك حجارة الحكم في بعض مراكز القرار

العربي وحيدة، وسعت إلى تبني سياسات مؤدية إلى زيادة التبعية والاستقطابية في السياسة الخارجية لصالح قوى الخارج الغربي الأميركي، الذي ظل يسعى منذ عام١٩٥١ لجعل إقليم الشرق الأوسط ضمن المنظومة الأمنية الامتدادية لحلف الناتو حتى جاء الربيع العربي وأفرز قيادة عربية إسلامية موحدة، تتعامل مع القوى الدولية بندية، ولسان الجميع يقول مات «سايكس» مع شقشقة الربيع العربي المسلم، واندفن «بيكو» تحت أحذية الوفد الإسلامي العربي الموحد، أو هكذا نتمنى.

الفصل الثالث عشر

١٣

نظريات لويس والربيع العربي ونهاية عصر الديكتاتورية العربية

* الغرب أنتج أنظمة ديكتاتورية وشجعها ومنها صدام والقذافي ومبارك.

* إسرائيل وتركيا ونهضة المرأة أبرز محركات المستقبل العربي.

* العرب ينتقدون العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين وينسون العنف العربي ضد العرب.

هل ثمة علاقة بين أفكار برنارد لويس وما جرى ويجري في الوطن العربي لجهة ما يسمى «الربيع العربي»؟

وهل خطة تقسيم الوطن العربي من جديد إلى حد التفتيت لها علاقة بالثورات العربية في المشرق العربي والتي وصلت إلى اليمن؟

من المفيد بل الضروري هنا العودة إلى كتابه (نهاية التاريخ الحديث في الشرق الأوسط) (the end of modern history in the middle east) وتُطرَح من خلال هذا الكتاب أفكارٌ قد نرى صداها فيما يعرف الربيع العربي ويترك القارئ بين حيرة التنبؤات أو المؤامرة من هذه الأفكار إن ثلاثة عناصر ستساعد العرب في تحقيق الحرية والديمقراطية وخلق شرق أوسط جديد، وهي تركيا وإسرائيل والنساء، ثانياً يعتبر لويس أن الحكام العرب استخدموا التراث والفكر والقومية والعادات لتخدم مصلحتهم ومصلحة نظامهم، لذا نجحت الديكتاتوريات العربية في الاستمرار في الحكم.

ثالثاً يعتقد لويس أنه بقيام الثورات العربية قد تنجح.وتؤدي إلى إنشاء مجتمعات عربية منفتحة ومتسامحة وشبه ديمقراطية لكنها لا ترقى لمستوى الديمقراطية الغربية، وذلك بسبب أن الانتخابات ستؤدي إلى سيطرة الأصوليين الإسلاميين، كما أن لويس يعتقد أن النساء سيلعبن دوراً أساسياً في نهضة العرب والمسلمين إذا قررن وأَرَدْن النهوض والتحرر كما فكرة أن دولاً غير عربية (تركيا أو إسرائيل أو إيران) لن ستساعد العرب في النهوض بسبب أن كل دولة تسعى إلى خدمة مصالحها فقط، فإسرائيل وهي عدو للدول العربية، وفي حال بناء الديمقراطية فإن إمكانية وصول الأصوليين الإسلاميين إلى الحكم لا تعني بالضرورة القضاء على الديمقراطية في حال احترام مبادئ الديمقراطية وقيمها، كما يضيف لويس قائلاً إن الأنظمة العربية الديكتاتورية الحالية لا تريد تحقيق السلام في الشرق الأوسط لأنها تحتاج إلى الصراعات والحروب لتبرر وجودها ويستنتج أن السلام سيتحقق من خلال هزيمة تلك الأنظمة الديكتاتورية، واستبدالها بحكم مختار من قبل الشعب، وأنه سيتعلم العرب والمسلمون من أخطائهم وسيتقبلون الغرب ويقبلون عليه ليتطوروا ويتمدنوا، ويقول لويس إن الوسيلة الإعلامية الأساسية التي سيطرت

على تاريخ العرب والمسلمين هي الشعر قديما واليوم الفضائيات التي حلت وسمحت لأي شخص أن يستغل الإعلام لمصلحته، إن تطور التكنولوجيا وما تتضمنه من وسائل إعلام كالتلفزيون والهواتف المحمولة والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وانتشارها أصبح كل مواطن قابلاً لنشر ما يملك من أخبار وأفكار ومبادئ وأن يختار بحرية المعلومات التي يريد أن تصله بفضل اختياره لقناته الإخبارية أو موقعه أو تلك دون غيرها.

الإعلام وثورة الاتصال وتحرير الشعوب

هكذا حررت التكنولوجيا الشعوب رغم أنها غير كفيلة لوحدها بأن تحقق الديمقراطية، كما أشار إلى دور الجوامع والمدارس إذا كانت وسائل إعلامية قوية وما زالت، هذا الأفكار التي قد تكون خطت في أواخر التسعينيات يهدف بالأساس إلى طموح لويس والغرب في تفتيت الدول العربية والإسلامية إلى دويلات ليسهل سرقة الموارد والسيطرة السياسية وفرض الهيمنة في المنطقة، والعمل على تقسيم المنطقة كاتفاق سايكس بيكو جديد، والملاحظ أنه ما قبل الثورات العربية أن الاحتلال الأمريكي قسم العراق إلى عدد من الدويلات الطائفية والمذهبية وترك وراءه حرباً طائفية خفية، كما حصل لجهة عدم استقرار ليبيا الذي ينبئ بهذه الكارثة، بالإضافة إلى عدم تدخل الدول الغربية أو العربية في سوريا للمساعدة في وقف العنف، ومنع وصول المشكلة إلى حرب وفتن طائفية لا شك ستنتقل إلى دول الجوار ومنها لبنان وإسرائيل.

تحذير من التدخل الغربي

وهو يقول إن الغرب كان يجب في ١٩٥٧ أن يقوم بأقل قدر ممكن من التدخل في الشرق الأوسط باعتبار «أننا في الغرب... يجب أن نكون حذرين من اقتراح الحلول، التي مهما كانت جيدة، فستفقد مصداقيتها لمجرد كونها مطروحة من قبلنا».

كما يكتب عام ١٩٩١ عن «التقاليد الأوتقراطية العنيفة» في العالم العربي وحذر من

أنه «ليس هناك أي ضمانة» بأن أي محاولة للدمقرطة «ستنجح، وحتى لو نجحت فإن أحداً لا يعرف متى سيحدث ذلك وبأي ثمن»، وحتى وقت متأخر هو عام ٢٠٠٢، في لقاء مع صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية، ينقر مرة أخرى على وتر التعقل.

حيث قال: «الديمقراطية خطرة في أي مكان كان. إننا نتحدث أحياناً وكأن الدمقرطة هي الحالة الإنسانية الطبيعية، وكأن أي انحراف عنها هو جريمة تجب معاقبتها أو حتى علاجها لكن هذا ليس صحيحاً، إن الديمقراطية، أو ما نسميه الديمقراطية اليوم، هو عرف للشعوب الناطقة بالإنجليزية في تسييرها لشؤونها العامة، والتي يمكن أن تكون أو لا تكون مناسبة للآخرين».

لكن هذه الأفكار ليست هي التي تثير العاملين في البنتاغون، فهناك برنارد لويس آخر نعثر عليه في هذا الكتاب، شخص آخر أكثر شدة لا يعتقد فحسب أن الولايات المتحدة كانت متساهلة جداً في حرب فيتنام بل وأن الدكتاتوريات في الشرق الأوسط يجب التخلص منها بالقوة.

فالتفاوض مع القادة الثوريين في إيران وغيرهم من المعادين للولايات المتحدة لا معنى له: «مثلما حدث مع دول المحور ومن ثم مع الاتحاد السوفييتي فإن السلام الحقيقي لن يأتي إلا بهزيمتها أو، وهو الأفضل، بانهيارها واستبدالها بحكومات تختارها أو تسقطها شعوبها».

النظرة العنصرية لحقوق الإنسان

وعن علاقة الربيع العربي بتحرير الإنسان العربي وإقرار منهج احترام حقوق الإنسان، نعود إلى مجادلاته مع خصوم أيديولوجيين من أبرزها المجادلة الشهيرة التي دارت عام ١٩٨٢ بين لويس وإدوارد سعيد على صفحات مجلة (نيويورك ريفيو أوف بوكس)، أظهر لويس بصورة منتظمة تمكنه الفائق من الربط بين غياب الديمقراطية السياسية واحترام الحقوق الأساسية للإنسان في التاريخ الإسلامي.

والشاهد أن الاشتباك الفكري بين إدوارد لويس وبين برنارد لويس يعود إلى مساحة

التشكيك في التراث الإسلامي التي ينتهجها لويس فضلا عن الاستعلاء العنصري، ولم يكن انتقاد إدوارد سعيد للاستشراقيين الذين أدرج بينهم لويس منصباً على أنهم كانوا جهلة، وإنما على أنهم كانوا على جانب كبير من الصلف والازدراء للمسلمين، وأخفوا الأجندة السياسية بثقافتهم.ومن الصعب إنكار أن لويس لديه أجندة سياسية خفية.

أما مصدر الازدراء هذا فموضع نظر، وليس هناك سبب للشك في أنه محق حين كتب في مقال ذائع الصيت (أن الإسلام أحد الأديان الكبرى في العالم، ودعني أكن صريحاً حول ما أقصده كمؤرخ للإسلام لا يعتنق هذا الدين. ما أقصده بذلك هو أن الإسلام قد جلب العزاء والسلام لذهن ملايين لا تحصى من البشر ومنح الكرامة والمعنى لحياة بائسة وفقيرة، وعلم الناس من شتى الأعراق أن يعيشوا في أخوة فيما بينهم».

وهذه ليست بكلمات رجل يمقت الإسلام، لذلك يبدو أنه استدرك قيمة ما كتب وتأثيره على المجتمع الإسلامي، و«من الغريب أن لويس عندما أعاد طبع هذا المقال في أحدث كتبه حذف هذه الفقرة».

ولويس يبدو في أفضل حالاته عندما يضع يده على المعايير الغربية المزدوجة في التعامل مع العالم غير الغربي، حيث يشير إلى أن البعض مهووس بالعنف الإسرائيلي ضد العرب، بينما يتجاهلون الوحشية الأكثر فظاعة في التعامل ما بين العرب أنفسهم، وبالمثل فإن هذا البعض يدين الجنرال فرانكو لحكمه الدكتاتوري في إسبانيا، ولكنهم لا يتأثرون كثيراً بالمذابح التي ارتكبها عيدي أمين في أوغندا.

الغرب وصناعة الطغاة العرب

ومن منظور لويس فإن هناك «تفسيرين محتملين لهذا الصمت، يتمثل أحدهما في أن الضحايا البيضاء هي أكثر أهمية بكثير من الضحايا السوداء، وأن خمسة من الأسبان يعادلون في أهميتهم ألوف الأوغنديين.

والتفسير الثاني هو أن المعايير الأعلى للسلوك متوقعة من الأوروبي حتى من جانب حكومة فاشية أسبانية بأكثر مما هي متوقعة من حاكم إفريقي، وأي من هذين التفسيرين

من شأنه أن يشير إلى موقف عنصري بالغ العمق».

وعلى الرغم من ذلك عندما يتعلق الأمر بالسياسة، فإن ذهناً أكاديمياً كبيراً يقوم بدراسة امتدادات كبيرة من التاريخ، كأنما يطل من قمة جبل الأولمب كان في بعض الأحيان يتجاهل أموراً أقرب إلى الأرض، فقد لعبت الحدود الاستعمارية التعسفية والانقلابات التي هندستها المخابرات البريطانية والأميركية، والتلاعب الغربي بالطغاة المحليين بمن فيهم صدام حسين والقذافي ومبارك لعب كل ذلك دوراً في إنشاء دول فاشلة وطغاة مخفقين، ولويس لا يستفظع هذا كله على نحو يقل عن استفظاع منتقديه للأنظمة الديكتاتورية التي دمرت الحياة المتحضرة في جانب كبير من الشرق الأوسط.

ولكن كتاباته تبطئ الانطباع بأن الامبريالية الفرنسية والبريطانية والتدخلات الأميركية والقهر الإسرائيلي للفلسطينيين هي مجرد أعذار لإخفاقات المنطقة السياسية، وهو يشير إلى أن الأسباب الحقيقية للتشوش الراهن في الشرق الأوسط هي أسباب أعمق وأقدم وأوسع نطاقاً.

التحليل العنصري للتاريخ

وفي مقال شهير نشره لويس في مجلة «أتلانتك مونثلي» في ١٩٩٠ وأعيد طبعه في أحدث كتبه، نراه يتحدث عن حنق المسلمين والحجة التي يختزلها هذا الاصطلاح تمضي على النحو التالي بشكل تقليدي: «إن الصدام بين المسيحية والإسلام قد استمر منذ دخل المسلمون سوريا وشمال إفريقيا والأندلس.

والمسلمون في قمة مجدهم في القرن العاشر في القاهرة أو القرن الثالث عشر في طهران أو القرن السادس عشر في اسطنبول نظروا إلى أنفسهم باعتبارهم أسمى كثيراً من المسيحيين واليهود الذين يعيشون بينهم والذين تم التسامح معهم باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، غير أنهم، كما يقول لويس، أي المسلمين «تعرضوا لعدة مراحل من الهزيمة». الأتراك وصلوا فيينا عام ١٦٨٣ لكنهم لم يتمكنوا من تجاوزها إلى ما بعدها.

وحين وسع الغرب الناشط إمبراطورياته، تفشت الأفكار الغربية.وهيمنت وسحبت

البساط من العالم الإسلامي، وكان شيئاً بالغ الإهانة للمسلمين أن يتعرضوا للهزيمة على يد المسيحيين واليهود (الصليبيين و«الصهاينة»). والأساليب التقليدية التي حققت مجداً سابقاً في الماضي تداعت وقضت عليها التجارب التي أسيء توجيهها في الماركسية والفاشية والاشتراكية القومية، ومن قلب الفشل السياسي والثقافي جاء حنق المسلمين هذا الموجه ضد الغرب.

دولة الخلافة بين الوهم والحقيقة؟

ومن قلب هذا الحنق جاءت المحاولات العنيفة لإنشاء خلافة حديثة من خلال ثورة عنيفة، أطلت على العالم في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ بالهجوم على البرجين في أميركا وثبت أن نقطة الانطلاق لبناء الخلافة الإسلامية هي إضعاف الإمبراطورية الغربية (كان لويس وليس هنتنغتون هو الذي اخترع اصطلاح «صدام الحضارات»).

وقد قال لويس بعد هجمات ١١ سبتمبر: «بمعنى ما من المعاني فإنهم كانوا يكرهوننا منذ قرون، ومن الطبيعي للغاية أنهم ينبغي أن يكرهونا.فهناك هذا التنافس الذي دام ألف عام بين دينين عالميين، والآن من منظورهم فإن الديانة الخاطئة هي التي تفوز».

هذا التحليل العريض يثير أسئلة معينة، فأولاً من هو على وجه الدقة «المسلم»؟ لقد كانت آخر ثورة إسلامية هي تلك التي كانت في إيران ولكن الحنق الذي يصفه لويس يبدو أنه مقتصر بصفة أساسية على العرب. وتركيا وإيران لا يمكن حقّاً أن توصفا بأنهما دولتان فاشلتان والحكم الحالي في إيران لم ينبع من غضب ديني عميق، وإنما كما يقول لويس من حركة ثورية حديثة ساندها الإيرانيون الذين لم يكونوا متدينين بصفة خاصة. فهنالك شيء في تحليل لويس لنزعة التطرف الإسلامية يذكر المرء بالنظريات التي تدور حول الرايخ الثالث والتي تشدد على وجود خط ممتد من لوثر إلى هتلر.

ويزعم لويس أن نقص الفصل بين المؤسسة الدينية والدولية هو أساس الثورات الإسلامية. ولكن في الدول الإسلامية غير العربية. مثل اندونيسيا وماليزيا فشل المنظرون الأيديولوجيون حتى الآن في تحقيق مثل هذا الانطلاق قدماً. بل إن المسلمين

الأكثر براغماتية في اندونيسيا حريصون على فصل الدين عن السياسة.

وتشبث لويس بأن الصدام الذي يدوم ألف عام بين الإسلام والمسيحية يدفعه إلى مد طروحاته على نحو تتجاوز معه العقول. فهو يركز على تقارير الصحف اليوغسلافية التي تتحدث عن المسلمين الشبان في سراييفو الذين يحاولون إنشاء جمهورية إسلامية في البوسنة مستلهمين التجربة الإيرانية، غير أنه أياً كان ما قالته الصحف اليوغسلافية فإن معظم مسلمي البوسنة قد أثارت حميتهم النزعة الوطنية ولم يكونوا يرغبون في أن يسحقهم الصرب ووصف هذا التوجه بأنه حنق إسلامي هو أمر غريب تماماً كوصف النزعة القومية الصربية بأنها حنق أرثوذكسي.

وحتى إذا طبق مفهوم الحنق الإسلامي على العرب.فإنه لا تمكن مسايرته في العديد من حركات التمرد ضد الهيمنة الغربية، كانت حركات علمانية تنتمي إلى القومية العربية على الرغم من أنها غالباً ما ارتبطت بالإسلام، وفي بعض الأحيان نجدها في تضارب معه، وقد كان الوعي القومي في العالم العربي بطيئاً في نموه لأن الدولة القومية نادراً ما وجدت في السابق والحدود الحالية كانت في معظمها نتاج خطط ورسومات الضباط الإنجليز والفرنسيين.

أما الإسلام فكان الشيء الوحيد الذي يشترك فيه العرب من سوريا وحتى السودان، كما أن الدين يمكن أن يكون مصدراً للهوية المشتركة. إن ما قدمته القومية العربية، وبعض مؤسسيها كان من المسيحيين، كان بديلاً أكثر علمانية وليس بالضرورة أكثر ديمقراطية لتحقيق الانسجام. وفشل القومية العربية فتح الباب أمام انبعاث الأحلام الإسلامية.

صعود التيار الإسلامي للحكم بعد الربيع العربي

ومع أن لويس قد يكون محقاً بأن التدخلات الغربية، ذات الطبيعة الإمبريالية السافرة أو المتسترة، لا يمكن لها أن تفسر بما يكفي لوحدها الحركات الإسلامية المعادية، فإن إطاحة الأجهزة الغربية الرسمية لحكومات منتخبة بحرية ودعم الغرب للطغاة لا يمكن له أن يكون قد ساعد في قضية التغيير الديمقراطي.

ويقوم لويس بتحديد الأوعية التي يستقر فيها حنق المسلمين.وأحدها يتمثل في حكم غير ذوي الملة للمؤمنين الحقيقيين، فهذا في اعتقادهم أمر غير طبيعي ويقود إلى فساد الدين والأخلاق في المجتمع، أما الوعاء الثاني فهو كما يحدده لويس أكثر عمومية ويتمثل في العلمانية الحداثية حيث إن الحرب على الحداثة توجه ضد عملية التغيير بكاملها التي حدثت في العالم الإسلامي في القرن الماضي والتي ترتبت عليها بِنىً سياسية واقتصادية واجتماعية بل وثقافية مختلفة في الدول الإسلامية.

ومن المؤكد أن الحنق الإسلامي يبدو مفهوماً ومبرّراً لكن تحليل لويس تحول ودون وضوح نقطة جوهرية هي أقرب إلى المفارقة أو اللغز. فمن منظور لويس فإن هؤلاء الغاضبين المهانين بحشودهم الكبيرة يجتذبون بعمق إلى غواية العالم الحديث، وهم يرغبون في السلع الاستهلاكية، والموسيقى الحديثة وغيرها حسب رؤيته.

وهكذا فإن الجماهير ليست هي في حقيقة الأمر التي يفترض أنها ستحب أن تتحرر على يد الولايات المتحدة، وإنما القادة المتشددون هم الغاضبون، وكذلك أيضاً بعض المتشددين المسيحيين الذين ينتظرون رؤية أحداث يوم الدينونة بشكل أو بآخر.

وفي حقيقة الأمر أن الحرب على الحداثة التي غالباً ما تربط باليهود أو بالغرب أو بالولايات المتحدة تعود بجذورها إلى قرون مضت، فالرومانسية الألمانية قد بدأت كرد فعل على التنوير الفرنسي الذي أطلقته من عقاله الثورة الفرنسية.

وفي تفسير سبب صعود الإسلاميين إلى الحكم بعد الربيع العربي نعود إلى تحليله لردات الفعل المتشددة إزاء القمع والديكتاتوريات حيث يرى لويس(من الممكن استنتاج أن المتشددين الإسلاميين كانوا ينهلون من النبع ذاته الذي نهلت منه الرومانسية الألمانية، ومن هنا تجيء إشارة لويس أن أهدافهم تتمثل في الحكومات العلمانية الفاسدة الطاغية، وكذلك في الرموز الغربية، ومن هنا أيضاً يثور السؤال: لماذا دفع لويس باتجاه شن الحرب على النظام العراقي الذي يكرهه المتشددون المسلمون كل هذه الكراهية؟

ربيع المسلمين في روسيا والصين

ويتوقع لويس أن تتمدد ثورات الربيع العربي إلى دول كبرى في شرق آسيا، بما لها من تأثيرات على الوطن العربي، يرى برنارد لويس «لا بد أن يشهد القرن٢١ نشوء قوتين عظميين جديدتين هما الصين والهند، فكلاهما يملك بحجم هائل التعداد والمصادر والتماسك اللازمة جميعها للعب دور كهذا، وكلاهما يواجه وبنجاح أكبر من ذلك الذي يحققه معظم دول العالم تحديات الحداثة، ويحقق الانتقال إلى عصر جديد، ولا يزال كل منهما يعاني من مشاكل كبرى يجب تجاوزها، قد تؤخر هذه المشاكل تحتل أي من هاتين القوتين العظميين دورا عالميا، لكنها لن تمنع حصول ذلك، ما من شك أن الدولتين ستتدخلان في شؤون الشرق الأوسط بالطريقة نفسها التي تدخلت فيها القوى الأوروبية في الماضي، وللأسباب نفسها تقريبا، فبسبب وقوع الشرق الأوسط بين أوروبا في الغرب وروسيا في الشمال والصين والهند في الشرق ستكون هذه المنطقة هدفا لاهتمام هذه الدول مجتمعة،وشأنها شأن القوى العظمى الجديدة في الشرق الأوسط كحلفاء أو كخصوم وكأوصياء أو كسادة.

في كل من روسيا والصين والهند أقليات مسلمة ففي الاتحاد الروسي.حتى بعد انفصال الجمهوريات ذات الأغلبية المسلمة، لا يزال عدد المسلمين يوازي ١٥٪من إجمالي عدد السكان-وهي نسبة عالية بل أعلى منها في أي بلد أوروبي غربي،حتى بعد الهجرة المسلمة إلى هذه الدول، تعيش نسبة هامة من هؤلاء المسلمين، لاسيما الشيشان والتتار والبشكير في كيانات ذات استقلال سياسي ذاتي داخل الاتحاد الروسي.

وعلى العكس من الاتحاد السوفيتي، لم تتفكك الصين، ولا تزال تفرض سيطرة إمبريالية على المناطق التي استولت عليها في آسيا الوسطى.

وتتضمن هذه المناطق أراضيّ شاسعة تقطنها غالبيات إسلامية،يتكلم معظمها لغات تركية.

وقد خلق الاستقلال الحديث العهد لأقربائهم في الاتحاد السوفيتي السابق

وتوقعات جديدة بين المسلمين الصينيين،كما خلقت سياسة بايجنغ القاضية بتوطين أعداد ضخمة من أبناء العرق الصيني في مناطق المسلمين موجات جديدة من الاستياء، ستواجه الصين مشكلة إسلامية متنامية وستزداد نقاط الاحتكاك بين الصين وكل من العالمين التركي والإيراني، وقد تكون التجربة الروسية مع الأفغان مثالا على ما ستؤول إليه الأحوال في الصين.

وفي الهند أقلية مسلمة كبيرة، يزيد حجمها عن تلك الموجودة في روسيا أو الصين، وقد انتاب علاقة الهند بالإسلام الكثير من المرارة بسبب صراع طويل، وبشكل أخص، بسبب الحروب مع الباكستان، على الرغم من وجود بعض دلائل التحسن في العلاقات بين البلدين، وكما هي الحال مع روسيا والصين، وربما على عكس هاتين الدولتين، ستتأثر الهند بطريقة أو بأخرى في تعاطيها مع الشرق الأوسط بسكانها من المسلمين.

وفي الختام يرى لويس أن الربيع العربي هو نتاج لاحتكاك الحضارة الغربية مع المجتمعات الشرقية وحدوث ما أسماه الصدام الثقافي، ورغبة الشعوب في التحلي بما لدى الغرب من حقوق أساسية في الحريات والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وبهذا يغفل لويس -كالعادة- عن نضالات الشعوب العربية وتضحياتها من أجل تحقيق الاستقلال من التبعية للغرب والانفكاك الحضاري، بل الانعتاق من أسوار الرأسمالية العالمية ومركزها واشنطن.

ملحق
الصور

قادة الثورات الملونة



برنارد لويس - العقل المدبر للفتنة الأهلية



رام ايمانويل - يهودي أميركي



جون بونر - يهودي أميركي



جورج سورس - إمبراطور المال والغاز

رموز وأركان حرب تقسيم الوطن العربي



بيرجينسكي - مستشار الأمن القومي

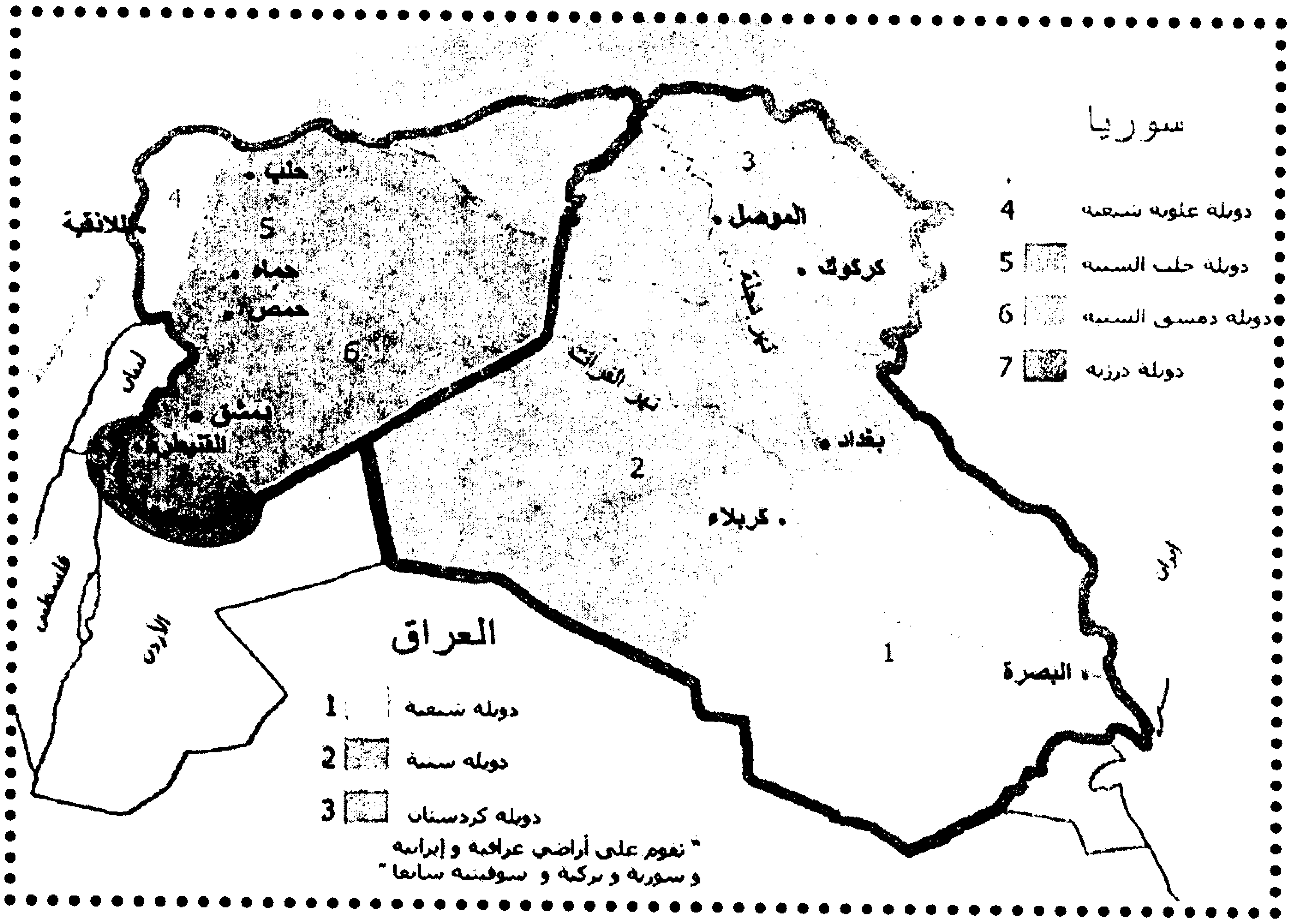


جيمي كارتر

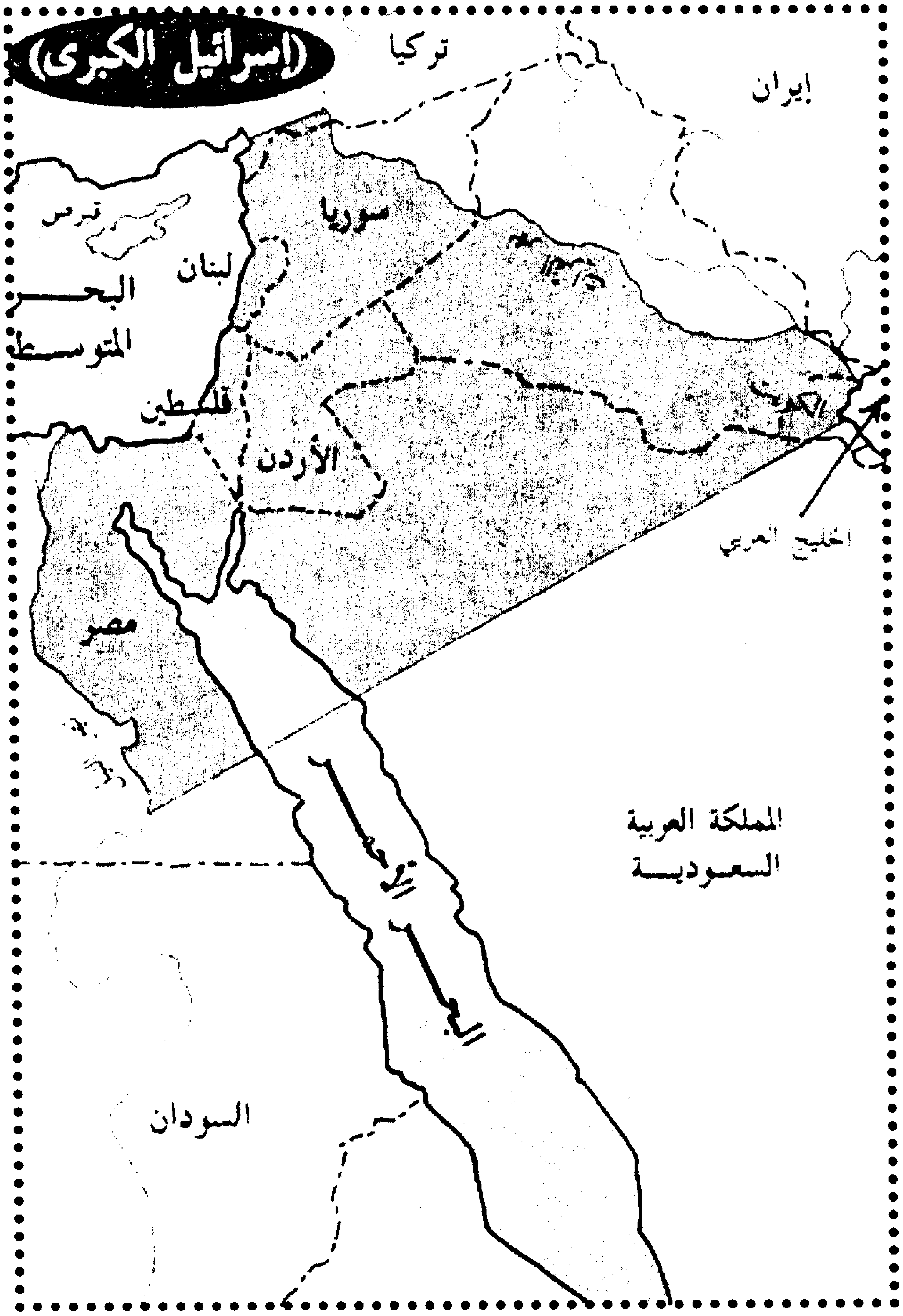
تقسيم السودان وسوريا



تقسيم العراق.. بداية سايكس بيكو ٢

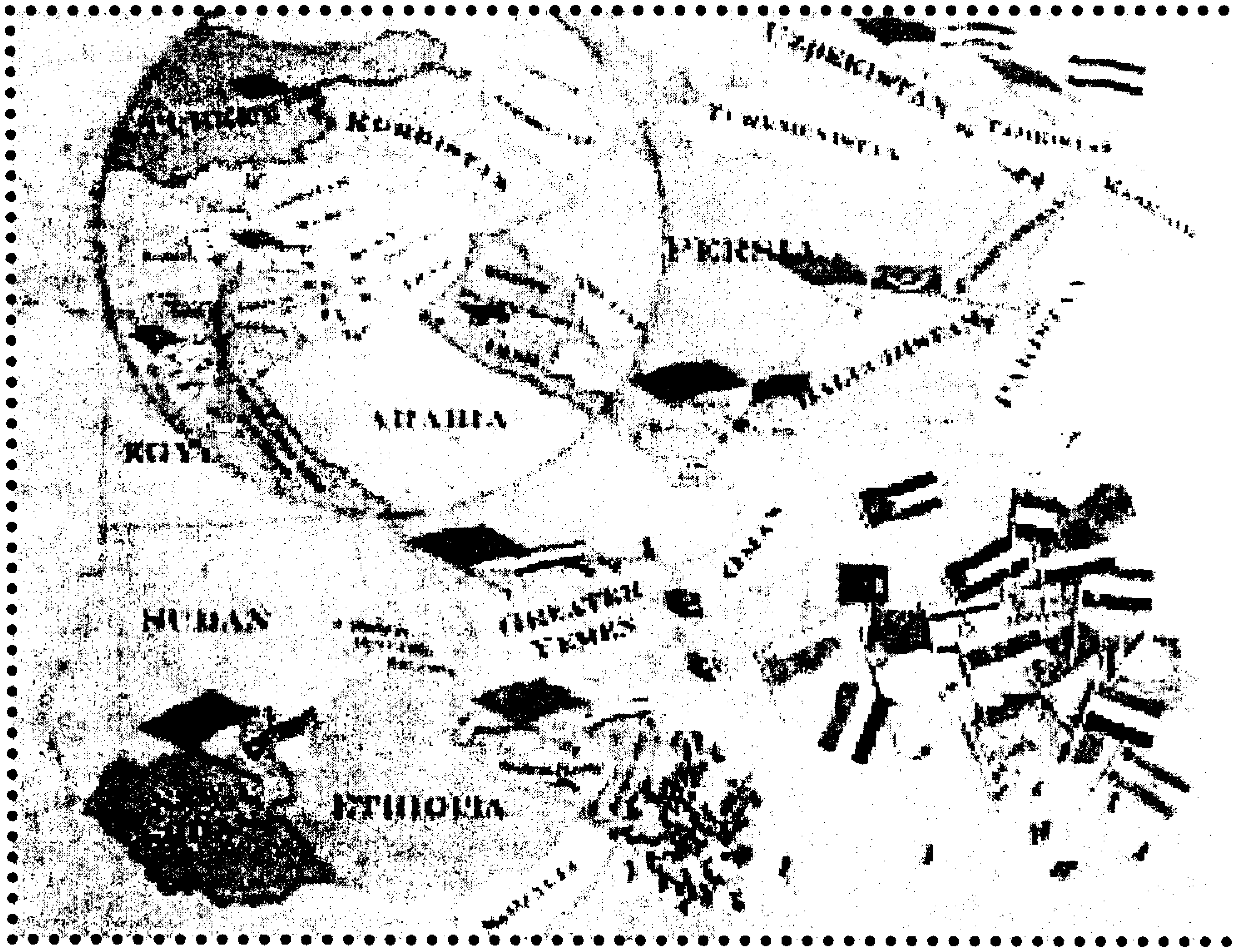


العراق بداية التقسيم

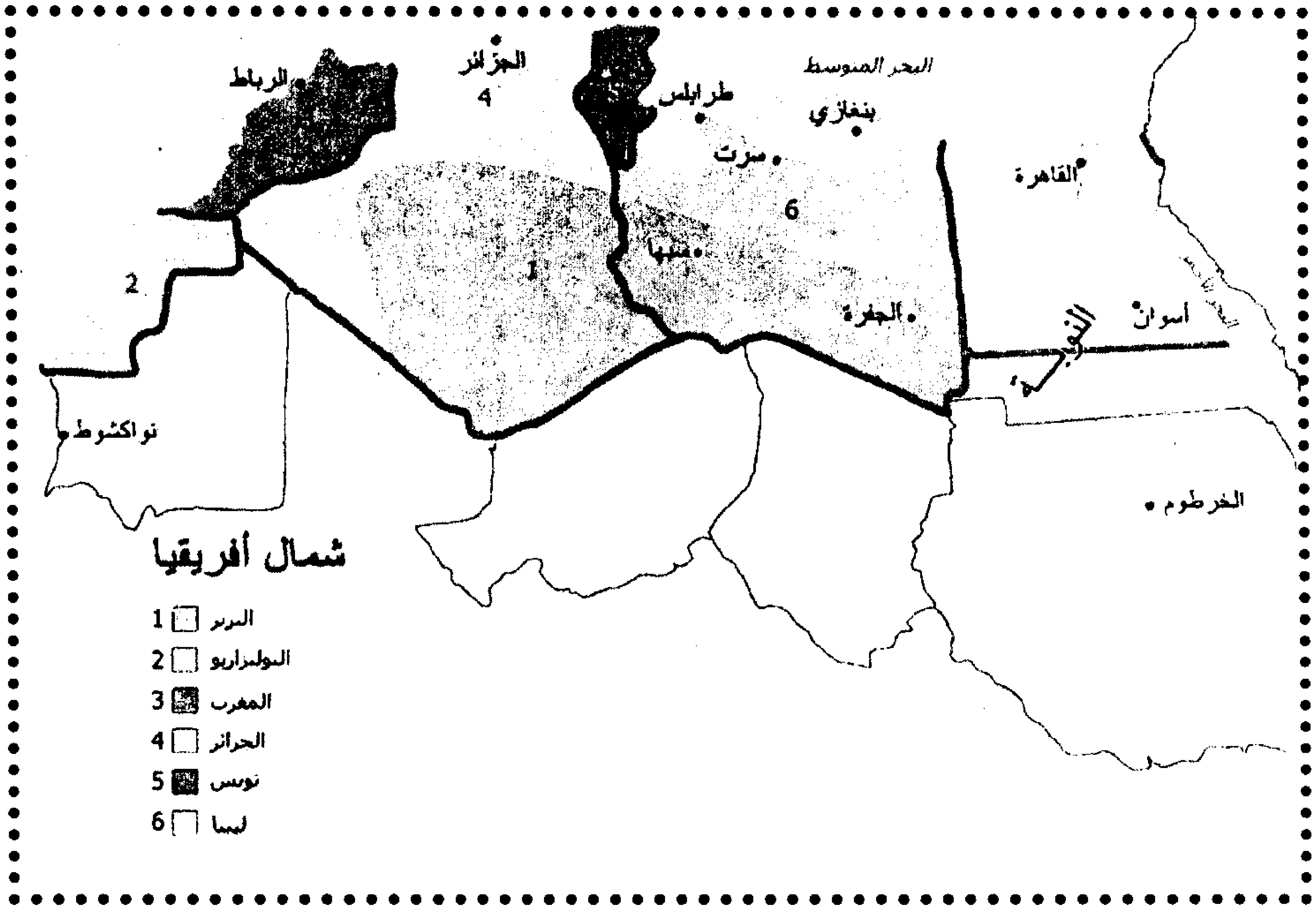


تقسيم بلاد الشام

تقسيم ليبيا وشمال إفريقيا



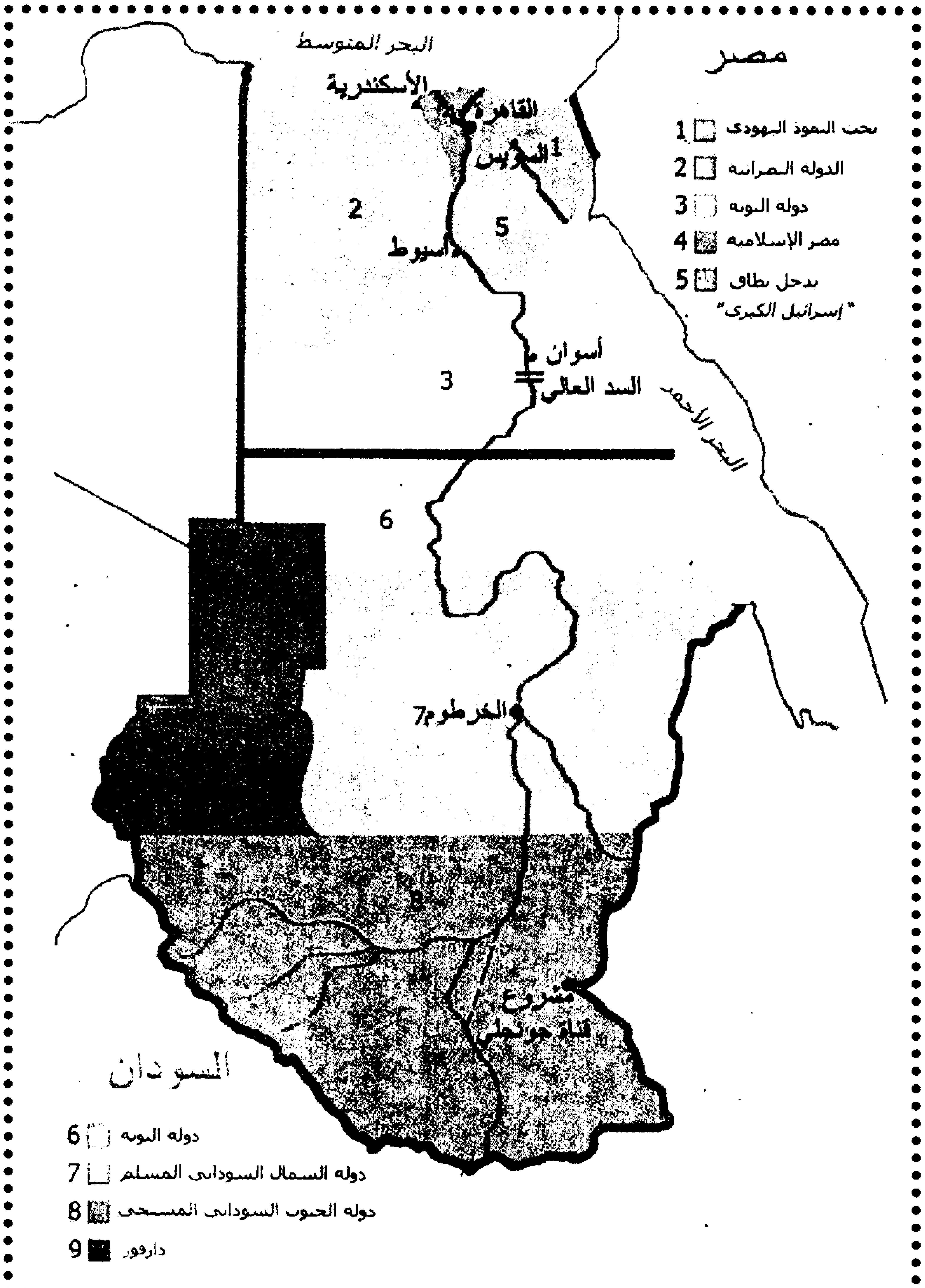
تقسيم ليبيا وشمال إفريقيا



خريطة تقسيم شمال إفريقيا

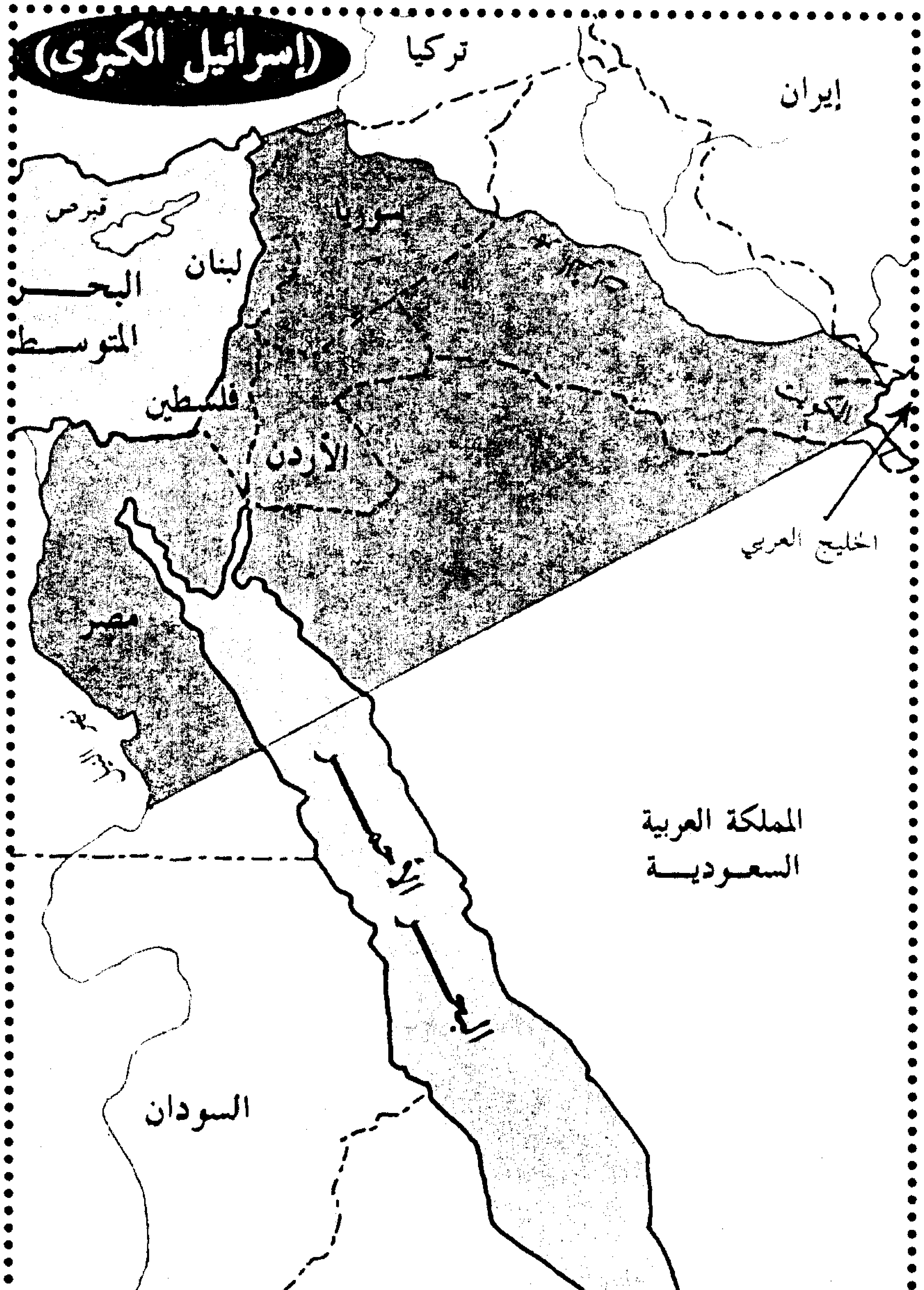


تقسيم مصر والسودان

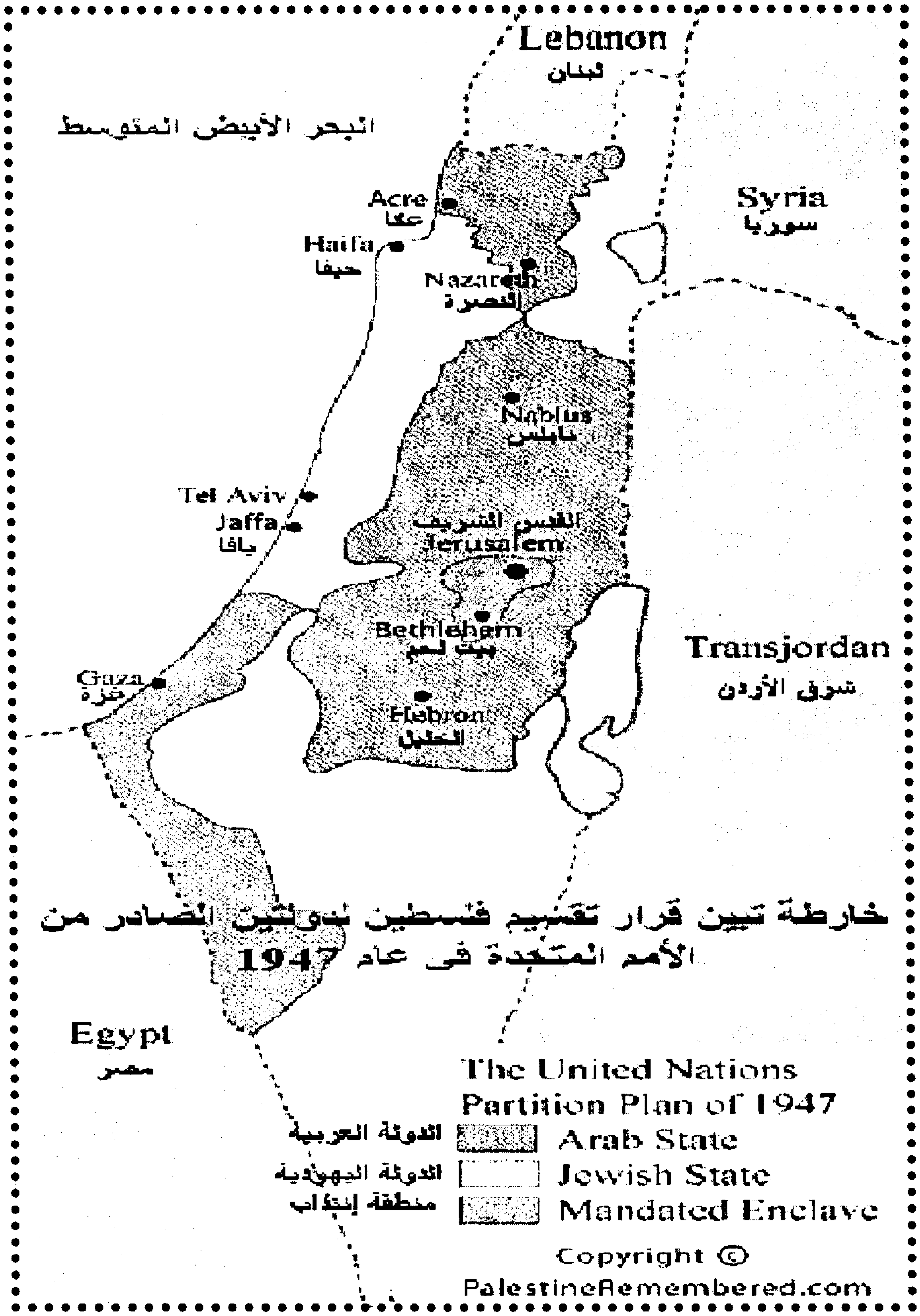


خريطة تقسيم مصر والسودان

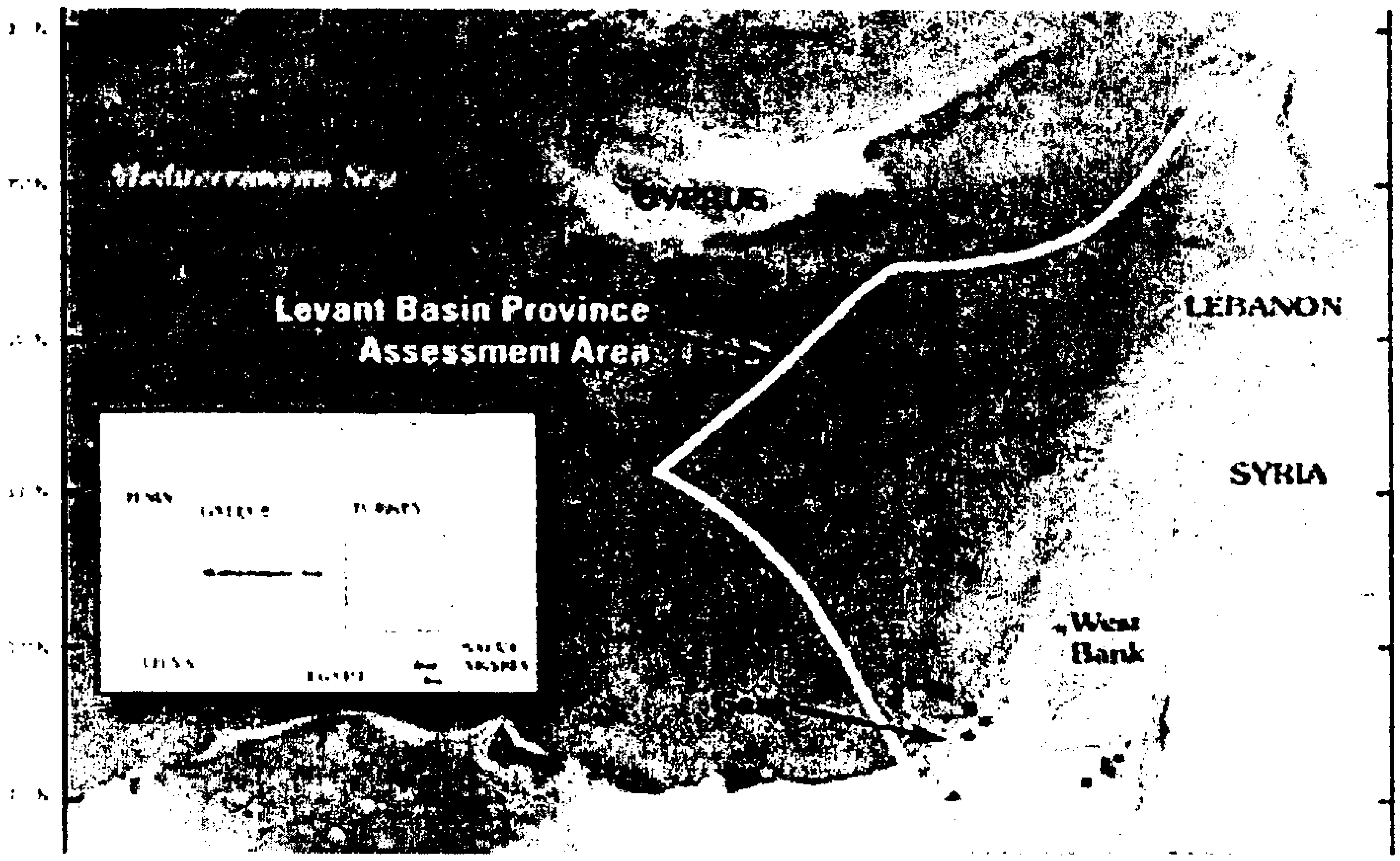
خريطة إسرائيل الجديدة



خريطة إسرائيل الكبرى



خريطة فلسطين



خريطة الغاز الجديدة في المتوسط

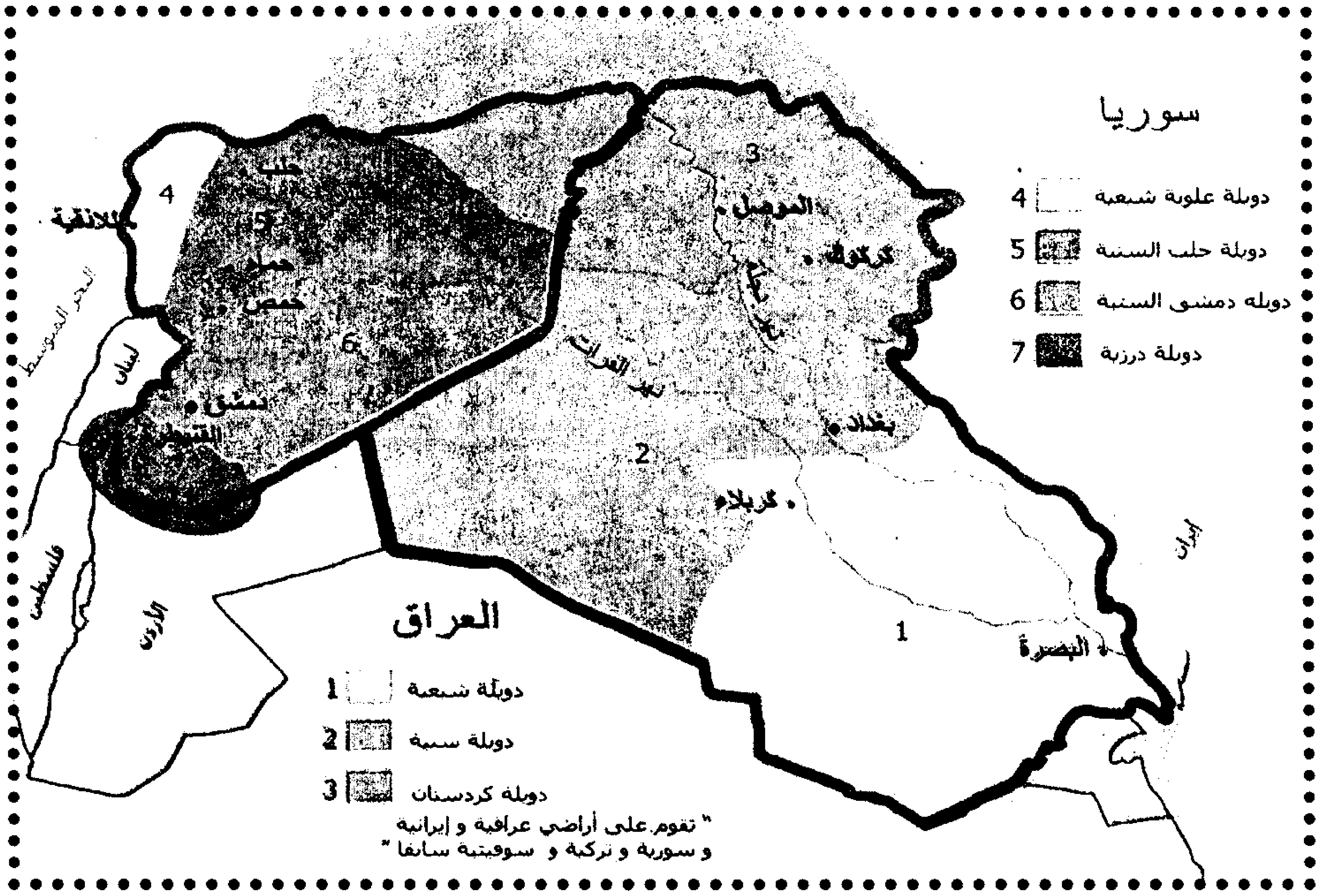


إسرائيل كما يريدها اليهود

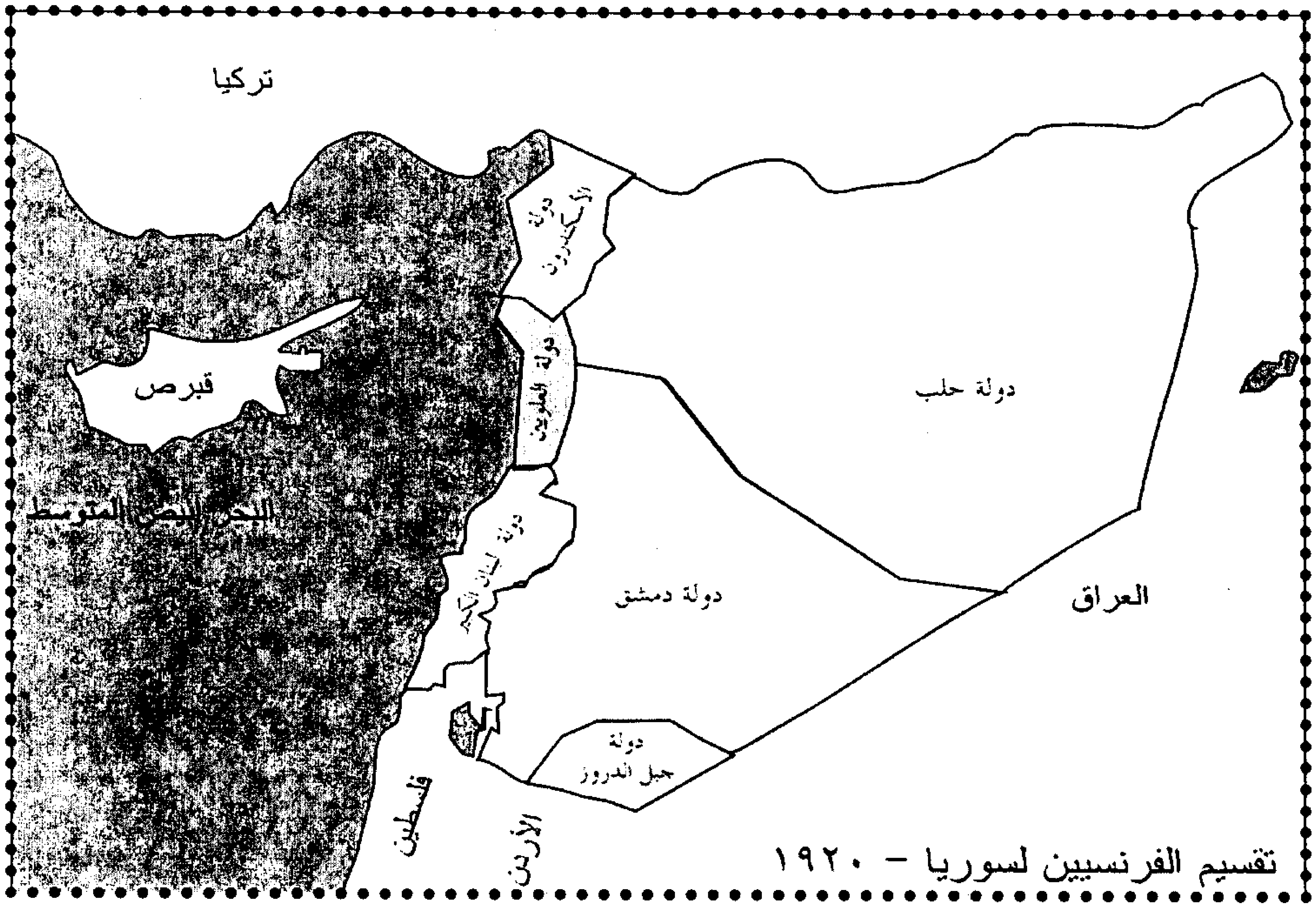


شارون وخريطة إسرائيل العظمى

خريطة تقسيم سوريا ولبنان

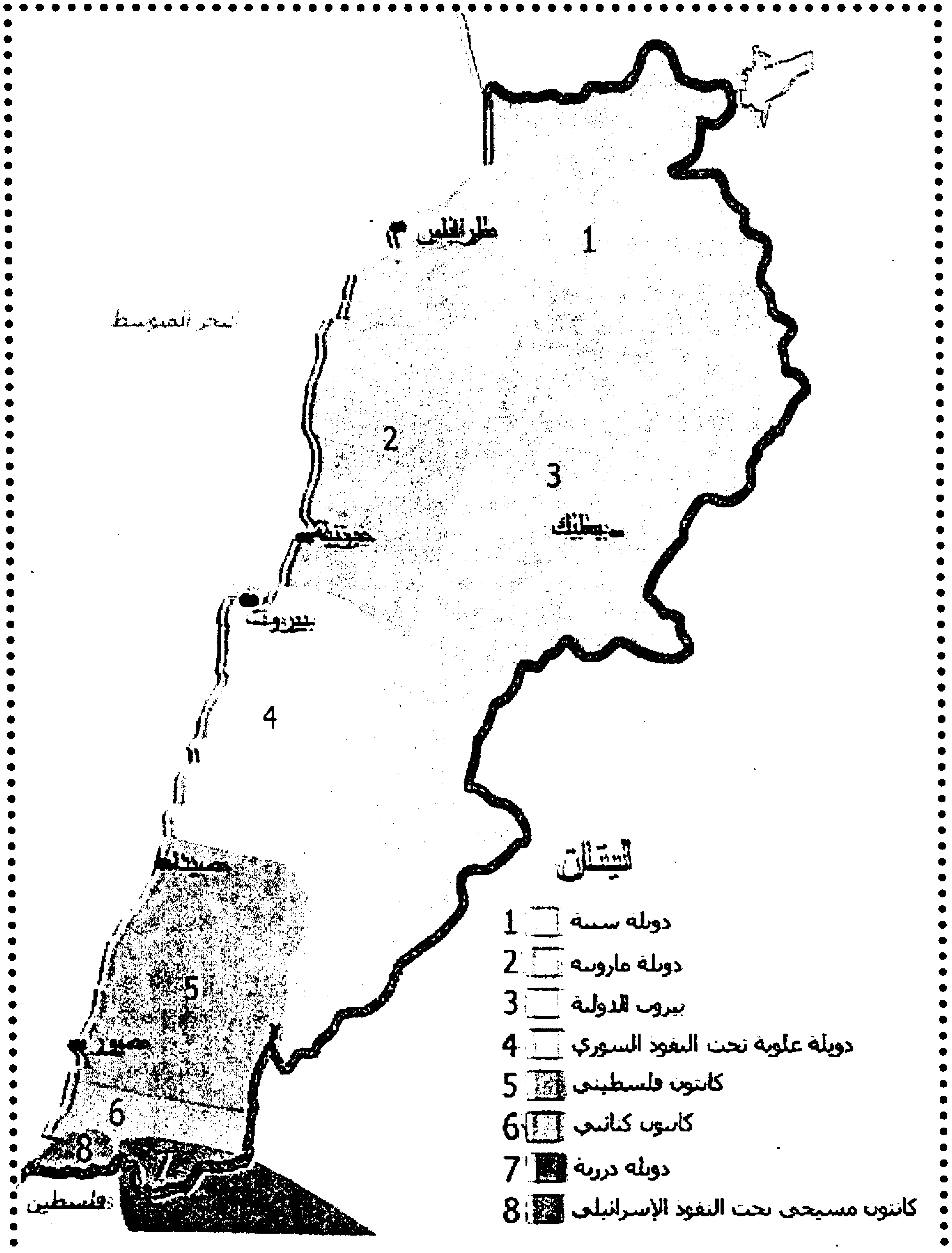


تقسيم سوريا والعراق



تقسيم الفرنسيين لسوريا - ١٩٢٠

تفتيت سوريا


طرابلس
1
البحر المتوسط
2
3
جونية
بعلبك
بيروت
4
صيدا
5
صور
6
8
فلسطين
لبنان
1 دولة سنية
2 دولة مارونية
3 بيروت الدولة
4 دويلة علوية تحت النفوذ السوري
5 كانتون فلسطيني
6 كانتون كتائبي
7 دولة درزية
8 كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي

تقسيم لبنان

المراجع

كتب

١- جيمس بتراس، نفوذ إسرائيل في الولايات المتحدة، دار كلاريتى برس/ أتلانتا، وفرنوود بوكس/ كندا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، مراجعة أمل شريف.

٢- جانيس ج. تيري، السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط، دور جماعات الضغط ذات الاهتمامات الخاصة، ترجمة حسان البستاني، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، مراجعة إبراهيم غرايبة.

٣- نعوم تشومسكي، طموحات إمبريالية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، مراجعة إبراهيم غرايبة.

٤- نيل فيرگسون، الصرح: ارتقاء الإمبراطورية الأميركية، ألن لين، بريطانيا العظمى، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، مراجعة مكتب كمبردج.

٥- جيمي كارتر، فلسطين.. السلام لا الفصل العنصري، سيمون آند سيشتر/ نيويورك، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، مراجعة علاء بيومي.

٦- توسم سيغ- الإسرائيليون الأوائل. ترجمة خالد عايد وآخرون. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت، ١٩٨٦

٧- فلاح خالد علي. الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨، ١٩٤٩ وتأسيس إسرائيل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٢

٨- روبرت موري، رمال الإمبراطورية، سيمون آند شيستر، نيويورك، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، مراجعة علاء بيومي.

٩- بوب وودوورد، حالة إنكار: بوش في حرب: الجزء الثالث، الطبعة الأولى، سبتمبر ٢٠٠٦، سيمون آند شيستر، مراجعة علاء بيومي

١٠- توسم سيغف. الإسرائيليون الأوائل. ترجمة خالد عايد وآخرون. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت، ١٩٨٦

١١- عبد الوهاب المسيري -الإيديولوجية الصهيونية- القسم الأول، عالم المعرفة، العدد ٦٠ الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول ١٩٨٢.

١٢- إداورد سعيد. الصهيونية حركة عنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩

١٣- محمد إبراهيم بسيوني- مؤامرة تقسيم الوطن العربي -دار الكتاب العربي- ٢٠١٢

١٤- وليام جاي - أحجار على رقعة الشطرنج- عرض وتعليق مجدي كامل-دار الكتاب العربي ٢٠١٢

١٥- هشام كمال عبد الحميد-الحرب العالمية الثالثة- دار الكتاب العربي-٢٠١٢

١٦- رمزي المنياوي-الفوضى الخلاقة-دار الكتاب العربي-٢٠١٢

مقالات

١- هاشم صالح، «المشروع الأميركي الإسرائيلي، تقسيم المنطقة إلى طوائف وأعراق»، الشرق الأوسط ١١/ ١١/ ٢٠٠٦.

٢- سمير عطا الله، «لأنه خدعهم»، الشرق الأوسط ١٢/ ١١/ ٢٠٠٦.

٣- توماس فريدمان، «هل أصبحت بلادنا جمهورية موز»، نيويورك تايمز، ٤/ ١١/ ٢٠٠٦.

٤- روبرت فسك، «الإنكار واللجوء إلى الخيال»، الأندبندنت، ٧/ ١٢/ ٢٠٠٦

٥- المهدي داريوش ناظم رعايا / المهدي داريوس نازيمروايا- إسرائيل وليبيا: تحضير إفريقيا لصدام الحضارات-٠ الجارديان البريطانية ٢٧/ ٤/ ٢٠١٢

٦- محمد الأزرقي-الإمبراطورية الصهيونية الأمريكية- الحلقة الرابعة-الحوار المتمدن - العدد: ١٨٨٢ - ٢٠٠٧

٧- خالد عبد القادر أحمد، كيف يجري تنفيذ نظرية الفوضى الخلاقة .www.ahewar.org /debat /show.art.asp?=٢٤٤٥٥٨

٨- الدكتور عبد الإله الراوي- تفتيت العراق والوطن العربي.. مطلب صهيوني - صليبي -مجلة دراسات عربية-العدد ٦٥٠

٩- حامد عمار-ضلالات صهيونية لتشويه الحضارة الإسلامية-مجلة وجهات نظر-سبتمبر ٢٠٠٨

١٠- صافيناز كاظم، «اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»، الشرق الأوسط ١٢/ ١١/ ٨٧, ٢٠٠٦.

١١- عماد فوزي شعيبي-حرب الغاز... الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً -مجلة الشعلة- ١٧/ ٤/ ٢٠١٢

١٢- هيفاء زعيتر - اقتراح أميركي لتسوية «صراع الغاز» بين لبنان وإسرائيل- صحيفة «السفير» اللبنانية

دراسات

١- إبراهيم عبد الكريم تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية... دراسة ودليل اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠١

٢- فيريلوفسكي. من الفكر الصهيوني المعاصر. مركز الأبحاث الفلسطيني. بيروت ١٩٨٦

٣- تيودور هرتسل، مديناه هيهوديم دولة اليهود (باللغة العبرية). قسم الشباب في الهستدروت الصهيوني، تل أبيب،١٩٥٦.

٤- إسرائيل شاحاك، من الأرشيف الصهيوني. مركز الأبحاث الفلسطيني بيروت.١٩٧٥.

٥- نور الدين مصالحة. أرض أكثر وعرب أقل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٩٧..

٦- إبراهيم عبد الكريم - تهجير العرب من فلسطين في التفكير الصهيوني في ١٩٤٨- مجلة الأرض- السنة ١٠. العدد ٦. دمشق القسم الأول. حزيران ١٩٩٢.

٧- حسين طنطاوي الصهيونية والعنف... الفلسفة والإستراتيجية.دار المسيرة. بيروت١٩٧٧.

٨- الدكتور مازن صلاح مطبقان- منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي- رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر-كلية الدعوة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩- مشاريع تقسيم العراق بين التنظير والتطبيق.... مركز صقر للدراسات الإستراتيجية.

الفهرس

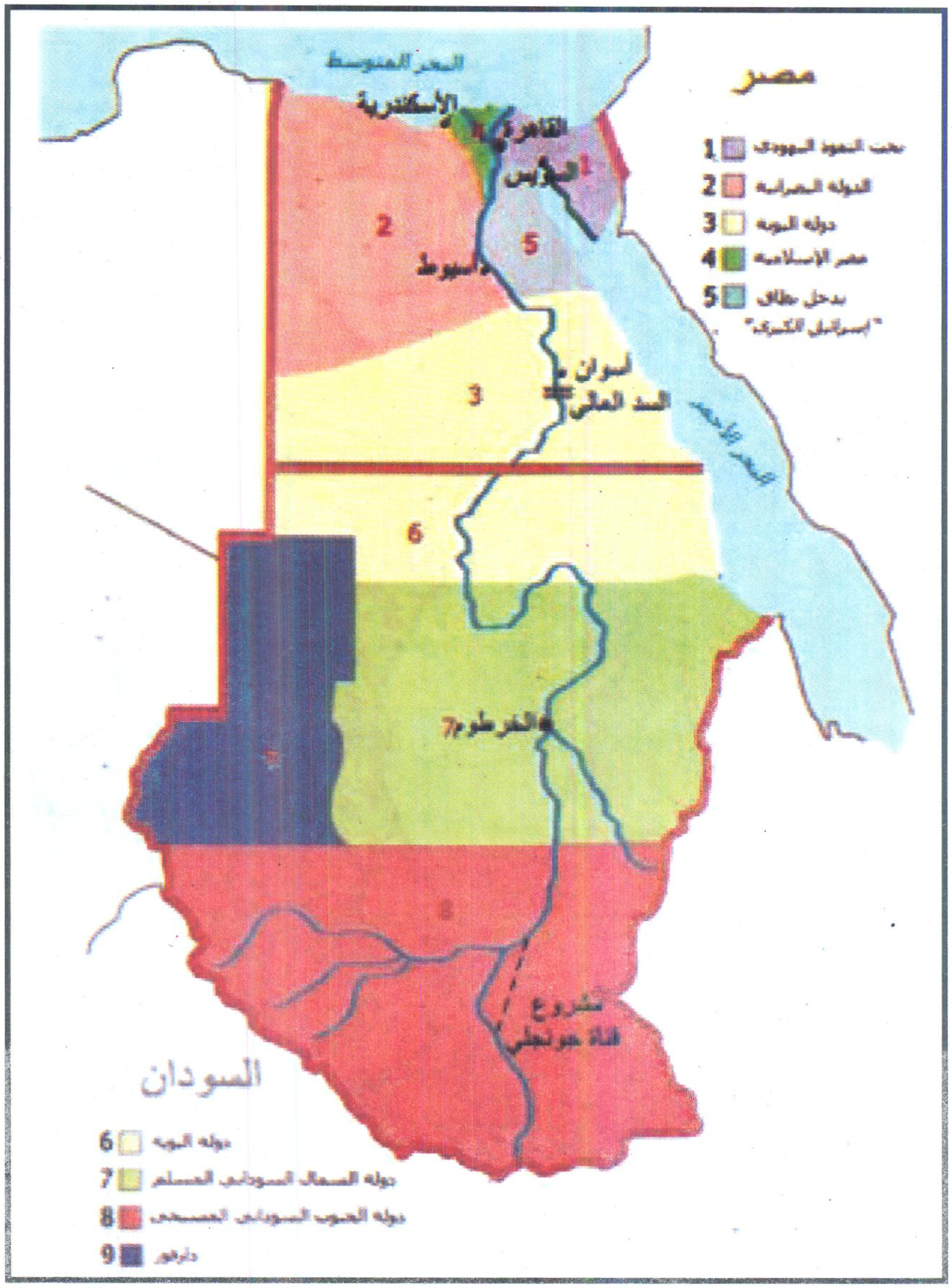
ملحق وثائق وصور



١ - خارطة إسرائيل الكبرى المزعومة

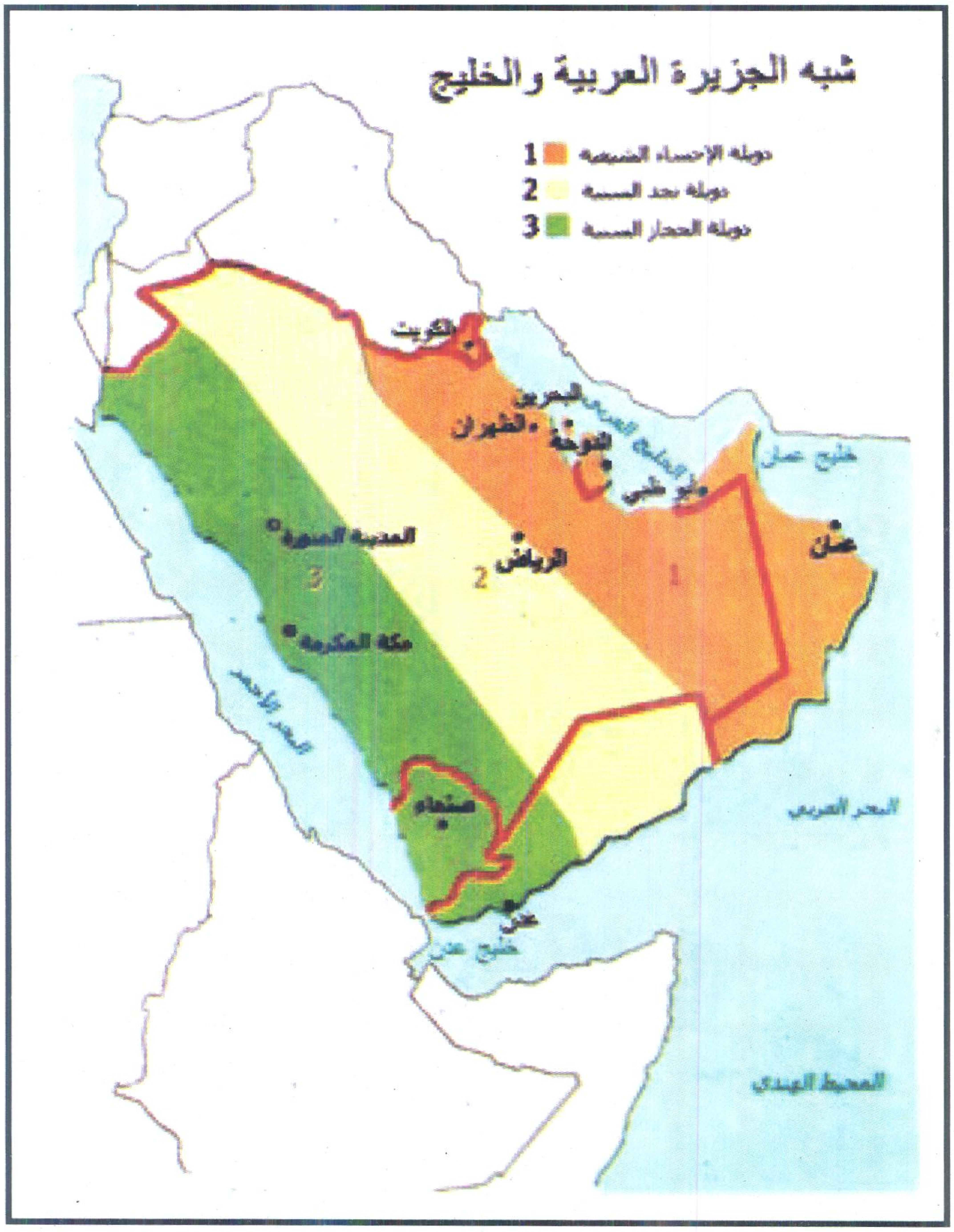


٢ ـ إعادة تقسيم ايران وباكستان وأفغانستان
وفق الطوائف وضد إرادة الشعوب



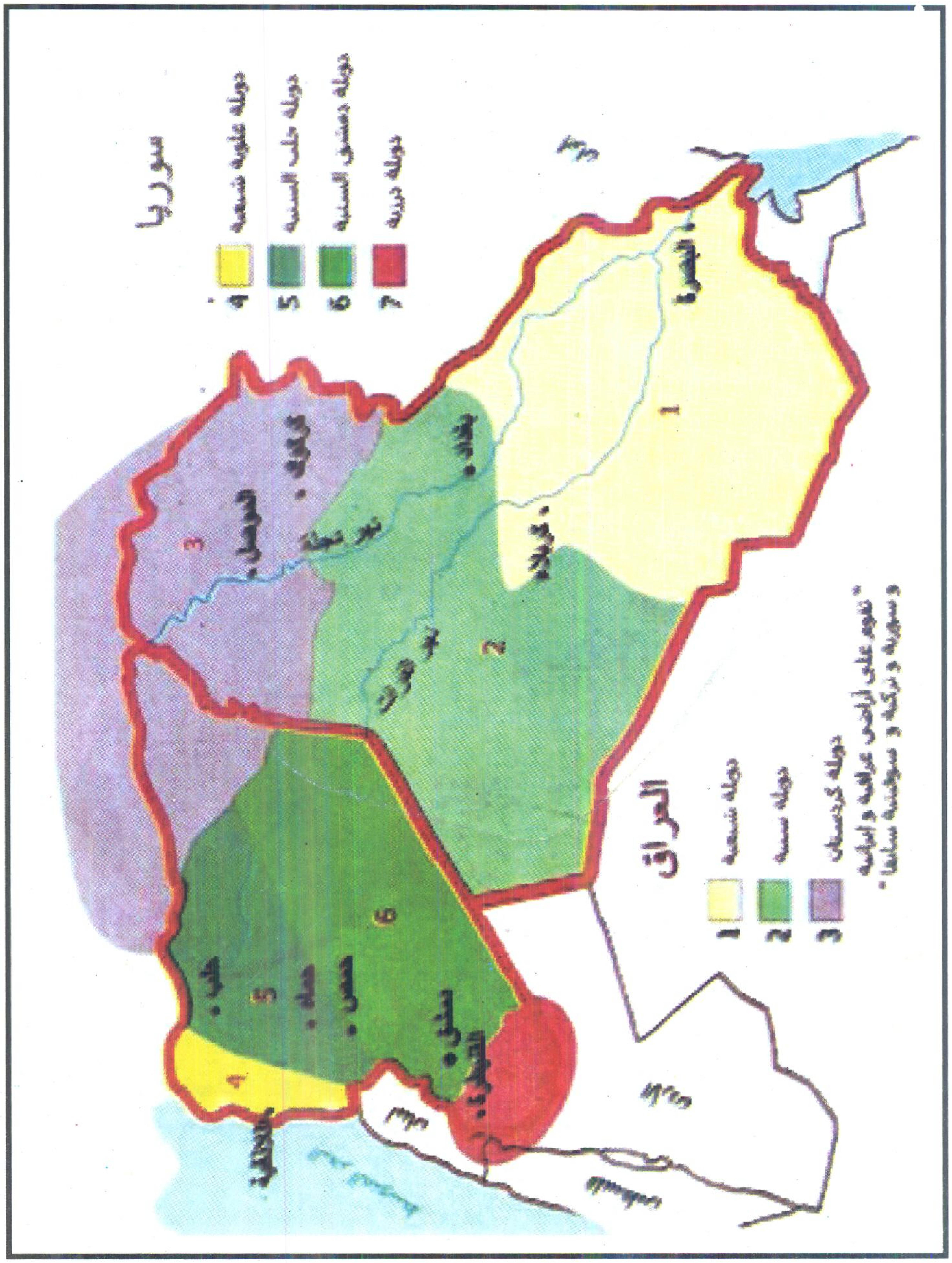
٣ ـ تفتيت مصر إلى خمس دويلات

والسودان إلى أربع دويلات



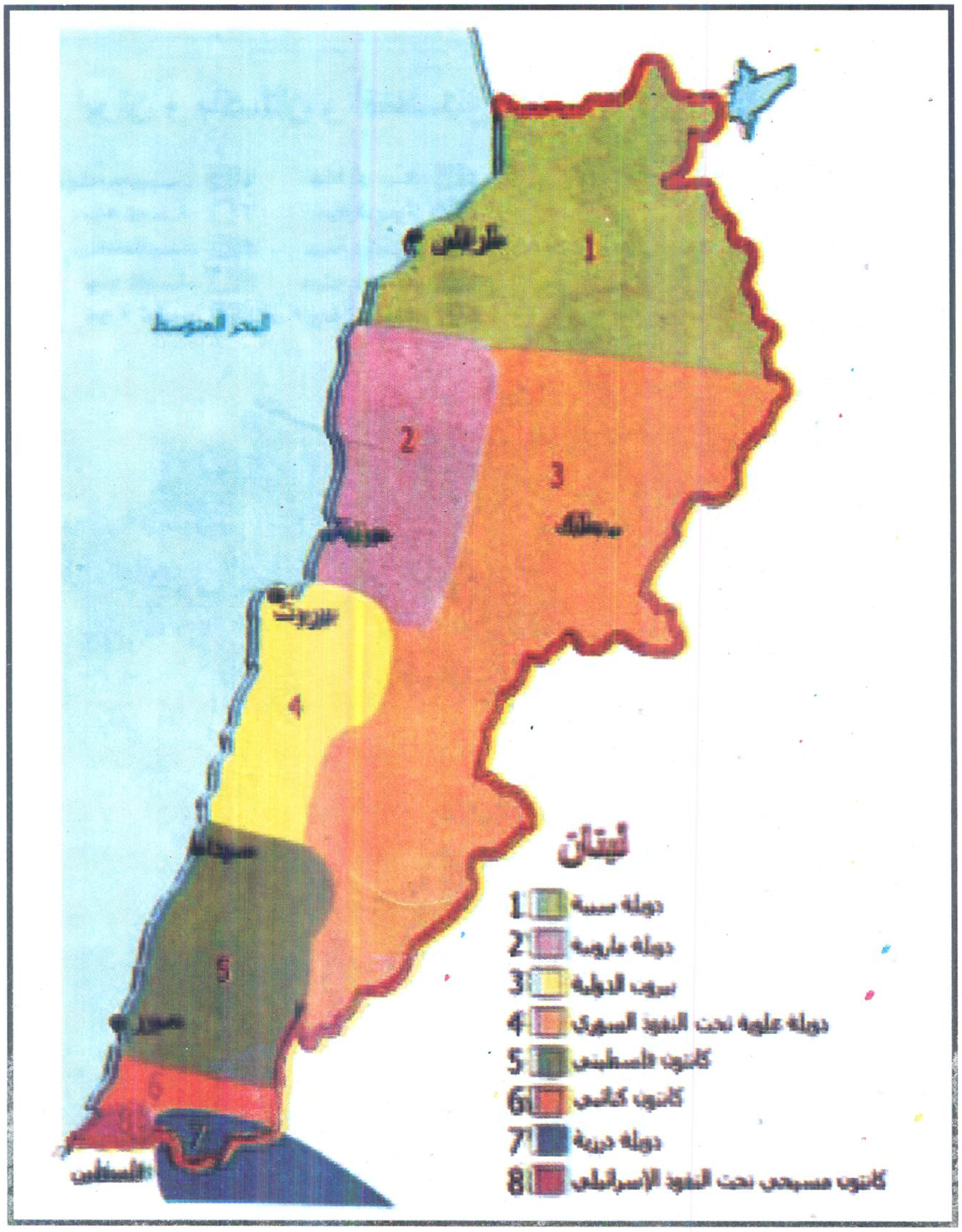
٤ ـ تقسيم السعودية

واختفاء دول الخليج العربية لصالح الصهاينة

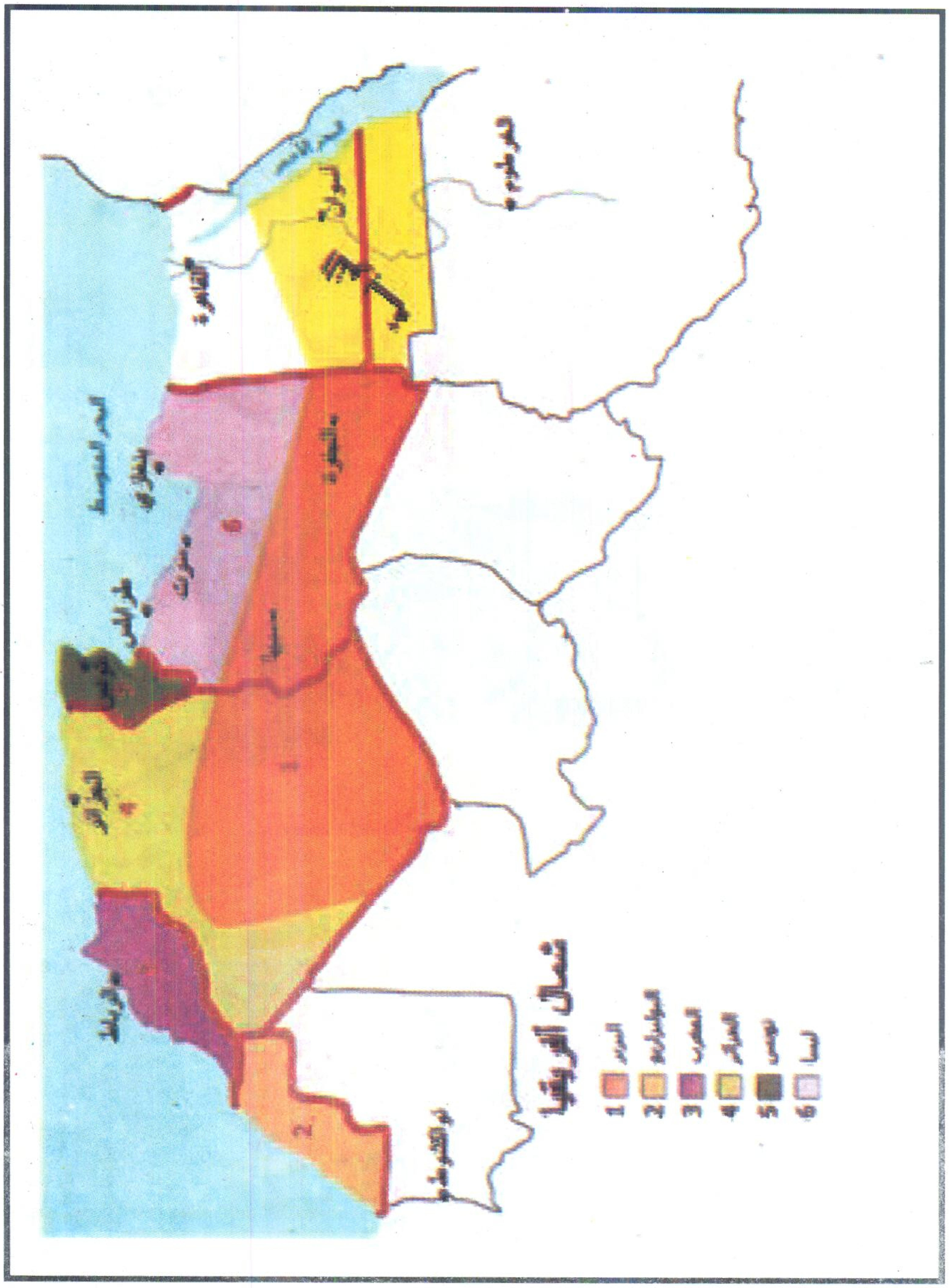


٥ـ تقسيم العراق الى ثلاثة أجزاء

وسوريا إلي خمس دويلات ضد إرادة الشعب العربي



٦ـ تقسيم لبنان الى ثمانية كانتونات

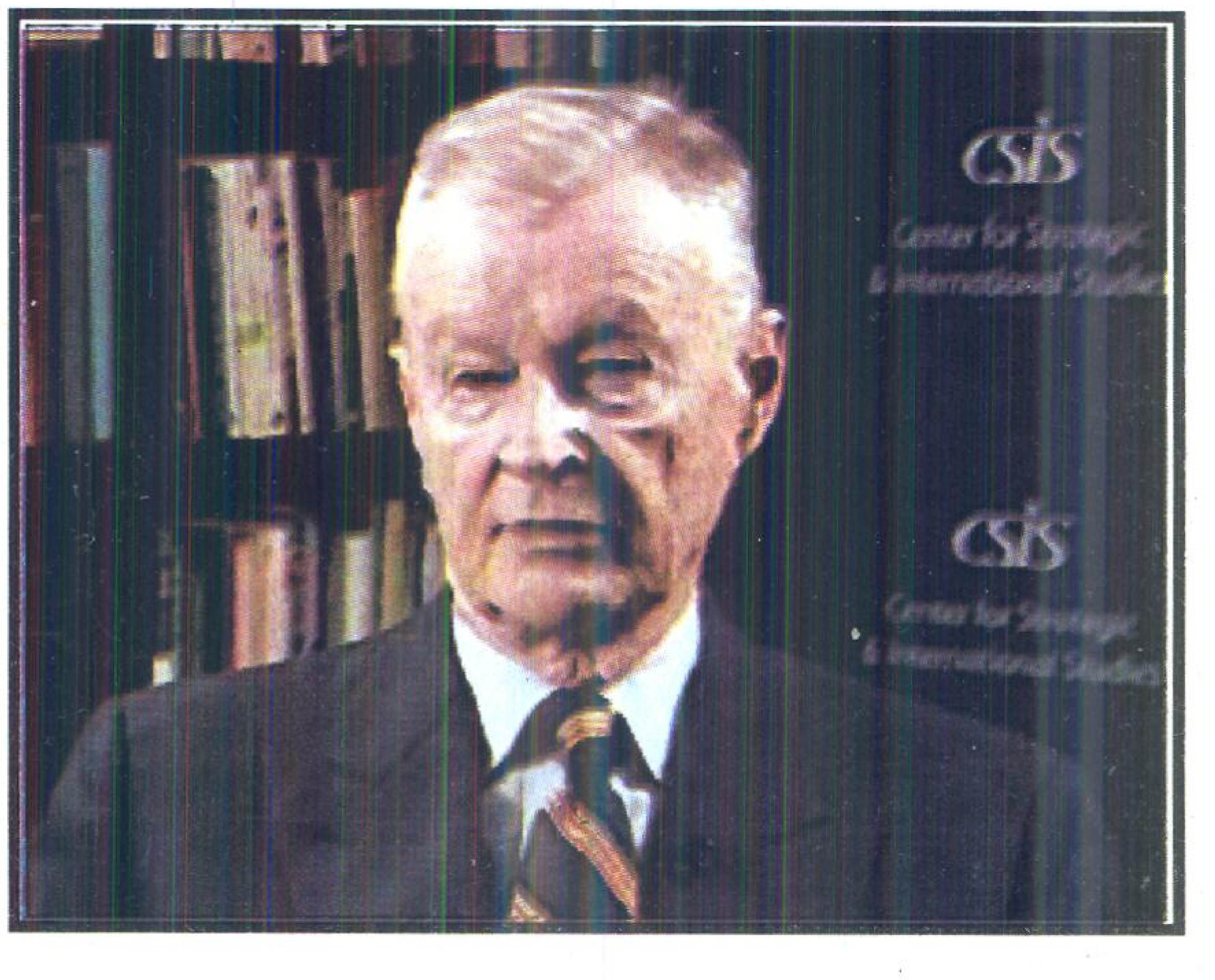


٧ـ دولة مفروضة للبربر وأخرى للنوبة
تقسيم مصر وليبيا والسودان والجزائر



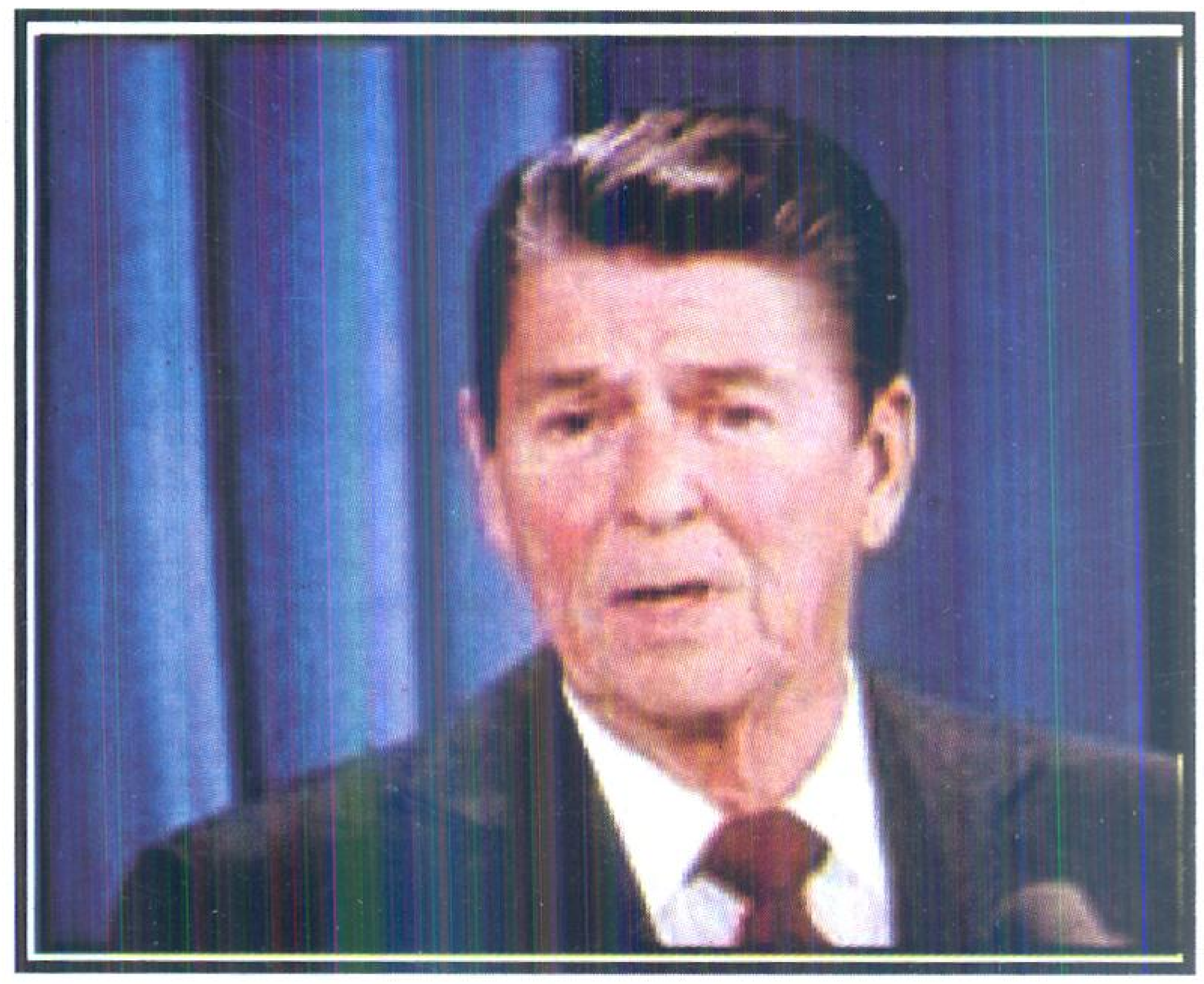
برنارد لويس

وضع المخطط الملعون



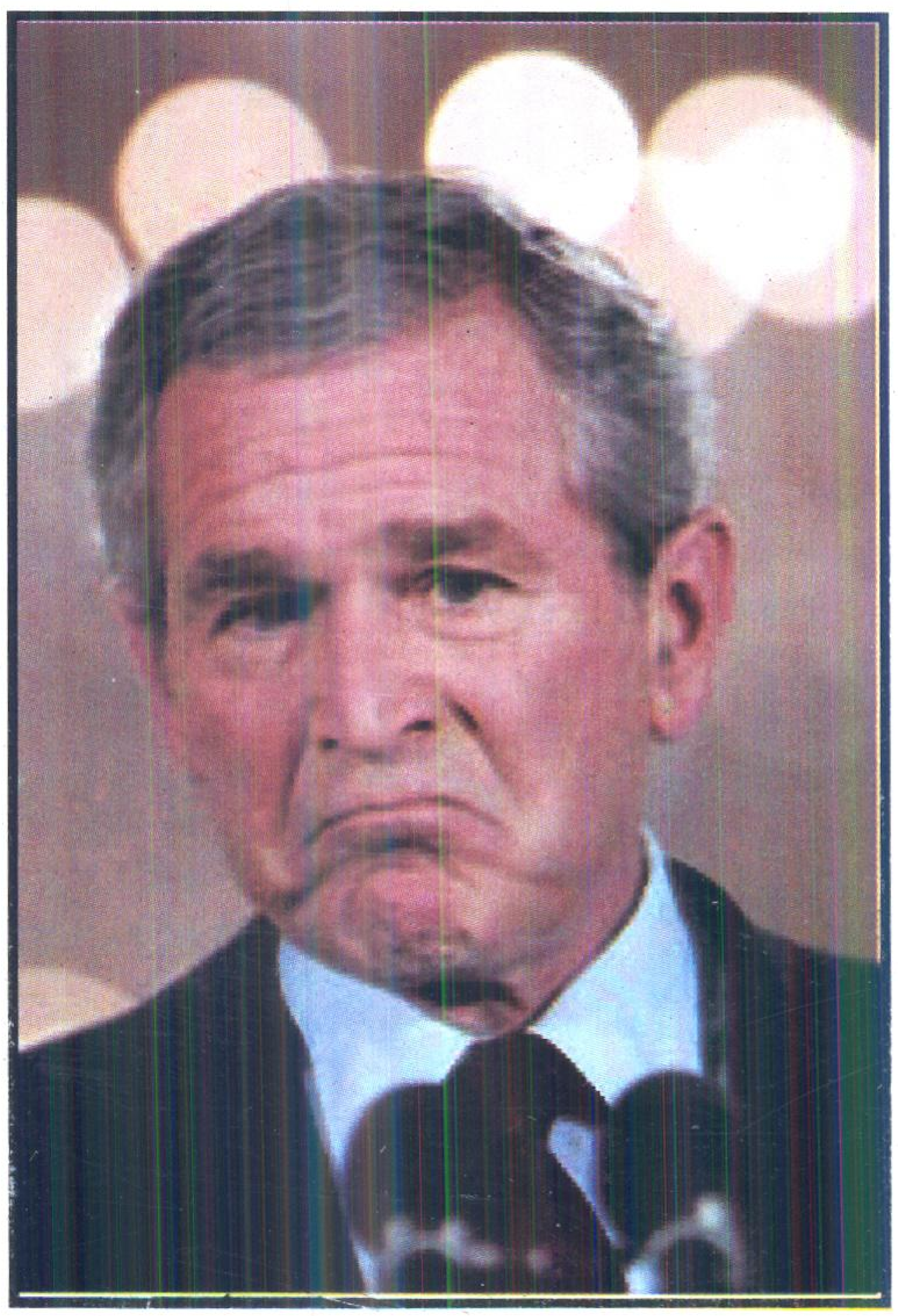
بريجنيسكى

كشف مخطط إعادة التقسيم مبكراً



الرئيس الامريكى السابق ريجن

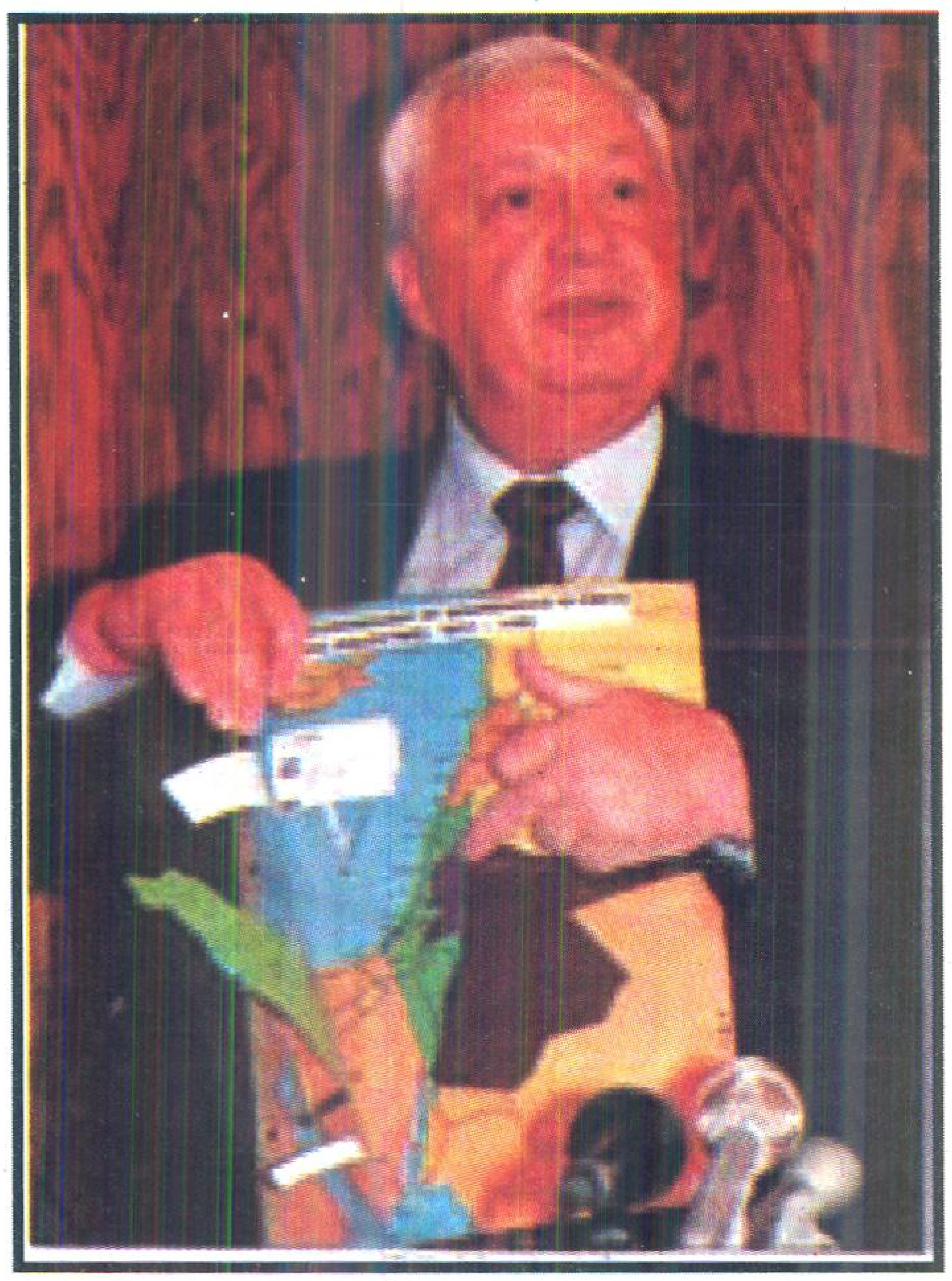
اعتمد من الكونجرس خرائط جديدة
للمنطقة عام ١٩٨٢



بوش الإبن

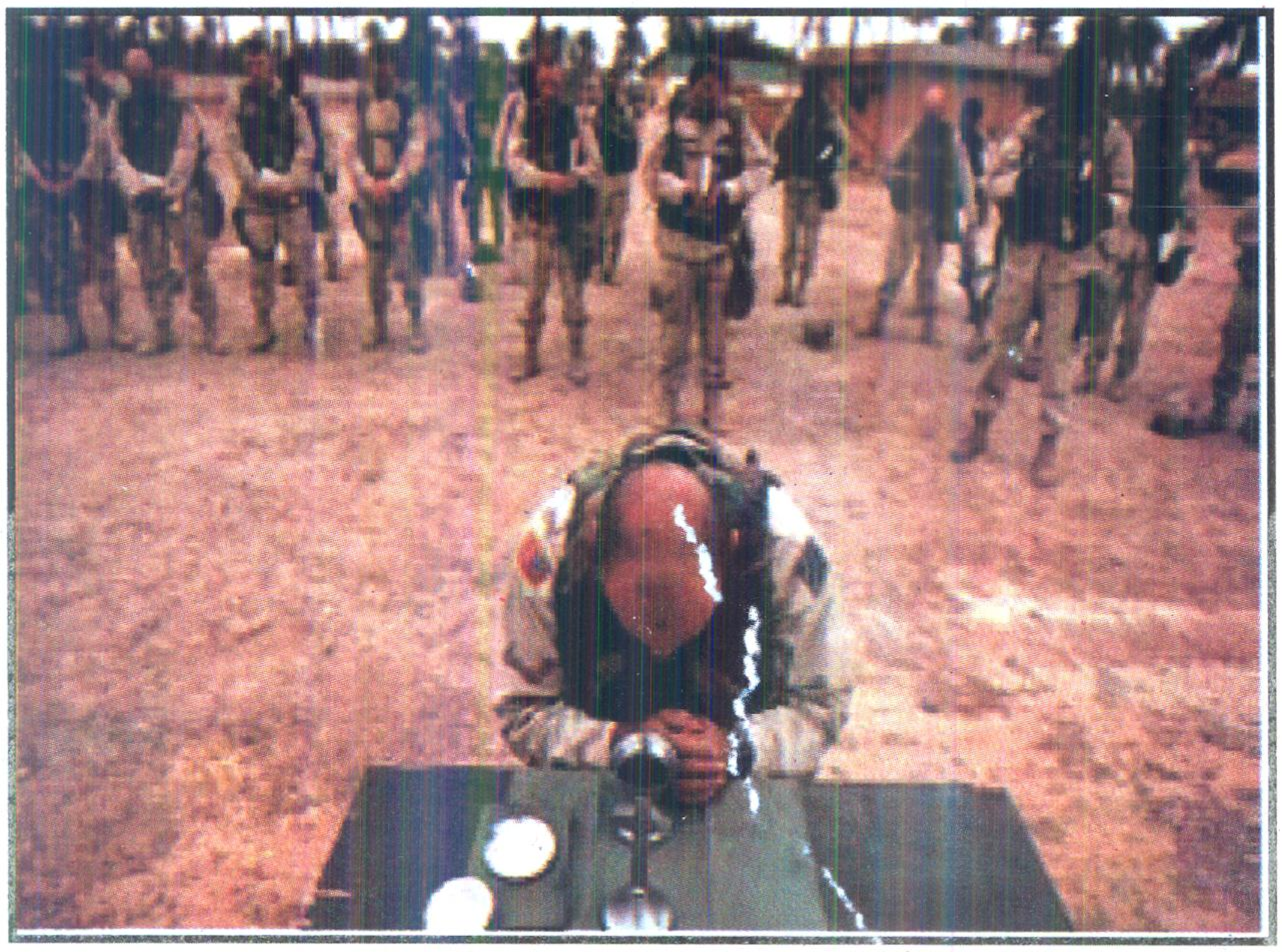
رئيس امريكا السابق

نفذ المخطط الصهيونى الإمبريالى
با لحرب ضد أفغانستان والعراق
وإثارة الفوضى فى المنطقة



السفاح شارون يعرض خارطة

دولة صهيون أمام اللوبى اليهودى فى امريكا عام ١٩٩٨م



ضحايا الحرب الأمريكية فقدوا عقلهم وحياتهم بلا سبب



ضحايا الحرب الأمريكية





قتلى ومعاقون ومجانين من شباب أمريكا ثمنا لأطماع الصهاينة والمحافظين الجدد



تعذيب الأبرياء جريمة ضد البشرية بلا عقاب حتى الآن



جرائم ضد الإنسانية لتعذيب الابرياء فى سجن أبو غريب



الزيدى يودع بوش بالحذاء

صورة حفظها التاريخ